

الشَّهِيدُ مُحَمَّد
عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ
أَبُو الْحَسَنِ

كتاب الديارات

تحقيق

هيلاري كيلباترك



كتاب الديارات

أبوالحسن علي بن محمد

المعروف

بالشاشتي



تحقيق

هيلاري كيلباتريك

تُطلب النسخة الكاملة للشراء -

بنص الكتاب المحقق مع الترجمة الإنجليزية والمقدمة وكلمة
عن المخطوطات المستعملة والمواثي والمصادر -
من المكتبة العربية

(www.libraryofarabicliterature.org)

المكتبة العربية

تهدف المكتبة العربية التي أُنشئت بموجب منحة مقدمة من معهد جامعة نيويورك أبوظبي، وبالتعاون مع دار النشر التابعة لجامعة نيويورك، إلى نشر أبرز آثار التراث العربي باللغتين العربية والإنجليزية. إذ تُعد مجموعة من الباحثين الموقين في مجال الدراسات العربية والإسلامية النصوص بحيث يُعرض المتن العربي الحق وترجمته الإنجليزية في صفحات متقابلة من الجلد الواحد. وتعود أقدم النصوص التي تصدرها المكتبة العربية إلى حقبة ما قبل الإسلام في حين تعود أحدها إلى مستهل العصر الحديث. وتضم المكتبة نماذج من مختلف مجالات العلوم والفنون بينها كتب الدين وعلومه وأصوله والفلسفة والعلوم الطبيعية وكتب الأخبار والتاريخ والشعر ونقده وأدب القصة والحكاية.

تدبر المكتبة العربية مجموعةً من الباحثين العاملين في مختلف أنحاء العالم، منهم أعضاء لجنة التحرير، وهم فيليب كينيدي من جامعة نيويورك الذي يعمل محترفاً عاماً، وجيمس مونتموري، أستاذ اللغة العربية في جامعة كامبريدج، وشوك محمد تراوا، أستاذ اللغة العربية في جامعة ييل، اللذان يعملان محرين تفديزين، وتضم لجنة التحرير: شون أنثوني (جامعة ولاية أوهايو)، وهدى فرج الدين (جامعة بنسلفانيا)، ولارا حرب (جامعة برمنغهام)، ومايا كسروانى (جامعة نيويورك أبوظبي)، وإياناس خنسه (الجامعة الأمريكية في بيروت)، وبلال الأرفه لي (الجامعة الأمريكية في بيروت)، وموريس بوميرانتز (جامعة نيويورك أبوظبي)، ومحمد رستم (جامعة كارلتون). ويشار إلى المحترفين في اختيار النصوص وتفويض المתרגمين ومراجعة المخطوطات والتدقير النهائي للنصوص المترجمة. بالإضافة إلى ذلك، يعمل الأعضاء المؤسسين للجنة التحرير - جوليا براي (جامعة أكسفورد) ومايكل كورسون (جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس) وجوزيف لوري (جامعة بنسلفانيا) وطاهرة قطب الدين (جامعة شيكاغو) وديفين ستيوار特

(جامعة إيموري) - محرين استشاريين، وذلك من خلال تقديم النصائح والإرشاد للسلسلة بشكل عام.

تُعد المكتبة العربية الأسبق في نوعها، حيث تهدف إلى إنشاء مكتبة كبيرة تضم نصوصاً عربية ذات قيمة مرجعية تصاحبها ترجمات إنجليزية تتصف بحداثة الصياغة وسلامة الأسلوب، سعياً بذلك إلى تعريف الباحثين والطلاب وجمهور القراء غير التخصصيين بموروث الأدب العربي.

كلمة عن إثبات النص العربي

اعتقدت في إثبات النص على طبعة كوركيس عواد كما شرحت تفاصيله في المقدمة للترجمة والتحقيق الأصلي . ولا يستغنى الباحث عنها في الدراسة الأكاديمية لكتاب الديارات .

المحتويات

١٠	دير درمالس
١٥	دير سمالو
٢٢	دير الشعاب
٢٥	دير الجاثيق
٢٩	دير مُديان
٣٧	دير أشموني
٤٢	دير سابر
٤٧	دير قططا
٥١	دير مَرْجُّرس
٦٠	دير باشهرا
٦٧	دير الخوات
٦٩	دير العلث
٧٦	دير العذاري
١٠٤	دير السوسي
١١٠	دير مَرْ ماري
١١٦	دير مر يحثنا
١١٩	دير صباعي
١٢٠	دير الأعلى

١٢٤	دير يونس بن متّى
١٢٦	دير الشياطين
١٣٠	عُمر الزغفران
١٣٦	عُمر أَحْوِيشَا
١٤٠	دير فيق
١٤٢	دير الظور
١٤٨	دير البُخت
١٥١	دير رَكَّي
١٥٩	دير مار سرجيس
١٦٠	دير ابن مزعوق
١٦٢	دير سرجس
١٦٤	ديارات الأَساقف
١٦٧	قبة الشيق
١٦٩	دير هند بنت النعمان بن المنذر
١٧١	دير زُرارَة
١٧٨	عُمر مريونان
١٨٣	دير ققي ويُعرف أيضًا بدير مر ماري السليم
١٨٩	عُمر كَسْكَر
١٩٦	ديارات مصر التي تقصد للشرب فيها والتزهّ بها
١٩٦	دير القصير
١٩٩	دير مرحَّنًا
٢٠٢	دير نَهْيَا
٢٠٤	دير طَمْوِيه

المحتويات

٢٠٦	الديارات المعروفة بالجائب على ما ذكره أهلها ووصفوه عنها
٢٠٦	دير الخنافس
٢٠٦	دير الكلب
٢٠٧	دير القيارة
٢٠٧	دير مرقوما
٢٠٨	دير باطا
٢٠٨	دير مار شمعون بنواحي السنّ
٢٠٩	دير العجاج
٢٠٩	دير الجوديّ
٢٠٩	كيسة الطور
٢١٠	بيعة أبي هور
٢١١	دير يُحَسْ
٢١١	بيعة إتريب
٢١١	ودير بنواحي أنخيم

كتاب الديارات

[دیر درمالس]

- ١٠٠ . . . [الدار التي بناها الديلمي أَحْمَدُ بْنُ بَوِيهِ بَابُ الشَّهَاسِيَّةِ وَمَوْقِعُهُ أَحْسَنُ مَوْقِعٍ]
وهو نزء كثير للبساتين والأشجار وبقربه أجمة قصب وهو كير آهل برها به وقساته
والمتبليين فيه وهو من البقاع المعمرة بالقصف والمقصودة بالتنزه والشرب.
٢٠١ وأعياد النصارى ببغداد مقسمة على ديارات معروفة منها أعياد الصوم. فالاحد
الأول منه عيده دير العاصية وهو على ميل من سمالو والأحد الثاني دير الرئيقية
والاحد الثالث دير الرشود والأحد الرابع دير درمالس هذا. وعيده أحسن عيد
يجمع نصارى بغداد إليه ولا يرق أحد من يحب الله وحالاعة إلا بعهم. ويقيم
الناس فيه الأيام ويطرقونه في غير الأعياد.
٣٠١ ولأبي عبد الله بن حمدون النديم فيه

يَا دِيرَ دُرْمَالَسْ مَا أَحْسَنَكْ
لِئَنْ سَكَنَتْ الدَّيْرَ لَا سَيْدِي
وَيَحْكُ يَا قَلْبُ أَمَا شَتَهِي
أَرْفَقَ بِهِ بِاللَّهِ يَا سَيْدِي

وَيَا غَرَّالَ الْدَّيْرِ مَا أَفْتَنَكْ
فَإِنَّ فِي جَوْفِ الْحَشَانَ مَسْكَلَكْ
عَنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ بَمْ أَحْرَنَكْ
فَإِنَّهُ مِنْ حَيْنِهِ مَكَنَكْ

- ٤١ وكان من خبر هذا الشعر ما ذكره أَحْمَدُ بْنُ خَالِدَ الصَّرِيفِيَّ قَالَ كَتَأْعْنَدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدُونَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي نَفَاهُ فِي الْمُتَوَكِّلِ فَتَذَكَّرَنَا الدِّيَارَاتُ وَطَبَيْهَا وَحَسَنَهَا فِي الْأَعْيَادِ وَاجْتَمَاعِ النَّاسِ إِلَيْهَا فَقَالَ قَدْ وَاللَّهِ شَهِيتُنِي لِضُورِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَالْفَرَجِ فِيهَا وَالْتَسْلِيْ بِهَا فَأَيُّ دِيرٍ مِنْهَا قَدْ حَضَرَ عِيْدَهُ فَقَلَتْ دِيرُ دُرْمَالَسْ وَغَدَّا عِيْدَهُ قَالَ فَعَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَأَعْدَدْتُ جَمِيعَ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيَصْلِمُ لِمَثْلِهِ وَبَرَكَنَا إِلَى الدِّيرِ وَنَظَرْنَا إِلَى

١. هذا بداية المخطوط والأصل ناقص.

اجتمع الناس وتعيدهم وانصرف من انصرف وأقامت معه في الدبر ذلك اليوم ومن
غده وجلسنا منه مجلساً يشرف على تلك البساتين والمراعي فشرب وطابت نفسه
وطرب وحضره من أحداث الموضع من كان يقضى لنا الحاجة ويحيينا بالظرفة والتحية
فسفف بهم واستطاب وقه منهم وقال الآيات المتقدمة.

وكان سبب نفي الم وكل له أن الفتاح بن خاقان كان يعشق شاهد خادم الم وكل
واشتهر الأمر فيه حتى بلغه وله فيه أشعار منها

أشاهدك ليتلي مذ هجرت طويلاً وعييني دماً بعد الدموع تسيل
وبي منك والرحمن ما لا أطيفه وليس إلى شكرى إليك سأصل
أشاهدك لو يجئي المحب بوده جريراً ولكن الوفاء قليل

وكان أبو عبد الله يسعى فيما يحبه الفتاح فعرف الم وكل الخبر فقال له إنما أردتك
وأدنتك لتنادي من ليس لتغود على غلامي فأنكر ذلك وحلف مبيناً حث فيها فطلق من
كانت حرة وأعتق من كانت مملوكة ولزمه حج ثلاثة سنّة فكان يحج في كل عام. قال
فأمر الم وكل بنفيه إلى تكريت فأقام بها أياماً ثم جاءه زرافة بالليل على البريد فظن أنه لما
شرب وسكر أمر بقتله فلما دخل عليه قال جئت في شيء ما كنت أحبت أن أجني، في
مثله. قال وما هو قال أمير المؤمنين بقطع أذنك وقال قل له لست أعاملك إلا كما
يعلم الفيتان. فرأى ذلك أسهل مما ظنه من القتل. قطع غضروف أذنه من خارج
ولم يستقصه وجعله في كافور معه وانصرف.

ثم حدر أبو عبد الله إلى بغداد إلى منزله فأقام به مدة. قال أبو عبد الله فلقيت
إسحاق بن إبراهيم الموصلي بعد ما كُفَّ بصره فسألني عن أخبار الناس والسلطان
فأخبرته ثم شكرت إليه عني بقطع أذني فعل يسلبني ويعيني ثم قال لي من المتقدم
اليوم عند أمير المؤمنين والخاص من ندمائه فقلت محمد بن عمر. فقال لي ومن هذا
الرجل وما مقدار أدبه وعلمه فقلت أما أدبه فلا أدرى ولكني أخبرك بما سمعت

منه منذ قُرْبٍ . حضرنا الدار يوم عقد المَتَوَكِّل لأولاده الثلاثة فدخل مروان بن أبي حفصة فأنشدَه قصيدةٌ التي يقول فيها

بِيَضَاءِ فِي وَجْنَاتِهَا وَرَدُّ فَكِيفَ لَنَا إِشَّةٌ

٨٠١ فُسْرَ بِذَلِك سروراً شديداً وأَمْرَ فَنَثَرَ عَلَيْهِ بَدْرَةَ دَنَانِيرَ وَأَنْ تُلْقَطْ وَتُطْرَحْ فِي حِجَرٍ .
وَأَمْرَهُ بِالجلوس وَعَقْدِهِ عَلَى الْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَينَ . فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْتَ كَالْيَوْمِ قَطَّ
وَلَا أَرَى أَبْقَاكَ اللَّهِ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ هَذَا بَعْدَ عُمُرٍ طَوِيلٍ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقَالَ لِي إِسْحَاقَ وَيْلَكَ جَزَعْتَ عَلَى أَذْنَكَ وَعَمَّكَ قَطَعْهَا لِمَ حَتَّى تَسْمَعَ مِثْلَ
هَذَا الْكَلَامِ . وَيْلَكَ لَوْلَكَ مَكْوَكَ آذَانَ أَيْشَ كَانَ يَنْفَعُكَ مَعَ هَؤُلَاءِ .

٩٠١ قال وأعاده المَتَوَكِّلُ إِلَى خَدْمَتِهِ وَكَانَ إِذَا دَعَا بِهِ قَالَ لَهُ عَلَى جَهَةِ الْمَرَاجِ يَا أَبا عَيْدٍ . وَلَمَّا
رَضِيَ عَنْهُ قَالَ لَهُ هَلْ لَكَ فِي جَارِيَةِ أَهْبَاهَا لَكَ فَأَكْبَرَ ذَلِكَ وَأَنْكَرَهُ فَوَهَبَ لَهُ جَارِيَةً يَقَالُ
لَهَا صَاحِبُ مِنْ جَوَارِيِهِ حَسَنَةٌ كَامِلَةٌ لِلْآدَابِ إِلَّا أَنْ بَعْضَ الْخَدْمَةِ رَدَ السَّبِطَانَةَ عَلَى
فَهَا وَقَدْ أَرَادَتْ أَنْ تَرْمِيهِ فَصَدَعَ إِحْدَى شَيْئِهَا فَاسْوَدَتْ فَشَانَهَا ذَلِكَ عَنْهُ وَحَمَلَ
مَعْهَا كَلَّ مَا كَانَ لَهَا وَكَانَ شَيْئًا عَظِيمًا كَثِيرًا . فَلَمَّا مَاتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ تَزَوَّجَتْ صَاحِبُ
بعضِ الْعَلَوَيْنَ . قَالَ عَلَيَّ بْنُ يَحْيَى الْمَنْجَمُ فَرَأَيْتَهُ فِي النَّوْمِ وَهُوَ يَقُولُ لِي

أَبَا عَلَيٍّ مَا تَرَى الْجَائِبَا أَصْبَحَ جَسْنِي فِي التَّرَابِ عَائِبَا
وَأَسْتَبَدَلَتْ صَاحِبُ بَعْدِي صَاحِبَا

١٠١ ولِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ شِعْرٌ جَيِيدٌ وَمِنْ شِعْرِهِ يَعَاتِبُ عَلَيَّ بْنَ يَحْيَى

مَنْ عَذِيرِي مِنْ أَبِي حَسَنِ حِينَ يَجْهُونِي وَيَصْرِمُنِي
 كَانَ لِي خِلَّاً وَكُنْتُ لَهُ كَامِتَرَاجُ الْرُّوحِ بِالْبَدْنِ
 فَوَشَّى وَأَشَّ فَغِيَّرَهُ وَعَلَيْهِ كَانَ يَحْسُدُنِي
 إِنَّمَا يَرْزَادُ مَعْرِفَةً بِوَدَادِي حِينَ يَقْدُنِي

- قال اتصل بنجاح بن سلمة أبا عبد الله بن حمدون يذكره ويتناول به بين يدي المتوكل . فلقيه يوماً فقال له أبا عبد الله قد بلغني ذرك لي بحضوره أمير المؤمنين بغير الجميل ولم يخف على قوله إذا خلوت أتراني أحبه وقد فعل بي ما فعل . والله ما وضعت يدي على أذني إلا تجددت له بغضته في قلبي فقال ابن حمدون الطلاق له لازم إن كان قال هذا قط وامرأته طلاق إن ذرك بغير ما تحبه أبداً .
- قال كان إبراهيم بن محمد بن مدبر يلاعب أبا عبد الله بالزد فإذا غلبه شيئاً دفعه إلى كردية المغنية جارية محمد بن رجا . فقلبه يوماً عشرين ديناراً فأخذها منه ودفعها إليها فكتب إليه أبو عبد الله بعد ذلك

تَقْضِيَ الْحُقُوقَ بِمَا لَيْ وَأَنْتَ تَعْرِفُ حَالَيْ
 إِنْ دَامَ هَذَا عَلَيْ أَفْقَرْتَنِي وَعِيَالَيْ

- وكان حمدون بن إسماعيل ينادم المعتصم ثم الواثق بعده وكان يعاشر المتوكل في ذلك الوقت وجاءه مرأة بحية في كمه وأخرج رأسها تعرضاً بأمامه شجاع وكان ذلك يحب الواثق . قال فلما مات الواثق نادم المتوكل قال فلما كان في بعض الأيام أمر المتوكل بإحضار فريدة جارية أخيه الواثق وكانت من الحسن والإحسان على ما لم يُرِ مثله وقال للخدم إن لم تجئ فجيئوني برأسها . فأحضرت ودُفع إليها عود ففنت غناءً يشبه الندبة والمرثية فاسمها وأمرها أن تعيي غيره فبك وغنت غناءً شجاعاً بحرن فزاد ذلك في طيب غنائهما فوجم حمدون للرقة التي تداخلته . فغضب المتوكل ورأى أنه

١ الأصل مطموس .

فعل ذلك بسبب أخيه الواقع حرناً عليه وكان يغض كل من مال إليه. فأمر بنفيه إلى السنن وضربه ثلاثة سوط. فسأل أن يكون الضرب من فوق الثياب لضعفه عن ذلك فأجيب إلى ذلك. وأقام منيًّا ثلاثة سنين.

قال دعا إبراهيم جماعة من المغنين^١ فيهم مجحظة وقاسم بن رززور وكان فيها عمه أبو محمد بن حمدون فجعل إبراهيم يحاكي واحداً واحداً من المغنين^٢ فقال له عمه لا تحاك مجحظة ولا يكن بينك وبينه عمل فلم يقبل وحاكاه فلم يزل مجحظة يحتال في شيء يكتب فيه إلى أن وجد رقعة فكتب فيها

حَصَلَتْ عَلَى حَكَايَةِ مَنْ يُعَيِّنِي فَحَاكِ لَنَا الْبُجُورُ إِذَا تَغَنَّتْ
وَحَاكِ لَنَا لَبِيَّسًا إِذَا تَاهَا فَأَعْطَاهَا الْقُمُدَ كَمَتَنَّتْ

وكان ليث غلام أبيه وكانت أمّه تعشقه فلما قرأ الرقعة ارتعشت يده فقال له عمه لم أقل لك عقرب لا تقرب.

وحكي مجحظة عن إبراهيم بن القاسم رززور أن لاكهكيفي^٣ كان حسن الغناء مجيداً وكان يحسد إبراهيم بن أبي العيس على غنائه وسبحا صوته فلما مات إبراهيم فكانت وفاته في أيام المكتفي دخلت على لاكهكيفي والدموع في عينيه فقال ما لك قلت مات إبراهيم قال بسلام والله لوم يمت لقتله.

^١ الأصل: مغنيين. ^٢ الأصل: مغنيين. ^٣ كما في الأصل.

دير سمالو

١٠٢ وهذا المدير شرقى ببغداد يباب الشماسية على نهر المهدى وهناك أرجحية للماء وحوله بساتين وأشجار ونخل والموضع نزه حسن العمارة آهل بن يطرقة وبين فيه من رهبانه. وعید الفصح بغداد فيه منظر عجیب لأنه لا يبقى نصراً إلا حضره وتقرب فيه ولا أحد من أهل التطرب واللهو من المسلمين إلا قصده للتزه فيه. وهو أحد متزهات بغداد المشهورة ومواطن القصف المذكورة.

٢٠٢ ولمحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه

وَلِرَبِّ يَوْمٍ فِي سَمَالُوتَمَّ لِي
فِيهِ السُّرُورُ وَغَيْبَتِ أَحْرَانُهُ
وَأَخْ يَشُوبُ حَدِيثَهُ بِحَلَاوةٍ
يَلْتَذِرُ رَجَعَ حَدِيثِهِ نُدْمَانُهُ
جَعَلَ الرَّحِيقَ مِنَ الْمُدَامِ شَرَابَهُ
وَالْمُحِسَّنَاتُ مِنْ الْأَوَانِسِ شَانُهُ
بَكَرَتْ عَلَيَّ بِهِ الْيَارَةُ فَاغْتَدَى
طَرَبًا إِلَيَّ وَسَرَّنِي إِيتَانُهُ
قَدْ حَانَ وَقْتُ شَرَابِنَا وَأَوَانُهُ
فَأَمْرَتْ سَاقِيَنَا وَقُلْتُ لَهُ أَسْقِنَا
وَتَلَاقَعَتْ بِعُقُولِنَا نَشَوَاتُهُ
حَتَّى حَبَسْتُ لَنَا الْبِسَاطَ سَفِينَهُ
وَالَّذِي رَيْقَصُ حَوْلَنَا حِيطَانُهُ

ولخالد الكاتب فيه

يَا مَنْزِلَ الْقَصْفِ فِي سَمَالُو
مَا لَيْ عَنْ طِبِّكَ أَنْتِقَالُ
وَاهَا لِأَيَّامِكَ الْخَوَالِي
وَالْعَيْشُ صَافٍ بِهَا زُلَالُ
تِلْكَ حَيَاةُ الْفُؤُسِ حَقًا
وَكُلُّ مَا دُوَّهَا مُحَالُ

٤٤٢ وهو أبو القاسم خالد بن يزيد الكاتب وكان ميلع الشاعر رقيقه لا يقول إلا في الغزل ولا يتجاوز الأربعة أبيات ولا يزيد عليها ولم يكن له شعر في مدح ولا بحثاء. وذكر ميمون ابن حماد قال دخل على يوماً أبو عبد الله بن الأعرابي فقلت يا أبا عبد الله سمعت من شعر هذا الغليم شيئاً قال من هو قلت خالد بن يزيد. قال لا وأنا لأحب ذلك. فصح به بفاء حتى وقف فقلت أنشد أبا عبد الله شيئاً من شعرك فقال إنما أقول في شجون قصسي لا أمدح ولا أهجو. فقلت أنشدك فأنشده

أَقُولُ لِلسُّقْمِ عُدْ إِلَى بَدَنِي حُبَا لِشَيْءٍ يَكُونُ مِنْ سَبِيلِكُ

فقال ابن الأعرابي حسبك يا غلام فقد خيل إلي أن الرقة قد جمعت لك في هذا البيت.

٥٠٢ قال ححظة حدثني خالد الكاتب قال لم أشعر إلا ورسول إبراهيم بن المهدى قد وافاني فدخلت إليه فإذا برجل أسود مشقرأبي قد غاص في الفراش. فاسجلستني بجلسه فقلت أنشدك شيئاً من شعرك فأنشدته

**رَأَتِ مِنْهُ عَيْنِي مَنْظَرِيْنِ كَمَا رَأَتِ
مِنَ الْبَدْرِ وَالشَّمْسِ الْمُضِيَّةِ بِالْأَرْضِ
خُدُودَ أَصْبِيَّتْ بِعَضْهُنَّ إِلَى بَعْضِ
عَشَيَّةَ حَيَّانِي بِوَرْدِ كَائِنَهُ
وَقَاؤِنِي كَائِسًا كَانَ رُضَاهَا
دُمُوعِي لِمَا صَدَّ عَنْ مُقْلِيْتِيْ عَمْضِي
وَوَلََّ وَفَعْلَ السُّكْرِ فِي حَرَكَاتِهِ
مِنَ الْرَّاحِ فَعْلَ الرَّيْحِ بِالْغُصْنِ الْغَرَّ**

٦٠٢ وزحف حتى صار في ثلثي المصلى ثم قال يا بني شبه الناس الخدود بالورد وشبهت أنت الورد بالخدود. زدني فأنشدته

عَاكِبَتْ نَفْسِي فِي هَوَا أَكَفَمْ أَجِدْهَا تَقْبِيلُ
وَأَجَبَتْ دَاعِيَهَا إِلَيْكَ وَمَأْطَعَ مَنْ يَعْذُلُ
لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْوُجُوْهَ حُسْنَ وَجْهَكَ تَمَثُلُ
لَا قُتُلَ إِنَّ الصَّبَرَ عَنْكَ مِنَ الْتَّصَابِي أَجْمَلُ

وزحف حتى صار خارج المصلى ثم قال زدني فأنشدته

عِشْ حُبَّيْكَ سَرِيعًا قاتِلِي وَالضَّنَّى إِنْ لَمْ تَصِلْنِي وَاصِلِي
ظَفَرَ الْحُبُّ بِقَلْبٍ دَفِيفٍ بِكَ وَالسُّقْمُ بِحُسْنٍ تَاحِلِ
وَبِكَا الْعَادِلُ لِي مِنْ رَحْمَتِي فَبُكَائِي لِبُكَاءَ الْعَادِلِ

فصاح وقال يا بليق كم لي معك من العين قال ستمائة وخمسون ديناراً. قال اقسمها
بيني وبينه واجعل الكسر كاماً للفلام.

وذكر أحمد بن صدقة المغبي قال اجترت بخالد الكاتب يوماً فقلت له اعمل لي أيةً
أغنى فيها أمير المؤمنين يعني المأمون قال فأي حظ لي في ذلك تأخذ أنت الجائزة
وأحصل أنا على الإثم. خلفت له أنه إن وصلني بشيء قاسمه إيه فقال لي أنت أندل^١
من ذاك ولكن أذكرة بي فعله أن يصلني بشيء. قلت أفعل فأنشدي

تَقُولُ سَلَامَنَ الْمُدِنُفُ وَمَنْ عَيْنِهُ أَبْدًا تَذَرُفُ
وَمَنْ قَلْبُهُ قَلْقَ خَاقِقُ عَلَيْكَ وَأَخْشَاوُهُ تَرْجُفُ

حفظت الشعر وعملت فيه لحناً وحضرنا عند المأمون من الغد وكان بينه وبين
بعض حظاياه هجرة فوجهت إليه بتقاحة مكتوب عليها بالغالية سلوت وابتداأت أغني
بشعر خالد فلما غنته إيه انقلبت عيناه ودارتا في أم رأسه وظهر الغضب في وجهه

١ الأصل: أندل.

وقال لكم على حري أصحاب أخبار. فقمت إعظاماً لما شاهدته منه وقلت أعيذ
أمير المؤمنين بالله أن يظن بعده هذا الفتن وأئمه داره أن يكون لأحد عليها صاحب
خبر. قال فمن أين عرفت خبري مع جاريتي حتى غثيت في معنى ما بيتنا. فخذته
حديثي مع خالد فلما انتهيت إلى قوله أنت أنزل من ذلك قال أشهد أنك كذلك وأسفر
وجهه وقال ما أعجب هذا الاتفاق وأمر لي بخمسة ألف درهم وخلالد بمثله.

١٠٤

ومن ملية شعر خالد

كَبُدَ الْمُسْتَهَامَ كَيْفَ تَدُوبُ مَا لُقَاسِي مِنَ الْعَيْنِ الْقُلُوبُ
بَدَنَ الْمُسْتَهَامَ كَيْفَ تَرَاهُ شَجَنَ مَا لَهُ سِواهُ طَبِيبُ
إِنَّ إِنَّ الْرُّقَادُ يَا مُقْلَمَيَ مَنْ حَرُّ أَحْشَائِهِ عَلَيْهِ رَقِيبُ
يَا مَكَانَ الْهَوَى حَلَوتَ مِنَ الْأَصْبَهْ بِرْ فَمَا إِلَّا سُلُوفِيكَ نَصِيبُ

ومن ملية شعره

وَلَمْ أَدِرِ مَا جُهْدُ الْهَوَى وَبِلَادُهُ
أَطَاعَكَ طَرِيفٌ فِي فُؤَادِي فَحَارَهُ
وَشِدَّتُهُ حَتَّى وَجَدَتُكَ فِي قَلْبِي
لِطَرِيقِكَ حَتَّى صَارَ فِي قَبْضَهِ الْحَبْ

١١٤

ومن شعره وفيه لحن

وَمَا أَسْتَغَارَ الْحُسْنُ مِنْ وَجْهِهِ
وَالْعَصْنُ الْثَّاعِمُ مِنْ قَدِّهِ
لَقَدْ تَعَايَّنَا بِأَصْكَارِنَا
فِيمَا جَنَاهُ الْحَلْفُ مِنْ وَعْدِهِ
لِلْحَظِّ فِي خَدَّيِ وَفِي خَدَّهِ
حَتَّى تَحَارَحَنَا بِتَكْرَارِنَا

وله أيضاً

مَا عَلَى الْفَضْبَانِ لَوْكَانَ أَرْضَى
وَرَثَى لِي مِنْ تَمَادِي مَرَضِيٍّ
قَالَ لِي لَمَّا تَشَكَّيْتُ أَهْمَكِيٌّ
إِحْمَدِ اللَّهَ كَذَا كَانَ قُضِيَّ
قُلْتُ حَاسَى اللَّهَ أَنْ يَقْضِيَ بِذَا
بَلْ قَضَاهُ صَاحِبُ الْوَجْهِ الْوَضِيَّ
أَنَّ شَرَدَتْ رُقَادِيَ ظَالِمًا
فَاجْعَلِ الْإِنْصَافَ مِنْهُ عَوْضِيٌّ

وله أيضاً

رَحْلَشْمُ فَكَرِّ مِنْ أَنَّهُ بَعْدَ رَفْرَةٍ مُبِينَةٌ لِلثَّاسِ شَوْقِي إِلَيْكُمُ
وَقَدْ كُنْتُ أَعْتَقْتُ الْجَفُونَ مِنْ أَلْبَكَا فَقَدْ رَدَهَا فِي الْرِّقْ حُزْنِي عَلَيْكُمُ

له أيضاً

زَارَنِي فِي مُورَدٍ مِثْلِ خَدِيَّهِ وَعَقْدُ فُصُولِهِ الْكَافُورُ
لِيَلَهُ لَمْ يَكُنْ سِوَى قَصْرِ الْلَّيْلَةِ فِيهَا عَيْبٌ وَلَا تَقْصِيرٌ

قال بحظة كت يوماً عند عبد الله بن المعتز فطلب نعلي فلم أجده فجعلت أقول

يَا قَوْمَ مَنْ لِي بِنَعْلٍ أَوْ فِي مُصَحَّفٍ نَقِيلٍ

فسار هذا البيت حتى رواه الصبيان. قال ودعاني عبيد الله يوماً فأبطأت عنه
فكتب إلى

لَا تَهْجُرُ الْأَمَاءُ مَنْ يَعْدُو عَلَيَ فَرَسِ الْأَنْجَ ... الْقِيراط٣

١ الأصل مطموس. ٢ الأصل مطموس. ٣ الأصل مطموس.

فَكَبَ إِلَيْهِ حَجْظَةٌ

مَنْ كَانَ خَادِمَ مِثْلَكُمْ فَهُوَ أَدُوْهُ فَرَسُ الْحَفَاءِ وَدِينُهُ طَسُونُ

قال ححظة كت أعشق جاريه من القيان يقال لها شروين فسكت عندي ليلة فرئت
١٤٠٢ في سطلي وحميدي وانصرفت فكتب إلى الهداهدي

قَدْ زَارَنِي خَلْلُ أَسْرِ بِهِ حُلُوُ الشَّمَائِلِ رَاجِعُ الْعَقْلِ
فِي حِمَّ شَرْوِينَ الَّتِي خَرَّتِ
فِي الظَّسْتِ وَالْإِبْرِيقِ وَالسَّسْطَلِ
إِلَّا أَتَيْتُ مُبَادِرًا عَجِيلًا
وَأَرَحْتُ مِنْ نَكَدٍ وَمِنْ مَظْلَلِ
حَتَّى أَرَاكَ إِذَا سَكِرْتَ وَقَدْ
شَارَكْتَهَا فِي ذَلِكَ الْفِعْلِ

١٥٠٢ وبلحظة إلى ابن طران يدعوه

لَنَا يَا أَخِي زَلَّةٌ وَافِرَةٌ
وَقِدْرٌ مُجَلَّهُ حَاضِرَةٌ
وَنَادِرَةٌ بَعْدَهَا نَادِرَةٌ
وَمَا سِنْتَ مِنْ خَبَرٍ طَيِّبٌ
سَنَا الْبَرِيقُ فِي الْمَيْلَةِ الْمَاطِرَةِ
وَرَاحْ تُرِيكَ إِذَا صَفَقَتِ
وَرَأْمِرَةٌ أَيْمَكَا زَامِرَةٌ
وَمُحْسِنَةٌ لَمْ يَخْنُهَا الصَّوَابُ

لَسْتُ أَذْرِي أَيْنَ الْفَوَادُ أَيْنَ الْفَوَادُ
يَا مَكَانَ الْفَوَادِ أَيْنَ الْفَوَادُ
فَأَذَابَتُهُ حُرْفَةٌ وَأَنْقَادُ
دَفَعَتُهُ الْأَحْشَاءُ عَمَّا يَلِيهَا

نَأَيْتَ فَلَمْ يَنِّعْنَهُ الْضَّئَّىٰ وَعَدْتَ فَعَادَ إِلَىٰ نُكْسَهِ
وَفَارَقَهُ الْصَّبَرُ فِي يَوْمِهِ لِمَا فَاتَهُ مِنْكَ فِي أَمْسِهِ
وَمُسْتَوْحِشٌ آنِسٌ بِالْبَكَاءِ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَعَلَىٰ إِنْسَهِ
يَرِقُّ هَوَاهُ لِأَحْشَائِهِ وَيَرِثِي لَهُ الْشَّوْقُ مِنْ نَفْسِهِ

دير الشعالب

١٠٣ وهذا الدير ي بغداد بالجانب الغربي منها بالموضع المعروف بباب الحديد وأهل بغداد يقصدونه ويترّزهون فيه ولا يكاد يخلو من قاصد وطارق وله عيد لا يختلف عنه أحد من النصارى والمسلمين. وباب الحديد أعمّر موضع بغداد وأزنه لما فيه من البساتين والشجر والخل والرياحين وتتوسطه البلد وقربه من كل أحد فليس يخلو من أهل البطالات ولا يخلّ به أهل التطريب واللذادات فها وطنه أبداً معمرة وبقاعه بالمتزهين مشحونة وقد قالت الشعرا في الدير وباب الحديد وفبرونيا^١ فأكثروا ووصفو حسن تلك الموضع فأطبوا.

٢٠٣ ولابن دهقانة الهاشمي فيه

دَيْرُ الشَّعَالِبِ مَالْفُ الْأَضْلَالِ
وَمَحْلُّ كُلَّ غَرَّالٍ وَغَرَالٍ
كَلِيلَةٌ أَحِيَّتُهَا وَمُنَادِي
فِيهَا أَجْمَعٌ مُقْطَعَ الْأَوْصَالِ
سَمِحٌ يَجُودُ بِرُوحِهِ فَإِذَا مَضَى
وَقَضَى سَمَحَ لَهُ وَجَدَتْ بِمَا يَلِي
وَمُنْعَمٌ دِينُ ابْنِ مَرِيمَ دِينُهُ
غَنْجٌ يَشُوبُ بُجُونَهُ بِضَلَالٍ
سَقِيَتُهُ وَشَرِتُهُ فَضَلَّةً كَاسِهٍ
فَشَرِتْ مِنْ عَذْبِ الْمَذَاقِ رُلَالٍ

٢٠٣ وابن دهقانة هذا من ولد إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ويعرف بأبي جعفر محمد بن عمر. وله شعر مليء وذكر حسنة أنه أنشده

أَحِينَ قَطَعْتُ لَكَ الْوَاصِلِينَ وَجُدْتُ عَلَيْكَ وَلَمْ أَبْخَلِ
عَدَرْتُ وَأَظْهَرْتُ لِي جَفْوَةً وَجُرْتُ عَلَيَّ وَلَمْ تَفْدِلِ
أَطْمَعُ فِي آخِرٍ مِنْ هَوَاكَ وَلَمْ تَرْعَ لِي حُرْمَةً الْأَوَّلِ

١ الأصل: وفبرونيا.

٤٠٣ وذكر ححظة أنه كان والي البصرة في أيام الزنج وأنه أخذ من الناجم بها ثلاثين ألف دينار وسلم إلى البصرة. وكان ححظة يكره عنده ولا يغبه. قال فتأخرت عنه في وقت من الأوقات لعارض عرض لي فوجه إلى يدعوني فكبت إليه أنا والله عليل

وَلَيْسَ بِتَرْوِيقِ الْلَّسَانِ وَصَوْغَهِ وَلِكُنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّهَمَ وَالدَّمَا

فوجه إلى بمخمسين ديناراً وخلعة وقال هذا يزيل العلة فحياتي إلا جئتنى فمضيت إليه.

٥٠٣ وذكر ححظة أنه كان ينادم المعقد والموقف وكان عظيم الخلق ثقيل الجسم وكان إذا قام الخليفة ورجع وقام ^١ النداء نام هو وقال هذا عوض القيام لما مكن يقدر عليه. وكان أكولاً وكان يقول قد أكلت حتى زمنت وأريد أن أكل حتى أموت.

٦٠٣ ومن شعره

**فَلَوْاَنَّ فِي جَرَاعِي رَاحَةً لَأَصْبَحْتُ أَجْرَاعَ مَنْ يَجْرِعُ
سَاصِبْرُ جُهْدِي عَلَىٰ مَا تَرَىٰ وَإِنْ عِيلَ صَبْرِي فَأَاصْنَعُ**

٧٠٣ وللناشئ يذكر باب الحديد وقبرونيا ^٢

**مَا جَلِيدُ يَوْمَ الْفَنَىٰ بِجَلِيدٍ بَعْدَتْ وَالْمَرَأُ غَيْرُ بَعِيدٍ
خَبَرَتْ عَنْ صَمِيرِهَا عَبَرَاتٌ صِرْنَ عَوْنَانَ عَلَىٰ الْفَوَادِ الْعَمِيدِ
يَا لِي كَالِي الْلَّذَاتِ بِاللَّهِ عُودِي بَيْنَ فَبْرُونِيَا ^٣ وَبَابِ الْحَدِيدِ
بَيْنَ تِلْكَ الْبَرِّيِّ وَقَدْ نَسَجَ الْوَبْلُ بِكَفِ الرَّبِيعِ رَيْطَ الْبَرُودِ
خَدُهُ ضِدُّ صَدْغِهِ مِثْلَ مَا الْوَعْدُ إِذَا مَا أَخْتَرْتُ ضِدُّ الْوَعِيدِ
طَلَبَ الْطَّبِيلُ طَائِلَاتٍ مِنَ الْأَرْمَرِ وَعَادَ السُّرُورُ إِذْ عَادَ عُودِي**

١ الأصل: ورجع قام. ٢ الأصل: وقبرونيا. ٣ الأصل: قبرونيا.

ومن رقيق شعره

٨٤٣

لَمْ أَسْلُ عَنْكَ وَلَمْ أَحْنَكَ وَلَمْ يَكُنْ
فِي الْقَلْبِ مِنِّي لِلسُّلُوْكِ مَكَانُ
لَكِنْ رَأَيْتُكَ قَدْ مَلَأْتَ مَوَدَّتِي
فَعَامَتْ أَنَّ دَوَاءَكَ الْجَرَانُ

دير الجاثيق

١٠٤ وهذا الدير يقرب من باب الحديد وهو دير كبير حسن نزه تحدق به البساتين والأشجار والرياحين وهو يوازي دير العمال بالزلقة والطيب وعمارة الموضع لأنهما في بقعة واحدة وهو مقصود مطروق لا يخلو من المتنزهين فيه والقادسين له وفيه رهبانه وقساته ومن يألفه من أهل الخلاعة والبطالة . وقالت الشعرا فيه ووصفته لمحمد بن أبي أمية الكاتب فيه وفيه لحن خفيف رمل

لَهُنْ فِي عَلَى قَرِيرٍ فِي الدَّيْرِ مُسْجُونٌ فِي صُورَةِ الْإِنْسَنِ فِي مَكَارِ الشَّيَاطِينِ
وَاللَّهُ مَا أَبْصَرَتِ عَيْنِي مَحَاسِنَهُ إِلَّا خَرَجْتُ لَهُ طَوعًا مِنَ الدِّينِ

٢٠٤

وله في هذا الدير أيضاً

تَذَكَّرُتْ دَيْرَ الْجَاثِيَقَ وَفِتْيَهُ
بِهِمْ تَمَّ لِي فِيهِ السُّرُورُ وَأَسْعَفَهَا
وَسَالَكَنِي صَرْفُ الْزَّمَانِ وَأَنْصَفَهَا
أَبَادُرُ مِنْ لَذَاتِ عَيْشِي مَا صَفَهَا
وَأَغَازِلُ فِيهِ أَذْعَنَ الظَّرْفِ أَهْيَهَا
فَسُقِيَ لِأَيَامٍ مَضَتْ لِي بِقُرْبِهِمْ
وَتَعَسَّ لِأَيَامٍ رَمَشَيِ بِيَنْهِمْ

٢٠٤ محمد بن أبي أمية هذا أحد المتقدمين في الشعر ريق الطبع حسن التصرف فيه غريب المعاني وأكثر شعره في الغزل وكان هو وأخوه يكتبان للفضل بن الريع وهو عم أبي حشيشة الطنبوري . ومن ملحم شعره

رَأَيْتُكَ حَلِيَّتِي دُنْيَا وَدِينٍ
بَدَّا لِي بَعْدَمَا سَبَقْتُ يَمِينِي
حَيَاةً لِلضَّحْيَمِ وَاللَّقَرِينِ
بَهْجِرْكَ أَنَّ أَهْرَارَ عَنْ يَمِينِي

وله

لَمْ أَسْلُ عَنْكَ وَلَمْ أَخْنَكَ وَلَمْ يَكُنْ
لِكِنْ رَأَيْتُكَ قَدْ مَلَكْتَ مَوْدَتِي
فِي الْقَلْبِ مِنِي لِلسُّلُوكِ مَكَانٌ
فَعَلِمْتُ أَنَّ دَوَاءَكَ الْمِهْجَرَانِ

ومن رقيق شعره

يَا غَرِيبًا يَنْكِي لِكُلِّ غَرِيبٍ
عَزَّهُ الصَّبَرُ فَاسْتَرَاحَ إِلَى الدَّمْعِ
لَيْتَ يَوْمًا أَرَاكَ فِيهِ كَاكُتَّتَ قَرِيبٍ
لَمْ يَذْقُ قَبَلَهَا فِرَاقَ الْحَيَّبِ
وَفِي الدَّمْعِ رَاحَةً لِلْقُلُوبِ

وله

رُبَّ يَوْمٍ مِنْكَ لَا أَنْسَاهُ لِي
أَقْطَعُ الدَّهَرَ بِظَنْ حَسَنٍ
وَأَرَى الْآيَامَ لَا تُدْنِي أَجَلِي
كُلَّمَا أَمَلْتُ يَوْمًا صَاحَمَا
أَوْجَبَ الشُّكَرَ وَإِنْ لَمْ تَقْعُلِ
وَأَجَلِي عَمْرَةً مَا تَجْلِي
أَرْتَجِي مِنْكَ وَتُدْنِي أَجَلِي
عَرَضَ الْمِهْجَرَانِ دُونَ الْأَمْلِ

ومن نادر شعره

لَا قِيمَنَ مَا تَمَّا عَنْ قَرِيبٍ لَيْسَ بَعْدَ الْفِرَاقِ غَيْرُ الْحَيَّبِ
ظَلَمَتِنِي فِيكَ الْحَطُوبُ فَلَمْ أَقْوَعْلَ أَنَّ أَرْدَ ظُلْمَ الْحَطُوبِ
رَبَّ مَا أَوْجَعَ الْهُوَى لِلْقُلُوبِ ثُمَّ لَا سِيمَا فِرَاقَ الْقُلُوبِ
لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ الْفِرَاقَ فَأَقْدَمْتُ عَلَيْهِ غَرَبًا بِلَا تَجْرِيبٍ

وله أيضاً

كَذَّاكَ أَعْظَمُ شَيْءٍ قَدْ مَعْشُوقٌ
فَالْيَوْمَ صَرَّتْ مِنَ الْأَخْرَانِ فِي ضِيقٍ
تَعْسًا لِغُدْرَتِهِ مِنْ بَعْدِ تَوْثِيقٍ
يَا مَنْ يَرَى حَسَنًا نَقْضَ الْمَوْاقيْفِ

الْيَوْمَ أَشْكَنَنِي صَبَرِي فِرَاقُكُمْ
وَكُنْتُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ قَبْلِ بَيْنَكُمْ
وَأَغْتَلَنِي رَمَنُ قَدْ كُنْتُ آمِنُهُ
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوْدَتَكُمْ

وله

مَا ذَاقَتِ النَّفْسُ عَلَى شَهْوَةٍ
الَّذِي مِنْ وَدٍ صَدِيقٌ أَمِينٌ
فَذِلِكَ الْمَغْبُونُ حَقَّ الْيَقِينِ
مَنْ فَاتَهُ وَدُ أَخْ صَالِحٌ

وله وهو من ملحوظ شعره

وَيَا شَوْقُ رَأْوِحْ بَيْنَ جَنْبَ إِلَى جَنْبٍ
عَصِيشُكُمَا حَتَّى أَغْيَبَ فِي الْتُّرْبَبِ
فَمَا النَّاسُ فِي عَيْنِي بِأَعْظَمَ مِنْ رَبِّي
فِيَا شَوْقُ لَا تَنْقَدْ وَيَا دَمْعُ فِضْ وَرَدْ
وَيَا عَكَادِلِي لُمِينِي وَيَا عَكَادِلَفْتِينِي
إِذَا كَانَ رَبِّي عَكَالِمَا سِرِيرَتِي

وله يصف روضة

فِي جَنَانٍ كَمَّا لَشَرَثَ فَوْ
قَ ثَرَاهَا حَرِيرَهُ خَضْرَاءُ
وَأَخْضَرَ الرَّجَسِ الْجَنِيَّ بُجُومُ
لِلرَّى تَحْتَهَا سُبَاثٌ وَلِمَّا

وله

٩٤

فَهَا أَنَا مُغْضِّ فِي رِضَاكَ وَصَارِبُ
عَلَى مِثْلِ مَصْقُولِ الْذَّبَابَيْنِ قَاضِبٍ
وَمُنْتَرِحٌ عَمَّا كِرْهَتْ وَجَاعِلُ
رِضَاكَ مِثَالًا بَيْنَ عَيْنِي وَحَاجِي

وله

كَفَرْحَةٌ كَانَتْ وَكَمْ تَرَحَةٌ
تَخْرَصَتْهَا لِي فِيكَ الظُّفُونَ
إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرْتَ غَيْرَ مَا
تُضْمِرُهُ أَبْتَثَكَ عَنْهُ الْعَيْوَنَ

وله

يُصَعِّدُ فِي الْحَشَانَقَسَا
وَيَسْهُرُ إِنْ فَتَّ نَسَا
يَظِلُّ يُعَاجِلُ الرَّفَرَا
تِ إِنْ أَغْنَى وَإِنْ جَلَسَا
غَدَا بِالشَّوْقِ هُجْتَهُ
وَعَلَلَ نَفْسَهُ بِعَسَى
مُحِبٌّ صَيَّرَ الشَّكُوْيِ
إِلَى جُلَسَائِهِ أَنْسَا

وكان أبو بكر محمد بن القاسم الأباري يختتم أماليه في مجالسه بمقطوع من شعر ابن
أبي أمية اسخساناً له واستعذاباً لألفاظه ويقرظه دائماً ويصفه .

١٠٤

دیر مُدیان

١٥ وهذا المير على نهر كرخا يبغداد. وكرخا ينبع من المحوّل الكبير ويمرّ على العباسية ويصب في دجلة. وكان قديماً عامراً ولما فيه جاريًّا ثم انظم وانقطعت جريته بالبئوق التي افتتحت في الفرات. وهو دير حسن نزه حوله بساتين وعمارة ويُقصد للتنزه والسباحة ولا يخلو من قاصد وطارق وهو من البقاع الحسنة النزهة.

ولحسين بن الصحّاف فيه

حُثَّ الْمَدَامَ فَإِنَّ الْكَاسَ مُتَرَعِّهٌ
إِنِّي طَرِبْتُ لِرُهْبَانٍ بِجُحَاوِيَةٍ
فَأَسْتَنْفَرَتْ سَبَحَنًا مِنِّي دَرَكُ بِهِ
قُقْلَتُ وَالدَّمَمُ فِي عَيْنِي مُطَرِّدٌ
يَا دَيْرَ مُدِيَانَ لَا عُرِيتَ مِنْ سَكِّنٍ
هَلْ عِنْدَ قَسْكَ مِنْ عِلْمٍ فَيَخْبِرُنِي
سُقْنِيَا وَرَعِيَا لِكَرْخَايَا وَسَاكِنِهِ

قال وكان أبو علي بن الرشيد يلارم هذا الدير ويشرب فيه وكان له قيام يملئن^{*}
إليه ويقيم به الأيام لا يفتر عرفاً وقصفاً. وكان شديد التهتك وكان من يجاور الموضع
يشكون ما يلقونه منه. فانتهى الخبر إلى إسحاق بن إبراهيم الطاهري وهو خليفة
السلطان ببغداد فوجه إليه يُقْبِحَ له فعله وينهاء عن المعاودة لمثله فقال وأي يد لإسحاق
عليَّ وأي أمر له فيَّ. أتراه يمنعني من سماع جواري والشرب بحيث أشتهرى.

١ الأصل: (الحزن) وردت فوق هذه الكلمة. ٢ الأصل: يحملهم.

- ٤٥ فلماً أتاه هذا القول منه أحفظه وأمهل حتى إذا كان الليل ركب إلى الموضع وأحاط به من جميع جهاته وأمر أن يُفتح باب الدير وينزل به على الحال التي هو عليها فأنزل به وهو سكران في ثياب مصبغة وقد تضمخ بالخلوق. فقال سوءة لك رجل من ولد الخليفة على مثل هذه الحال ثم أمر فرش بساط على باب الدير وبطّ عليه وضربه عشرين درة وقال إنَّ أمير المؤمنين لم يولني خلافته حتى أضيع في الأمور وأهلها ولا حتى أدعك وغيرك من أهله تعرّونه وتفخضونه وتخرجون إلى ما خرجت إليه من التبذل والشهرة وهتك الحمرة وإخراجهم إلى الديارات والحانات. وفي تأدیيك صيانة للخلافة وردع لك ولغيرك عن هذه الفضيحة. ثم أمر بعمارات كانت معه فاركب فيها مع حرمته ورده إلى داره. فبلغ ذلك المعتصم فكتب إليه يصوّب رأيه و فعله ويأمره أن لا يرخص لأحد من أهل بيته في مثله.
- ٥٥ وأمَّ أيٍ على هذا تُعرف بشكل. وكان الرشيد قد اشتراها وصاحبة لها تُعرف بشذر في يوم واحد فحملت شذر وولدت أمَّ أيها فخسنتها شكل وبلغ بها الحسد إلى أمر عظيم من العداوة حتى اشتهر ذلك. وحملت شكل وولدت أمَّ أيٍ وماتت أمَّاها وبقيت العداوة بين أمَّ أيٍ وأمَّ أيها حتى بلغ الأمر إلى أن تهاجيا بالأشعار وشاع أمرهما في جميع آل الرشيد. فلما قُتل الأمين وورد المأمون إلى بغداد جلس يوماً وعمه إبراهيم بن المهدى وأبو إسحاق أخيه والعباس ابنه وتذاكروا العداوة التي بين هذين فقال لقد سمعت بخبر عداوتهم بخراسان ولقد همت أن أصلِّي بينهما.
- ٦٥ ووجه فأحضر أمَّ أيها وأقبل يعاتبها وهي مطرقة لا ترذ جواباً ثم أمر بإحضار أبي علي فلما رأته أمَّ أيها تقبّلت وسترت وجهها فقال المأمون كت مسفة فلما حضر أخوه تقبّلت. قالت والله يا أمير المؤمنين لسفوري بين يدي عبد الله بن طاهر وعلى بن هشام أوجب من سفوري لأبي علي فوالله ما هو لي باخ ولا للرشيد بابن فقد قال الله عزَّ وجلَّ في قريش ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مَنْ جُوعَ وَآمَنُهُمْ مَنْ خَوْفٍ﴾ . قال ابن عباس آمنهم من البرص والجذام وهو والله أبرص وما هو إلا ابن فلان الفراش.

فأمر المؤمنون أخاه أبا إسحاق بجلدها حداً فقالت سوءة يا أمير المؤمنين أن تحدّ
 ٧٥ أختك لابن الفراش وسنت على بنات الخلفاء الحد. فوالله لقد ظنث أن أمره
 يستتر. فأما الآن فوالله ليتناقلته الرواة ولি�تحذث به إلى أن تقوم الساعة. ونهضت
 فقال المؤمن قتلها الله فلو كانت رجلاً وكانت أقعد بالخلافة من كثيـر من الخلفاء.
 وقد أبا على الصلاة على جنائز أولاد الخلفاء ليـدرأ عنه العيب.

٨٥ وزوج إلى ذكر إسحاق بن إبراهيم ونورد طرقاً من أخباره في حزمه وضبطه بقدر
 ما يليق بالكتاب. إسحاق هذا هو ابن أخي طاهر بن الحسين ويكتـيـ أبا الحسين وكان
 المؤمن اصطنعه وولـاه خلافة عبد الله بن طاهر بحضرته لما أخرج عبد الله إلى
 خراسان وكان أشد الناس تقدماً عنده واختصاصاً به. فذكر عبد الله بن خردابـه
 أنه حضر مجلس المؤمن يوماً وقد عرض عليه أحمد بن أبي خالد رقاً فيها رقة قوم
 منتظـامـين من إسحاق بن إبراهيم فلما قرأها المؤمن أخذ القلم وكتب على ظهرها ما
 في هؤلاء الأربـاسـ إلا كلـ طاعـنـ واـشـ. إسـحـاقـ غـرسـ بيـديـ ومن غـرسـهـ أـنجـبـ
 ولم يـخـلـفـ. لا أـعـدـيـ عـلـيـهـ أـحـدـاـ. ثم كـتبـ إلىـ إـسـحـاقـ رـقـةـ فـيـهاـ مـنـ مـوـذـبـ مشـقـ
 إلىـ حـصـيفـ مـتـأـدـبـ يـأـبـيـ منـ عـرـقـ تـواـضـعـ وـمـنـ قـدـرـ عـفـاـ وـمـنـ رـاعـىـ أـنـصـفـ وـمـنـ
 رـاقـ حـذـرـ. وـعـاقـبـةـ الدـالـةـ غـيرـ مـحـمـودـةـ وـمـلـؤـنـ كـيـسـ فـطـنـ. وـالـسـلـامـ.

٩٥ وهي إسحاق للمؤمن ثم للمعتصم ثم للواشق ثم للمتوكل ومات في أيام المـتوـكـلـ فأقامـ
 ابنـهـ مـهـداـ مكانـهـ فـلـبـثـ يـسـيرـاـ وـمـاتـ فـاسـدـعـيـ مـهـدـبـنـ عـبدـ اللهـ بنـ طـاهـرـ مـنـ خـراسـانـ
 وـرـدـ إـلـيـهـ مـاـ كـانـ إـلـيـ إـسـحـاقـ.

١٠٥ وـذـكـرـواـ أـنـ بـعـضـ وـلـدـ الرـشـيدـ وـكـانـ لـهـ مـوـضـعـ مـنـ النـسـبـ وـمـكـانـ مـنـ الـعـرـفـةـ
 وـالـأـدـبـ مـرـضـ يـعـدـادـ مـرـضـاـ طـالـ وـلـمـ يـقـدـرـ عـلـيـ الرـكـوبـ فـاشـتـهـيـ التـفـرـجـ وـالتـنـزـهـ فـيـ
 الـمـاءـ فـأـرـادـ أـنـ يـبـيـ زـلـلـاـ يـجـلـسـ فـيـهـ فـنـعـهـ إـسـحـاقـ وـقـالـ هـذـاـ شـيـءـ لـاـ نـحـبـ أـنـ يـعـملـ

١ الأصل: (ألا رحم الله تعالى أمير المؤمنين عبد الله المؤمن ما كان أوسع عليه وأغزر عقله في أمره وتقليده لأبي علي في الصلاة على الجنائز من أولاد الخلفاء) وردت في المأمور.

مثله إلا بأمر أمير المؤمنين وإذنه. فكتب إلى المعتصم يستأذنه في ذلك فخرج الأمر لإسحاق بإطلاقه له فكتب إسحاق ورد عليه كتاب من أمير المؤمنين بإطلاق بناء زلزال لم يُحدّي طوله ولا عرضه فوقت أمره إلى أن أستطع الرأي في ذلك. فكتب إليه يمده على احتياطه ويحدّي ذرع الزلزال.

قال ولما انقل المعتصم إلى سرّ من رأى كان الناس في يوم الوبك يغشون دار ١١٥ للأمون ويقطدون فيها على سبيلهم في حياته إجلالاً للسلطان وتعظيمًا لأمره فانصرف محمد بن إسحاق في يوم من الأيام الحارة وقد أطال الركوب واجتاز بدار المأمون وقد قتل قلنستوه على رأسه مستترًا بها من الشمس بلغ أباه ذلك فضربه معاقبًا له على اجتيازه بباب الخليفة متبدلاً.

وذكر عبد الله بن خردانبه أنه خرج يوماً من بين يدي المأمون في أثر إسحاق ١٢٥ ابن إبراهيم حتى إذا صار إلى الدهليز الثاني وقف ووقف القواد والناس لوقفه ثم قال أين خليفة علي بن صالح وكان علي ذلك الوقت صاحب أمر الدار والمرسوم بالمحجة فأتي بخليفته فضربه مائة مقرعة ثم قال الحبس. ثم قال هاتوا خليفة صاحب البريد فأتي به فضربه مائة مقرعة ثم قال الحبس. ثم دعا علي بن صالح وبصاحب البريد وقال لهما تقددان خلافتكما في دار الخليفة من يضيع الأمور ويحملها. كتما بهذا الأدب أحق من هذين. فقالا وما كان من أمرهما الذي أكرهه أيها الأمير فقال صاحب البريد يقعد في دار الخليفة فيضحك ويقهقح وصاحب الدار جالس لا ينكر ثم خرج. قال فكنت أدخل الدار بعدها فلا أرى فيها ضاحكاً.

قال ودخل إسحاق في يوم نوروز إلى الم توكل والسماجة بين يديه وعلى الم توكل ١٣٥ ثوب وشي مقلل وقد كثر أصحاب السماجة حتى قربوا منه للقط الدرهم التي تنشر عليهم وجذبوا ذيله. فلما رأى إسحاق ذلك ولئن مغضباً وهو يقول أفت تفتأملي حراسنا المملكة مع هذا التضييع. ورآه الم توكل وقد ولئن ف قال ويلكم ردوأبا الحسين فقد خرج مغضباً. فخرج الخاتم والخدم خلفه ودخل وهو يسمع وصيفاً وزرافة كل مکروه حتى وصل إلى الم توكل فقال ما أغضبك ولم خرجت فقال يا أمير المؤمنين

عساك تتوهم أنَّ هذا الملك ليس له من الأعداء مثل ما له من الأولياء. تجلس في مجلس ينتذلك فيه مثل هؤلاء الكلاب حتى يجذبوا ذيتك وكلَّ واحد منهم متذكر بصورة منكرة فما يومن أن يكون فيهم عدو قد احتسب نفسه ديانةً وله نية فاسدة وطوية رديئة فيث بك فتى كان يستقال هذا ولو أخليت الأرض منهم فقال يا أبا الحسين لا تخضب فوالله لا تراني على مثلها أبداً. فُبني لامتوكل بعد ذلك مجلس مشرف ينظر منه إلى السماحة.

١٤٥٥ وذكر موسى بن صالح بن شيخ أنه كلم إسحاق بن إبراهيم في امرأة من أهله وسألَه النظر لها فقال يا أبا محمد من قصة هذه المرأة ومن حالها ومن بعلها فوالله إن زال يصفها حتى تحيَّرْتُ. قال أبو البرق الشاعر كان إسحاق يُجري عليَّ أرزاً فأنشدته يوماً فسألني عن عيالي وما أحتاج إليه لهم. ثمَّ قال لي تحتاج عيالك في كل شهر من الدقيق كذا ومن كذا فما زال يخبرني بشيء من أمر منزلتي جهله وعلمه هو.

١٥٥٥ قال وورد على إسحاق كتاب من العتصم وهو جالس يشرب ومعه محمد بن راشد الخناف وكان خصيصاً به أثيراً عنده. فما فرغ من قراءة الكتاب حتى قال سياط وعقابين وجلادين. فأحضر ذلك فامر محمد بن راشد فأقيم من مجلسه وشق عنه ونصب في العقابين وهو يقول أيها الأمير ما حالي وما قصتي فقال الحق الجوهر الذي كان لفلان من صفتة كيت وكيت تحضرني الساعة والإلَّا أتيت على نفسك. فذهب يتلَّكاً فقال أوجعوا فلما أحس بالضرب قال أنا أحضره أيها الأمير. قال وحق أمير المؤمنين لا برجت مكانك أو تحضره. فأحضره لوقته فلما رأه إسحاق سري عن وأسف وجهه وقال هاتوا ثياباً فأتي بخلة فألبسها ورده إلى موضعه وأجاب عن الكتاب وأنفذ الحق لوقته إلى المعتصم فقال محمد أيها الأمير ما أبعد ما بين الفلين. فقال ويحك وفَتَ الخدمة والنصيحة حقها ووفيت المودة بعد ذلك حقها.

وذكر أبو حشيشة الطنبوري قال كنت يوماً في منزلي إذ طرق الباب صاحب بريد
١٦٥ وقال أجب فلما قال أجب علمت أنه أمر عال فلبست ثيابي ومضيت معه حتى
دخلنا دار إسحاق بن إبراهيم فعدل بي إلى ممر طويل فيه حجر مقابلة تفوح من جميعها
روائح الطعام. فادخلت حجرة منها وقدم إلى طعام في نهاية النظافة وطيب الراحة
فأكلت وجاؤني ثلاثة أرطال فشيرت وأحضروني صندوقاً فيه طنابير فاخترت
طنبوراً منها وأصلحته على الطريقة وأخرجت من الموضع إلى حجرة لم أر أحسن منها
إذا في مجلسها رجالان جالسان على أحدهما قباء ملعم وقلنسوة سمورية وعلى الآخر
ثياب خرز وستارة مضربة فسلمت وأمرت بالجلوس فلبت فقال لي صاحب
السمورية عن فغيت

كَا أَرَانِي إِلَّا سَأَهْجُرُ مَنْ لَيْسَ يَرَانِي أَقْوَى عَلَى الْهَجَازِ
مَكَلَّنِي وَاثِقًا بِحُسْنِ وَفَكَائِي مَا أَضَرَّ الْوَقَاعَ عَلَى الْإِنْسَانِ

فغيته فشرب رطلاً وقرر الستارة وقال غنوه فغنى الصوت أحسن غناء في الدنيا
١٧٥ وخلت أنَّ البيت يرقص فقال لي كيف ترى قلت قد والله يا مولاي بغضوا إليَّ هذا
الصوت وسمحوه في عيني. فضحك واستعادنيه ثلاث دفعات يشرب في كل دفعه منها
رطلاً ثم قال أتراني قلت لا قال أنا إسحاق بن إبراهيم وهذا محمد بن راشد الخناف
والله لئن ظهر حديث هذا المجلس منك لأضربيك ثلاثة سوط. قم إذا شئت.
فقمت من بين يديه فلتحني الغلام بصرة فيها ثلاثة دينار فاجتهدت أن يأخذ منها
 شيئاً فأبلي.

وذكر عمرو بن باحة قال وجه إلى إسحاق بن إبراهيم في آخر النهار فصرت إلى داره
١٨٥ ودخلت عليه وهو جالس في طارمة ملبسة بالحزام على دجلة وقد ابسط القمر على
الروشن وعلى دجلة وهو من أحسن منظر رأيت قط والمغنون^١ جميعاً بين يديه وبذل

^١ الأصل: والمغنوون.

جالسة وراء مقطع في الطارمة فلم يزل جالساً بوضعه ونحن بين يديه إلى أن نودي بالغفران وقنا وقال لنا الغمان انصرفا فنزلنا إلى الشظ ودعونا بسميرية فجلسنا فيها جميعاً وقلت لهم إن منزلي أقرب من منازلكم فاجعلوا مقامكم اليوم عندي ففعلوا. وحصلنا في المنزل فطلبت فيه شيئاً يؤكل فلم أجد فأمرت بإحضار المائدة فأحضرت فارغة وطرحت في وسطها مائة درهم صحاحاً وقلت يوجه كل واحد منكم فيشرى له ما يريد فما كان بأسرع من أن امتلأت بكل شيء فأكلنا وشربنا ومرّ لنا يوم طيب وتفرقنا آخر النهار وفي قلوبنا عصص مما فعله بنا إسحاق وما فاتنا من تلك الليلة الحسنة في ذلك الموضع الحسن.

١٩٥٥ فضيت بعد ذلك إلى بذل وسائلها عن السبب فيما فعله فقالت قد سأله عن ذلك فقال ويحك أنا أشتئي الشرب في مثل هذه الليلة منذ سنة وأدفع نفسي به فلما حصل لي جميع ما أريده واستهت به أردت أن أرى نفسي سلطاني عليها وقهرى لها ومنعها مما تحبه لئلا تقدوني إلى ما تزيد ففعلت ما رأيت.

٢٠٠٥ وكان مع ذلك حسن المرؤة كريم النفس . فذكر أبو حشيشة قال دعاني في بعض الأيام فصرت إليه وجلست أغنىه وعليه دراعة خرّ خضراء لم أر أحسن منها قط . فجعلت أنظر إليها وفطن بنظري فدعا بالخازن وقال كانوا جاؤونا منذ أيام عشرة أثواب خرّ خضر هذا أحدها فتني بيقيتها فأحضر تسعة أثواب يتجاوز حسنها كلّ وصف فأعطانيها فبعث من رذالها الثوب بمائة دينار .

٢١٥ وقال طرق أحمد بن يوسف الكاتب إسحاق بن إبراهيم فقدم إليه كل شيء حسن من الأطعمة والآلة وضُربت الستائر وأحضرت الفواكه والنبيذ ومرّ يوم لم يكن مثله . ثم سأله أَحمد أن يكون عنده من الغد فقال أَحمد يفوتي الصيد . فأحضر جارية وغلاماً وفرساً لم ير أحسن منهم وقال هذا صيدك غداً ثم تصنع له من الغد فرأى أَحمد شيئاً لم ير مثله قط . وقال له إسحاق أَمس كان فتوة واليوم مروة .

وكان المؤمن يصير إليه إلى داره فقيم عنده الأيام هو وغلمانه وحشه أنساً به وثقةً بمكانه.

واجتازت يوماً زبدة في دجلة في حراقها فصعدت إلى دار إسحاق لبعض حاجتها فعرض عليها إسحاق الطعام فأمرت بإحضاره فجابت مما رأت وما قدّم. وقالت والله ما كانت لي حاجة إليه وإنما أردت أن أختبر مروته فوجده أتم الناس مرؤة. هذا من غير تصنع لي ولا علم بمحبي.

١ الأصل: (مرور الاست زبدة على مسكن إسحاق فدخلت إليه لتنتظر مروته) وردت في الهاشم.

ديرأشموني

١٦ وأشموني امرأة بُني المدير على اسمها ودفنت فيه وهو بقطربيل غربي دجلة وعدها اليوم الثالث من تشرين الأول وهو من الأيام العظيمة يغداد يجتمع أهلها إليه كاحتراهم إلى بعض أعيادهم ولا يبقى أحد من أهل التطرف واللعب إلا خرج إليه فنهم في الطيارات ومنهم في الزبارب والسميريات كل إنسان بحسب قدرته ويتنا夙ون فيما يظهرون عليه هناك من زيهما وباهون بما يعودونه لقصفهم ويغمرون شطه وأكافه وديره وحاته وتنرب لذوي السلطة منهم الخيم والفساطيط وتعز عليهم القيان فيظل كل إنسان منهم مشغولاً بأمره وبِمَكَّاً على لهوه. فهو أعجب منظر وأنراه وأطيب مشهد وأحسنه. وهناك أيضاً دير يسمى دير الجرجوث وحوله بساتين ومزارع ومن ضاق به دير أشموني عدل إليه.

٢٦ قال بمحظة خرجت في عيد من أعياد أشموني إلى قطربيل فلما وصلت إلى الشط مددت عيني لأنظر موضعًا خالياً أصعد إليه أو قوماً ظرفاً أنزل عليهم فرأيت فتى من أحسن الناس وجوهاً وأنظمهم لباساً وأظرفهم آلة فقدمت سميرتي نحوم وقلت أتأذنون في الصعود إليكم فقالوا بالربح والسعادة. فصعدت وقلت يا غلام طنبوري ونبيدي. فقالا أما الطنبور فعم وأما النبيذ فلا. فلست مع أحسن الناس أخلاقاً وأملحهم عشرة وأخذنا في أمرنا ثم تناولت الطنبور وغيثت بشعري

سُقِيَا لِإِشْمُونِي وَلَدَاهُمَا
وَالْعِيشِ فِيمَا بَيْنَ جَنَاحَتِهِمَا
سُقِيَا لِأَيَامٍ مَضَتْ لِي بِهِمَا
مَا بَيْنَ شَطَنِهِمَا وَحَاتِهِمَا
إِذْ أَصْطَبَاهِي فِي بَسَاتِهِمَا
وَإِذْ عُسْبُوقِي فِي دِيَارِهِمَا

١ الأصل: الشموني.

٢٦ فَعَرَ الْقَوْمَ وَشَرِبُوا بِالْأَرْطَالِ وَشَرِبُتِ وَطَابَ لَنَا الْوَقْتُ ثُمَّ قَلَّ لِأَحْدَهُمَا فَدَاكَ مَا أَرَى فِي هَذَا الْجَمْعِ أَرْقَ مِنْكَا طَبِيعًا وَلَا أَرْقَ نَبِيًّاً فَقَالَ لِي مُجِيَّا

شَرَابِيَ رَقِيقٌ كَمَا قَدْرَأَيْتَ وَدِبْسُمُ بِنْبَابِ يُسَاطِ

وَأَشَارَ إِلَى الْقَوْمِ ثُمَّ قَالَ

فَكَيْفَ أَكُونُ نَظِيرًا لَّهُمْ أَبْنَى لِي بِعَقْلِكَ . . . ضُرَاطٌ^١

ثُمَّ قَالَ أَزِيدُكَ قَلْتَ لَا وَمِنْ لَنَا أَطِيبُ يَوْمًا وَأَحْسَنَهُ.

٤٦ قالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَؤْمَلِ الطَّائِيَّ كَتَبَ مَعَ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ فِي سَمِيرِيَّةِ وَنَحْنُ سَائِرُونَ إِلَى أَشْنُونِي فَسَمِعْ غَنَاءً طَرِبَ لَهُ فَقَالَ لِي تَحْسِنْ تَرْقُصَ قَلْتَ نَعَمْ فَقَالَ قِمْ بِنَا نَرْقُصْ. قَلْتَ نَحْنُ فِي سَمِيرِيَّةِ وَأَخَافُ أَنْ تَفَرَّقَ قَالَ وَإِنْ غَرَقْنَا نَكُونُ مَاذَا إِلَّا نَكُونُ شَهَادَةَ الْطَّرِبِ.

٥٦

وَلِلثَّرَوَانِيَّ فِيهِ

اَشَرَبَ عَلَى قَرْعَ النَّوَاقِيسِ فِي دَيْرِ اَشْمُونِي بِتَغْلِيسِ
لَا تَخْفِ كَاسَ الشَّرِبِ وَاللَّيلُ فِي حَدَّتِعِيمِ لَا وَلَا بُوسِ
إِلَّا عَلَى قَرْعَ النَّوَاقِيسِ اُو صَوَتِ قُسَانِ وَشَمِيسِ
فَإِنَّمَا اَلَّشَيْءُ بِاسْتَبَابِهِ وَمُحْكَمُ الْوَصْفِ بِتَاسِيسِ
فَهَكَذَا فَآشَرَبَ وَلَا فَكْنَ بُجَاؤِرًا بَعْضَ النَّوَاقِيسِ

^١ كذا في الأصل.

قال كتب يحيى بن كامل إلى عبد الملك بن محمد الهاشمي في يوم أشموني

الْيَوْمَ أَشْمُونِي أَبَا الْفَضْلِ
وَهُوَ يَحْبِبُ طَيْبَ الظَّلَّ
وَأَتَتْ لِيَوْمِ صَرِيعٍ فَكَا
تَصْنَعُ يَحْيَى أَبَا الْفَضْلِ

فوجئ إليه بما ركبه وصار إليه وعرف الجماش الخبر فكتب إليه

قُولًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ الْمَاهِرِ
وَلِابْنِ عَمِ الْمُصْطَفَى الظَّاهِرِ
أَمَا تَرَى الْيَوْمَ وَأَحْوَالَهُ
تَدْعُوا إِلَى حَثَّكَ بِالْذَّائِرِ
عِيدٌ وَغَيْمٌ زَارَ فِي يَوْمِنَا
فَقُمْ بِحَقِّ الْعِيدِ وَالْزَّائِرِ
وَالْيَوْمَ أَشْمُونِي فَبَادِرْ بِنَا
نَحْمَسْ كَا فِي يَوْمِنَا الظَّاهِرِ
جَبَسْتَ يَحْيَى ثُمَّ أَغْفَلْتَنِي
أَحْلَتْ عَنْ جَمَاشِكَ الشَّاعِرِ

فوجئ إليه وأحضره ومر لهم يوم طيب.
ولأبي الشبل البرجي فيه

شَهَدْتُ مَوَاطِنَ الْلَّذَاتِ طُرَّا
وَجُبْتُ بِقَاعَهَا بَحْرًا وَبَرًا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ أَشْمُونِي حَلَّا
الَّذِي حَاضِرِيهِ وَلَا أَسْرَأً
بِهِ جَيْشَانَ مِنْ خَيْلٍ وَسُفْنَٰ
أَنْاخَكَ فِي ذُرَاهٍ وَأَسْتَقَرَّا
كَأَنْكُمْ مَارْجُوفُ وَغَانَا وَلَكِنْ
إِلَيْهِ الْلَّذَاتِ مَا كَرَّا وَفَرَّا
سِلَاحُهُمَا الْقَوَاقِرُ وَالْقَنَائِيْنِ
وَصَرُّهُمَا الْمَثَالُ وَالْمَشَانِيْنِ
إِذَا مَا الضَّرُبُ فِي الْحَرَبِ أَسْخَرَّا
إِذَا أَسْدَ الْحَرُوبِ أَسْرَنَ قَسْرَا
لَقَدْ جَرَّتْ لَنَا الْهَيْحَاءُ خَيْرًا

وكان أبو الشبل هذا من الطياب وله شعر مليح وطبع رقيق وكان منعكفاً على
الشرب لا يقارقه ولا يوجد إلا سكران وكان ينطرب في الديارات والخانات ومواطن
اللهو لا يفتها ولا يتآخر عنها. وكانت بيته وبين محمود الوراق مودة وكانا لا يفترقان.
وذكر أبو الشبل قال صرت أنا ومحمود إلى قطربل فدعونا المثار وقلنا إيتنا بنت عشر
قد أنضجها الحجير. فباءنا بها. فقلنا استغنا فسقانا اشرب واستغنا فقال أنا مسلم
وكان يهودياً قد أسلم فقال لي محمود قوم يكون المثار عندهم مسلماً متراجعاً وهم عند
المثار كهار. أترى الله فيهم حاجة.

قال كان أبو الشبل يعاتب خنساء قينة هشام الضرير التحوي وكانت تقول الشعر
فبعث بها يوماً وأفطرت فقضبت وقالت ليت شعري بأي شيء تدل. أنا والله أشعر
منك ولئن شئت لأجهونك حتى أفضحك. فأقبل عليها وقال

خَنْسَاءُ قَدْ أَفْرَطْتَ عَلَيْنَا فَلَيْسَ مِنْهَا لَنَا جُبِّيرٌ
تَاهَتِ بِأَشْعَارِهَا عَلَيْنَا كَمَّا نَاكَهَا جَرِيرٌ

فُجِّلت وانقطعت عن جوابه.

ولأبي الشبل في جارية سوداء كان يهواها فعوب عليها وكان مولعاً بالسودان

غَدَتْ بِطُولِ الْمَلَامِ عَادِلٌ
وَيَحْكُمْ كَيْفَ السُّلُوْعَنْ غُرْرٌ
يَحْمِلُنَّ بَيْنَ الْأَخْفَادِ أَسْمَهُ
لَا عَذَّبَ اللَّهُ مُؤْمِنًا هُمْ
فَإِنَّمَا بِالسَّوَادِ مُبْتَهِجٌ

وله في جارية كان يحبها اسمها تبر

١١٦

لَمْ تُصْفِيْ يَا سَمِيَّةَ الْدَّهَبِ
شَلَفُ نَفْسِيْ وَأَنْتِ فِي لَعْبِ
يَا بُنْتَ عَمَّ الْلِسْكِ الْدَّكِيْ وَمَنْ
لَوَلَاكِ لَمْ يُجْنِيْ وَمَمْ يَطْبِبِ
نَاسَبَكِ الْلِسْكُ فِي السَّوَادِ وَفِي الْطَّيْبِ فَأَكْرَمْ بِذَاكَ مِنْ سَبِّ

دير سابر

١٠٧ وهذا الدير ينزعجي^١ وهي بين المزففة والصالحية في الجانب الغربي من دجلة. وهي عاصمة نزهة كثيرة البساتين والفوواكه والكرم والخانات والمحارين معمورة بأهل النظر والشرب وهي موطن من مواطن الخلاء. والدير حسن عامر لا يخلو من متزهء فيه وممتنع إليه.

٢٠٧ وللحسين بن الصحّاك فيه

وَعَوَاقِيْ بَاشَرَتْ بِيْنَ حَدَائِقِ
فَفَصَضَتْهُنَّ وَقَدْ حَسْنَ صِحَّاكا
أَشْبَعْتْ وَخْرَةَ تِلْكَ وَخْرَةَ هَذِهِ
حَتَّى شَرِبَتْ دِمَاءَهُنَّ جِرَاحَا
أَبْرَرَتْهُنَّ مِنْ الْخُدُورِ حَوَاسِرَا
وَتَرَكَتْ صَوْنَ حَرِيمَهُنَّ مُبَاحَا
فَجَمِعَتْ بَدْرَا وَالصَّبَاحُ يَلْوُحُ لِي
فِي دِيرِ سَابِرِ وَالصَّبَاحَ وَرَاحَا
فَادْهَبْ بِطَنَكَ كَيْفَ شِئْتَ فَكَلَهُ
مِمَّا أَقْرَفْتَ تَعَظُّرُسَا وَجِمَاحَا

٢٠٧ وكان الحسين بن الصحّاك من الأدباء الشعراء وأهل الخلاعة والجرون وبالخليل يُعرف ونادم جماعة من خلفاءبني العباس منهم الأمين والمعتصم والواشق والمتوكل. فأماماً المؤمن فإنه لم يدخل إليه ولم يختلط به وذاك أنه رثى الأمين فقال فيه

هَلَّا بَقِيَتْ لِسَدْ فَاقَتِنَا فِينَا وَكَانَ لِغَيْرِكَ الْثَّالِفُ
قَدْ كَانَ فِيكَ مِنْ مَضَى خَافُ فَالْيَوْمَ أَعُورَ بَعْدَكَ الْخَلَفُ

فلما ورد المؤمن إلى بغداد أمر بأن ثبت له أسماء من يصلح لمنادته من أهل الأدب فأثبتت له قوم ذكر فيهم الحسين بن الصحّاك فقال أليس القائل وَكَانَ لِغَيْرِكَ الْثَّالِفُ

١. كما في عواد. الأصل: ماروعي.

والله لا رأي وجهي إلا على قارعة الطريق. فلم يحظ طول أيام المؤمنون بشيء.
وقد كان وقت خدمته المتوكّل ضعفَ كثيراً فكتب إليه يستغفِيه من الخدمة فقال
٤٧

أَسْلَفْتُ أَسْلَافَكَ فِيمَا مَضَى
مِنْ خَدْمَتِي إِحْدَى وَسِتِّيْنَ
كُثُرَ أَبْنَ عِشْرِينَ وَخَمْسَ فَقَدْ
وَفَيْتُ بِضَعْنَا وَمَكَانِنَا
إِنِّي لَمَعْرُوفٌ بِضَعْفِ الْقُوَى
وَإِنْ تَجْعَلَنِي لَذَنْ أَحَاسِنَا
خِدْمَةَ أَبْنَاءِ الْشَّلَاثِيْنَ
وَأَنْ تَحْمِلْتُ عَلَىْ كِتْرَى
هَدَتْ قُرَائِيْ وَوَهَتْ أَعْطَيِي
وَخَفَتْ أَنْ يَجْعَلَنِي مُجْهِلَّ
إِلَهَيْتُ أَنْ يَعْبِرِيْ مَدَاوِيْنَا

عزون هذا الذي ذكره نديم كان للمعتصم ثم نادم المتوكّل. وذكر عزون هذا قال
٥٧
كما مع المعتصم في بعض متزهاته فاحتاجنا^١ أن نخوض نهرًا وكان معنا الحسين بن
الضحاك فكاد أن يغرق فقبض المعتصم على عضده وحمله من السرج حتى عبر به
النهر إشفاقاً عليه.^٢

٦٧ وكان الحسين مستهترًا بالخدم جدًا ولم يقصر عن ذاك حتى مات. قال المتوكّل
أشداني الحسين قوله

فَلَوْ شِئْتَ يَأْسِرْتُ
كَمَا سُمِّيَتْ يَأْسِرَتْ
وَلَا وَاللهِ لَا تَبْرَرَ
حَوْيَيْنِي صِرَامِ الْأَمْرِ
فَإِمَّا الْبَذْلُ وَالشُّكْرُ
فَدَعَنِي مِنْ مَوَاعِيدِ
كَيْ إِذْ حَيَنَكَ الدَّهْرُ
فَقُلْتُ أَيْمَانِيْ كَانَ

١ الأصل: (فاحتاجنا) وردت مرتين. ٢ الأصل: حسين. أقول انظر إلى أخلاق المعتصم أمير المؤمنين مع علو
شرف نفسه كيف خشي على تكدر مجلسه من النكداً لتحقيق غرق أحد جلسائه فأنقذه بنفسه وحمله من سرجه بنفسه ولم يسأل
أحداً من أتباعه فعل ذلك) وردت في الهاشم.

قال أبو عبد الله بن حمدون كنا عند المتكلّم في يوم نوروز والهدايا تُعرض عليه
و فيها تمثيل من عنبر وكان شفيع الخادم واقفاً وعليه أقية موردة ورداء مورد وهو
فيها من أحسن الناس فعل المتكلّم يدفع إلى شفيع قطعةً من ذلك العنبر
ويقول إدفعها إلى الحسين^١ واغمز يده. وكان آخر ما دفع إليه وردةً حمراء حيّاه
بها فأنشأ يقول

وَكَالْوَرْدَةِ الْبَيْضَاءِ حَيَا بِحُمْرَةٍ
مِنَ الْوَرْدِ يَسْعَى فِي غَلَائِلِ كَالْوَرْدِ
لَهُ عَبَّاثَاتٌ عَنْدَ كُلِّ تَحْيَةٍ
بِكَفَيهِ يَسْتَدْعِي الْخَلَائِي إِلَى الْوَجْدِ
مَمْتَيْتُ أَنْ أَسْقَى بِكَفَيهِ شَرَبَةً
تُدْكِنِي مَا قَدْ سَيَّتْ مِنْ الْأَمْهَدِ
سَقَى اللَّهُ دَهْرًا لَمْ أَبْتِ فِيهِ لِيَلَهَٰ
مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا مِنْ حَيْبٍ عَلَى وَعْدِ

فأمره المتكلّم أن يسقيه وقال قد أعطيناك أمنيتك.

وكان الحسين ينادم صالح بن الرشيد فشرب معه مرّةً في متزهه باري وهي من أعمال
كلاذا وكان له هناك بستان حسن جليل وسورة باق إلى الآن وأثاره. وقال يصف
البستان وصبوحهم فيه وهي من مليح شعره

وَأَنَّ إِلَيْكَ مِنْ قَلْبِ قَرِيبٍ
مَنْتَ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ الْمُرِيبٍ
أَمَا يَنْهَاكَ حُسْنُكَ عَنْ قَبِيجٍ
بِسَفْسِي نَفْسُ مُشَهِّمٍ نَصِيجٍ
وَجَوْسَقَهَا الْمَشِيدَ بِالصَّفِيجٍ
إِلَيَّ بِرِيجٍ شَكَوْحٌ أَيْكَتِيهَا
وَلَنَّ أَنْسَى مَصْكَارَعَ لِلسُّكَارَى

أَمَا نَاجَاكَ بِالنَّظَرِ الْفَصِيجٍ
فَلَيَتَكَ حِينَ تَاجِرُهُ ضَرَارًا
بِحُسْنِكَ كَانَ أَوْلُ حُسْنٍ ظَنِي
وَمَا يَتَفَكُّ مُهْتَمًا لِلْضَّيْجٍ
أَحِبُّ الْفَيَّهُ مِنْ نَخَلَاتِ باري
وَبِعُبُونِي شَكَوْحٌ أَيْكَتِيهَا

^١ الأصل: حسين.

وَكَأسٌ فِي يَمِينٍ عَقِيدَ مَلِكٍ
 صَدِيقُ مُدَامَةٍ هَوَىٰتْ صَرِيمًا
 وَهَلْ تُرْزِي الصَّرِيمَهُ بِالصَّرِيجِ
 أَلَا يَا عُمَرُو هَلْ لَكَ فِي الصَّبُوحِ
 هَلْمٌ إِلَى صَفِيَّهِ كُلُّ رُوحٍ
 قَسَامٌ عَلَى تَحَاذِلِ مُقْلَشِيهِ
 وَسَلَسَلَ بِالسَّنْجَمِ وَالبَرِيجِ
 وَأَتَبَعَ سَكَّةَ سَلَفتِ بِآخْرَىٰ وَخَلَى الصَّمَوِّ لِلْحَرَّ الشَّرِيجِ

٩٠٧ ذُكِرَ عمرو بن بانة قال كَأَنْتَ عند صالح بن الرشيد في بستانه هذا ومعنا الحسين بن الصحّاف وحولنا من النرجس أمر عظيم وقد طلع القمر على الشجر والنور ووقتنا من أحسن وقت رئي وخادم لصالح كان يحبه يسقيه فقال للحسين قل في مجلسنا هذا شيئاً يتغنى به ابن بانة. فقال وأشار إلى الخادم

وَصَفَ الْبَدْرُ حُسْنَ وَجْهَكَ حَتَّىٰ خَلَتْ أَيْنِي وَمَا أَرَاكَ أَرَاكَ
 وَإِذَا مَا شَفَقَ الْمَرْجُسُ الْفَضُّلُ تَوَهَّمْتُهُ نَسِيمَ نَشَاكَ
 خُدَعُ الْمُسْكَنِ تَعْلَلَيْ فِيكَ يَا شَرَاقَ دَازَّ وَهَاجَةَ دَازَّ
 لَادَوْمَنَ مَا حَيَّتْ عَلَى الْوَدَ لِهَكَادَا وَذَاكَ إِذْ حَكَيَا

قال عمرو فغنت فيه ومرّ لنا أطيب وقت وأحسن.

١٠٧ قال الحسين بن الصحّاف كَنْتْ جالساً في داري يوم شَكَ وقد أَفْطَرَ المأْمُونْ وأَمْرَ النَّاسِ
 بالإفطار فجاءني رقة الحسن بن رجاء يقول فيها

هَرَرْتُكَ لِلصَّبُوحِ وَقَدْ نَهَانِيٌّ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيَّنَ عَنِ الْصَّيَامِ
 وَعِنْدِيٌّ مِنْ بَنَاتِ الْكَخِ عَشْرُ
 يَطِيبُ بِهِمْ مُصَافَحَةُ الْمَدَامِ
 وَمِنْ أَمْثَالِهِنَّ إِذَا أَنْتَشَيْنَا
 نَرَانَا بِجَنْتَنِيٍّ ثَمَرَ الْحَرَامِ
 فَكُنْ أَنْتَ الْجَوَابَ فَلَيْسَ شَيْءٌ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ حَذْفِ الْكَلَامِ

١ الأصل: أَمْثَالِهِمْ.

فوردت على رقعته وقد أرسل إلى محمد بن الحارث بن بسخنر غلاماً له نظيف الوجه
و معه ثلاثة غلامان أقران حسان ورقعة منشورة قد ختم أسفلها مثل المناشير فيها

سِرْ عَلَى أَسْمَ اللَّهِ يَا أَحْسَنَ مِنْ عُصْنِ الْجَيْنِ
فِي ثَلَاثَةِ مِنْ بَنِي الْأَرْوَمِ إِلَى دَارِ حُسَيْنِ
أَسْبَحَنِ الْكَهْنَلَ إِلَى مَوْلَاكَ يَا قُرَةَ عَيْنِي
أَرَهَ الْعُنْفَ إِنْ أَسْتَعْصِي وَطَالِبُهُ بِدَيْنِ
وَدَعَ الْفَقْطَ وَخَاطِبُهُ بِعَمَرِ الْحَاجِيْنِ
وَاحْدَدَ الرَّجْعَةَ مِنْ وَجْهِكَ فِي خُفَيْ حُنَيْنِ

فضيت مع غلام محمد بن الحارث وتركت المضي إلى المحسن .

دير قوطا

وهذا الدير بالبردان على شاطئ دجلة وبين البردان وبغداد بساتين متصلة ومتزهات متنبعة منها إلى بشكير ثم إلى المحمدية ثم إلى الطولوي الصغير ثم إلى الطولوي الكبير ثم إلى البردان كل ذلك بساتين وكروم وشجر ونخل . والبردان من المواقع الحسنة والبقاء الزهوة والأماكن الموصوفة وهي كثيرة الطرق والمتزهين . وهذا الدير بها وهو يجمع أحوالاً كثيرة منها عمارة البلد وكثرة فواكهه وجود جميع ما يحتاج إليه فيه . ومنها أن الشراب هناك مبذول والحنات كثيرة ومنها أن في هذا الموضع ما يطلب أهل البطالة والخلافة من الوجوه الحسان والبقاء الطيبة الزهوة فليس يكاد يخلو .

ولعبد الله بن العباس بن الفضل بن الريع فيه

أَرَاحَ عَنْ قَلْبِي الْأَخْرَانَ وَالْكُرَبَا
كَمْ لِيَلَّةٌ فِيكَ وَاصْلَتْ لَهَا السُّرُورَ بِهَا
لَمَّا وَصَلَتْ لَهَا الْأَدْوَارَ وَالنُّجَابَا
فِي فِيَّةٍ بَذَلُوا فِي الْقَصْفِ مَا مَلَكُوا
وَانْقَفَّوْا فِي الْتَّصَابِيِّ الْمَلَّ وَالشَّبَا
وَشَادِينٍ مَا رَأَى عَيْنِي لَهُ شَبَهًا
فِي النَّاسِ لَا عَجَمًا مِنْهُمْ وَلَا عَرَبًا
إِذَا بَدَا مُقْبِلًا نَادَيْتُ وَاطَّرَبَا
لَمَّا أَقْمَتُ بِالْدَّيْرِ حَحَّيْ صَارَ لِي وَطَنًا
مِنْ أَجْلِهِ وَلِسْتُ لِسْنَهُ وَالصُّلُبَا
وَصَارَ شَمَاسُهُ لِي صَاحِبًا وَأَبَا
ظَبَبِي لَوَاحِظُهُ فِي الْعَاشِقِينَ ظُلَّبَ
إِنْ سُمْتُهُ الْوَصْلَ أَبَدَى جَفْوَهُ وَبَأَا
أَوْ سُمْتُهُ الْعَطْفَ وَلَى مُغْرِضًا وَبَأَا
وَأَنْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ طُولَ هَجْرَتِهِ
وَمَا الْأَقْيِهِ مِنْ إِعْكَادِهِ قَطَبَا
وَمَا بَخَلَتْ عَلَيْهِ بِالَّذِي طَلَبَا

١. كما في عواد؛ الأصل: الحبا.

٢٠٨ وكان عبد الله هذا من الأدباء الظفراء وكان صاحب غزل ومحجن كثير التطرح في الديارات والخانات والاتباع لأهل الله ولخلافة. وله شعر ملحم يعنى فيه ويتعنى هو أيضاً فيه وفي غيره. وقال له محمد بن عبد الملك الزنات يوماً أنسداني من شعرك قال وما قدر شعري أيها الوزير قال ألسنت الذي يقول

وَشَادِينَ رَامَ إِذْ مَرَ فِي الشَّعَانِينَ قَتَلَ
يَقُولُ يِ كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ يُصْبِحُ مِثْلِي

من يقول هذا يقول ما مقدار شعري.

٤٠٨ قال وكان عبد الله يعشق عسالج جارية عمته رقية فقالت له بذل الكيرة أرني عسالج فإما عذرتك وإما عذلك قال فدعها إلى منزله وحضرت بذل فابتدا عسالج فغنت

إِنْ خُتِمَ بِالْغَيْبِ عَهْدِي فَالْكَمْ تُدِلُّونَ إِذْ لَالَّ مَلْكِيْمِ عَلَى الْعَهْدِ
صِلُوا وَفَعَلُوا فَقُلْ الْمُدِلِّ بِوَصْلِهِ وَإِلَّا فَصُدُوا وَفَعَلُوا فَعْلَ ذِي الصَّدِّ

فألت فيه بكل شيء حسن فقال بذل كيف ترين يا ستي قطعت عسالج الغنا، وقالت يا عبد الله تشاور في فوالله ما شاورت فيك حين وددتك فعرفت بذل وقالت أحسنت والله يا عبد الله عذرتك.

ومن شعر عبد الله

إِسْقِنِي الْرَّاحَ قَدْ خَلَعْتُ الْعِذَارَا وَتَحَمَّلْتُ فِيكَ قَالَا وَقِيلَا
إِسْقِنِي طَارِدَ الْهُمُومِ وَلَا تَنْرُجْ مِنْهُ الْغَدَاهِ إِلَّا قِيلَا

ومن شعره

يَا حَبَّدَا يَوْمِي بِالْدَّالِيَةِ
 نَشَرُبُهَا قُفْصِيَّةً صَافِيَةً
 مَعْ كُلِّ قَرِيمٍ مُتَلِّفٍ مَالَهُ
 لَمْ يَقُولْ فِي الدُّنْيَا لَهُ بَاقِيَةٌ
 فَخُذْ مِنَ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا
 فَإِنَّمَا نَحْنُ هَا عَارِيَةٌ

قال وكتب عبد الله إلى صديق له يدعوه جعلت فداك أنا وقل وأنت أعلم.
 وكان عبد الله يعيش جارية نصرانية ويهيم بها فله فيها

فَتَنَنَّا صُورَةً فِي يَمِعَةٍ فَتَنَّ اللَّهُ الَّذِي صَوَرَهَا
 رَأَدَهَا آنَاقِشُ فِي تَحْسِينِهَا أَنَّهُ إِذْ صَاعَدَهَا نَصَرَهَا

وله فيه لحن.

وكانت مصالحه جارية الأدب المclin تعني بهذا الصوت وتعني في كثير من شعره
 وكانت أروى الناس له وأعرفهم بغنائه وكانت موصوفة بالحسن والإحسان وكان
 عبد الله يهواها. ومما غنت فيه من شعر عبد الله

أَلَا أَصْبَحَّا نِي يَوْمَ الشَّعَانِينِ
 مِنْ قَهْوَةِ عُثْقَتِ بَكَرِكَيْنِ
 عِنْدَ أَنَاسٍ قَلِيلٍ بِهِمْ كَلِيفُ
 وَإِنْ تَوَلَّا دِينًا سَوَى دِينِي

ولعبد الله في مصالحه وكان قال هذا الشعر وغنى فيه وهي حاضرة فأخذته عنه
 وغنت فيه أيضاً متيم الهشامية

إِنِّي عَشِقْتُ عَدُوَّتِي
 فَسَقَى أَلَّاهُ عَدُوَّتِي
 وَفَدَيْتُهَا بِأَقْارِبِي
 وَبِأَسْرَتِي وَبِجِيرَتِي
 نِ وَشَيْتَ فَتَشَتَّتَ
 جُدَلَتْ بَجْدَلُ الْكَحِيرَةِ
 دَيْحِبُّهَا فَأَدَلَّتِ
 وَأَسْتَيْقَنَتْ أَنَّ الْفُؤَادَ

قال وغضبت مصالح عبد الله بن العباس في شيء بلغها عنه فقام أن يترضاها
فأبْتَ فَكِبَرْ إِلَيْهَا رُقْعَةً يَحْلِفُ أَنَّهُ مَا أَتَى شَيْئاً مَا انْكَرَتْهُ وَيَدْعُونَ عَلَى مِنْ ظَلْمٍ فَلَمْ تَجْهِهِ
عَنْ شَيْئٍ مَا كَبَرْ وَوَقَعَتْ تَحْتَ الدُّعَاءِ عَلَى الظَّالِمِ آمِينَ وَلَمْ تَزُدْ عَلَى ذَلِكَ فَكِبَرْ إِلَيْهَا

أَمَّا سُرُورِي بِالْجَوَّ
بِ فَلَيْسَ يَقْنَى مَا يَقِينَا
وَأَسَرُ حَرْفٍ فِيهِ لِي
آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ

٩٠٨

ومن شعره

ذَهَبٌ فِي ذَهَبٍ رَا
حَبِّهِ عُصْنُ نُجَيْنٍ
فَكَاثَ قُرَّةُ عَيْنٍ
يَسِدِي قُرَّةَ عَيْنٍ
قَرْرُ يَحْمِلُ شَمْسًا
مَرْحَبًا بِالشَّيْرِينَ
أَلْفَاسُكَرَّينَ إِلَيْنِي
نِمَعًا مُؤْتَفِينَ
لَا جَرَى بَيْنِي وَلَا بَيْ
مَهْمَأ طَائِرُ بَيْنَ
بَلْ غَيْنِينَ مَا يَقِينَا
أَبَدًا مُعْتَقِينَ
لَمْ نَبِعْ تَقْدِا بَدِينَ
فِي صَبُوحٍ وَغَبُوقٍ

دير مَرْجُرس

- ١٩ هذا الدير بالمرزة وهو أحد الديارات والملاضع المقصودة والمتزهون من أهل بغداد يخرجون إليه دائمًا في السهريات لقربه وطبيه وهو على شاطئ دجلة والعروب بين يديه والبساتين محدقة به والحانات بجاورة له . وكل ما يحتاج إليه المتزهون خاضر فيه . والمرزة من أحسن البلاد عمارة وأطيها بقعة وبها من البساتين ما ليس لبلد من البلدان .
- ٢٩ ولأي جفنة القرشى فيه وكان من الخلاء ومدنى الشرب والمترحين في الديارات والحانات ولم يكن يخلو من غلامان مُرذ بعضهم يخدمه وبعضهم يغنىه

تَرَنَّمَ الظَّيْرُ بَعْدَ عِجْمَتِهِ وَأَخْسَرَ الْبَرْدُ فِي أَرْمَتِهِ
وَأَقْلَلَ الْوَرْدُ وَالْبَكَارُ إِلَى رَمَانِ قَصْفٍ يَمْشِي بِرُومَتِهِ
مَا أَطْبَ الْوَصْلَ إِنْ بَجُوتَ وَمَا يَلْسَعُنِي هَجْرُهُ بِحُمَّتِهِ
وَمِثْلَ لَوْنِ الْجَعِيْعِ صَافِيَّةً تَذَهَّبُ بِالْمَرْءِ فَوْقَ هَمَّتِهِ
نَارَعْتُهُمَا مَنْ سَدَاؤُهُ أَبَدًا فِي الْعِشْقِ وَالْفَسْقِ مِثْلَ حُمَّتِهِ
فِي دِيرِ مَرْجُرسِ وَقَدْ نَفَعَ الْبَخْرُ عَلَيْنَا أَرْوَاحُ رُهْرَتِهِ
أَرِيدُ مِنْهُ وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ غَيْرُ حَمِّتِهِ
وَفِي بِمِعَاكِدِهِ وَرَوْرَتِهِ وَكُنْتُ أَوْفَ لَهُ بِذِمَّتِهِ

ومن ملية شعره

وَمُعَرِّسٌ طَلَبَ الصَّبُوحَ وَإِنِّي لَفَتَّى يُواقِنِي الصَّبُوحَ بُكُورًا
وَقَرَاعَتْ صَافِيَّةً بِمَاءِ سَحَابَةٍ فَشَجَّيْنَ حِينَ قَرَاعَشُهُنَّ سُرُورًا

١ كذا في عواد؛ الأصل: ولم.

فَشَرِبْتُ ثُمَّ سَقَيْتُهُ فَكَانَ
سَبَبَتُ فَوْقَ لَهَاٰتِهِ كَافُورًا
وَفَتَّى يُدِيرُ عَلَيْكَ فِي طَرَبَاتِهِ
خَمْرًا ثُوَلَّدُ فِي الْعِظَامِ فُتُورًا
وَإِذَا رَشَفْتَ بِهِ شَفَقَيْكَ رُضَا بَاهَا
كَبَّ الْعَقَارُ بِحُسْنٍ وَجْهِكَ نُورًا
مَا زِلْتَ أَشْرَبَهَا وَأَسْقَيْ صَاحِبَاهَا
حَتَّى رَأَيْتَ لِسَانَهُ مَكْسُورًا
مِمَّا تَحَيَّرَتِ الْجُحَارُ بِكَابِيلٍ
أَوْ مَا تَعَقَّهُ إِلَيْهُودُ سُورَا

وله

٤٩

أَدَرْتُ عَلَيْهِ الْكَاسَ لَمَّا تَقْضَبَا
وَمُرْوَرَ وَجْهٌ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ
يُؤَاخِذُنِي إِنْ رُمْتُ فِي الْمَخْدُقَةَ
وَلَوْلَا الَّذِي يَرْجِعُ تَحْتَ إِرَارِهِ
أَدَرْتُ عَلَيْهِ الْكَاسَ كَبَّا
لَأَسْعَتُهُ مِنِّي إِذَا صَدَ عَقْرَبَا
تُرِيكَ حُمَيَا هَا عَلَى الْكَاسِ كَبَّا
إِذَا سُجِّنَ السَّاقِ بِمَاءٍ تَدَرَّعَتْ
عَلَى الْمَنْجِ سِرْبَالًا مِنَ الدُّرُّ مُذْهَبَا

ولنيري فيه

٥٩

ذَكَرْتُ بِهِ أَيَّامَ لَهُو مَضَيْنَ لِي
نَرَزْتُ بِهِ مَا جَرِجِسِ خَيْرِ مَازِلِ
شَكَنَقْنَا فِيهِ السُّرُورُ وَحَقَّنَا
وَسَالَتِ الْأَيَّامُ فِيهِ وَسَاعَفَتْ
وَصَارَتْ صُرُوفُ الْخَادِثَاتِ بِمَعِزِلٍ
يُدِيرُ عَلَيْنَا الْكَاسَ طَبِيْ مُقْرَطَقَ
فِيَّا عَيْشَ مَا أَصْفَى وَيَا لَهُو دُمَّ نَسَا

٦٩

وهو أبو الطيب محمد بن القاسم لنيري وكان من أهل الأدب والفضل مليح الشعر
رقيق الطبع وكانت له حال وفعمة وكان يكثر الشرب في الديارات والحانات ويلد له
ذلك. وكان عبد الله بن المعتز يأنس به ولا يقارقه وكانت تجري بينهما مكتبات
ومناقضات في الشعر ومداعبات طيبة ونحن نذكر طرفاً منها.

٧٩

قال عبد الله بن المعتز كتب إلى النميري يوماً وقد دعوه

رَأَيْتُكَ تَدْعُونِي إِلَى الشُّرُبِ وَاللَّيْلِ مُمْتَنِعٌ
وَقَطَّعْتُ عَيْنِي الشُّرُبَ وَاللَّيْلَ مُمْتَنِعًا
فَإِمَّا شَرِبْتَ الْرَّاحَ لِيَنْاكَ كُلُّهُ
وَإِمَّا شَرِبْتَ الْرَّاحَ لِيَنْاكَ كُلُّهُ
فَإِمَّا مَا آثَرْتَ وَفَيْتَ حَقَّهُ
وَذَاكَ الَّذِي تَهْوَاهُ شُرُبٌ مُخْلِعٌ

قال وكتب إليه في يوم عيد ولم يكن جاءني ذلك اليوم

يَا أَيُّ هَلْ حَلَأْ يَعْتَنِيكَ شَيْءٌ^١ هُوَ أَسْلَاكَ يَا خَلِيلِي بَعْدِي
طَعْمُ كَاسِي مُرٌّ إِذَا لَمْ تَرْزُنِي وَهُوَ حُلُوٌّ إِذَا رَأَيْتُكَ عِنْدِي

فكتب إليه

سَيِّدِي أَنْتَ لَمْ تُرِدِنِي هَذَا حِيلَتِي إِذْ بُلِيتُ مِنْكَ بِصَدٌّ
يَعْلَمُ اللَّهُ مَا أَقَاسِيهِ^٢ مِنْ شَوَّقٍ وَمِنْ حَسْرَتِي وَعَيْنِي بِعُنْدِي

٨٩

قال عبد الله وكتب إليه مرةً أدعوه فكتب إلى عندي قوم ولعلَّ أخلص منهم
وعلق الوعد فكتب إليه

يَا مَنْ يُسَوْفُ^٢ وَعَدِي لَوْ شِئْتَ جِئْتَ بِمَرَةٍ
فَأَسْقُظَ عَلَيْنَا سُقُوطًا وَلَا تُرَفِّرِفْ لِغُدْرَةٍ
فَإِنْ ضَبَطْتَ سَاقِيكَ بَعْدَ هَذِي الْمَرَةَ
لَا حِسْنَكَ عِنْدِي عَلَى أَدَى وَمَضَرَّةٍ

١ الأصل: أقاسي. ٢ الأصل: يُسرف.

قال عبد الله وكتب إلى النيري في آخر شعبان

يَا أَبَا الْعَبَاسِ قَدْ شَرَّعْتَ بَانٌ إِرَارَةً
وَمَضَى يَسْعَى فَمَا يُلْحِنُ إِسْكَانٌ عُبَارَةً
فَاغْدُ شَرِبَ صَفَوةَ الدَّنْ وَسَلَبَهُ وَقَارَةً
وَإِذَا مَا ذُكِرَ الْعُقْلُ شَرِبَنَا يَادِكَارَةً

قال وكتب إلى وقد تأخر اجتماعنا

إِنَّكَ الْمَوْتُ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي وَحْشَةٍ وَأَنْفَرَادٍ
عَرَفْوَنِي أَجْتَمَعُهُمْ يَوْمُهُمْ ذَا وَأَسْتَبَدُوا عَلَيَّ فِي الْمِعَادِ
وَالْحَرَرِيُّ رَأْسُهُمْ وَبِحَسْبِيِّ يَا الْحَرَرِيُّ رَأْسُ كُلِّ فَسَادٍ
إِنْ رَأَيْتَ قِنَّةً تَبَرَّقَ لِلْعُشُقِ وَأَرْجَنَى جَنَاحَهُ لِلسَّفَادِ
وَتَصَدَّى لَهَا وَحْرَكَ عَظِيفَتِهِ وَرَاقَتْ لِشَهْوَةِ الْأَوْلَادِ

فاعتذررت إليه وسألته المصير إلينا بفاءنا.

قال عبد الله وكتب إلى

إِذَا غَبَثْتَ لَمْ أَظْلَبْ وَإِنْ جَثْ لَمْ أَصْلِ
سَاصِبُرْ لِلشَّوْقِ الْمُبَرِّحَ كَارِهًا
وَمَا كُلُّ مَنْ صَاحَبَتْهُ مِثْلَ قَاسِيمَ
وَلَلْعَتْبُ أَوْلَى بِي وَلَسْتُ مِكَاتِبِ

قال وكتب إلى في يوم خميس صحته

أَبَا الْعَبَاسِ يَا خَيْرَ الْأَنَامِ
تَصُومُ وَلَيْسَ ذَا يَوْمَ الصَّيَامِ
فَهُلْ لَكَ فِي مُدَامِ أَخْ طَرِيفِ
يُسَاعِدُ فِي الْحَلَالِ وَفِي الْحَرَامِ

١ الأصل: نسلمه.

قال كتب إلى النبوي يستبطئ روسي ويغادر من تأخره عني ويذكر أنه اشتغل
بعمارة بستانه . فأجبته أمّا ما ذكرت من تأخر روسي عنك للسؤال عن خبرك في
هذه الأيام والفقد لك فإني رأيتك قلت قول القائل خذ اللام من قبل أن يأخذك
إلا فما قصرت في السؤال عنك والبعثة إليك ولكن ما أقول لمن نكس عليه فلم يعده
واشتق إليه فلم يزره مشتغلًا بطريق الحانات والديارات ور Cobb الزلالات ومغارلة
القيان ومعاقبة ابنة الدنان جامعًا بين طفي نهاره بغ فوق لا يهدأ سامر وصبور لا
يفتر باكه في عسكري لهو واحد يحيط الماء بمحابيه وأخر يقع الأرض بخيله
ووجيفه . وسألت عن خبri في هذه الأمطار فما عسيت أن أقول في الله الواجب
لله تعالى الشكر عليها إذ تخطتنا بعد أن سلت سيفها وخفنا حيفها .

قال عبد الله وكتب إلى النبوي

أَمِيرُ كُثُرٍ أَرْجُوهُ لِدَهْرِي
إِذَا مَا نَابَ بِالْخَطْبِ الْجَلِيلِ
مَرِضَتْ فَلَمْ يَعْدُنِي مِنْ سَقَامِي
وَتَاهَ عَنْ الْعِيَادَةِ وَالرَّسُولِ
وَمَا يِي حَاجَةٌ تَدْعُونِي إِلَى مَا
أَذْلَلْ بِهِ لِذِي الْشَّيْلِ الْمَبِيلِ
وَلَا لِسْقَيٍ بِالْمَلَكِ يُرْهِي
إِذَا مَا كُثُرَ أَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ

فكتب إليه رقعة في آخرها

فِي كُلِّ يَوْمٍ طَاعَةٌ وَعَصِيَّانْ
وَمَلَلُ وَمَلْقُ وَهَجَرَانْ
خَلَائِقُ كَانْهَنْ غِيلَانْ

قال ودعوه ليوم أسميته فتأخر روسي عنه فكتب إلى

دَعَوْتَنَا وَرَدَالَكْ نِكْ فِي أَسْتِهِ مَنْ وَفَ لَكْ

قال وكتب إلى النيري

١٣٩

بَرَحَ بِي الشَّوْقُ إِلَى الشَّرْبِ
وَمَأْكُنْ أَعْهَدُهُ حَافِيَاً
فَصَارَ يَحْفُونِي بِالْأَذْنِ
ذَبَّاً سَوَى الْإِفْرَاطِ فِي الْحُبِّ
وَاللَّهِ مَا أَعْرَفُ لِي عِنْدَهُ
فِي حَاضِرِ الْجَدِّ وَلَا الْغَيْرِ
إِنَّمَا مَا سُوتُهُ سَاعَةً

فكتبت إليه

يَا أَيُّهَا الْجَاهِيَّةِ وَيُسْجَنُ
لِئَكَ وَالشَّوْقُ إِلَيْنَا كَمْ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَلَى حَرْفِ
مَحْوُتْ آثَارَكَ مِنْ وُدَّنَا
غَيْرَ أَسَاطِيرِكَ فِي الصُّحْفِ
وَإِنْ تَبْخَشَّمْ لَنَا زُورَةً
لَيْسَ بِجَهِيلَكَ مِنَ الظَّرْفِ

قال وكتب إلى

١٤٩

أَتَيْتُكَ مَسْرُورًا فَطَابَ لِي الشَّرْبُ
فَكَارَتْ عَلَيَّ الْكَاسُ حَتَّى بَحْرَتْهَا
وَنَالَتْ مُنَاهَا عِنْدَكَ الْعَيْنُ وَالْقَلْبُ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ كَمَا أَسْتَوْجَبَ الْذَّبُّ

فكتبت إليه

عَلَامَ هَرَتَ الْكَاسِ إِذْ جَارَ حُكْمُهَا
أَذَامَ لَكَ اللَّهُ السُّرُورَ وَدَامَ لِي
وَلَا لَهُوَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهَا الْذَّبُّ
بِكَ الْعِيشُ وَالنَّعْمَاءُ وَاتَّصَلَ الْقَرْبُ

قال عبد الله بعثت إلى النيري يوم الجمعة رسولًا وقلت له اركب معنا إلى الصلاة
فوجده الرسول قد اصطحب فقال له أنا أصلّي مذ صلاة الغداة فكتبت له

١٥٩

يَامَنْ يُصَلِّي صَلَةً فِيهَا لِلَّهِ طَاعَةٌ
إِنْ كُنْتَ تَقْبِلُ شُكْرِي فَالشُّكْرُ فِي ذَارَقَاعَةٍ

قال وكتب إليه وقد اعتالت فلم يعذني

١٦٩

أَكَحْمَدُ لِلَّهِ حَتَّى أَنْتَ تَجْفُونِي بَعْدَ الصَّفَاءِ جَفَاءَ لَيْسَ بِالْدُوْنِ
قَدْ كُنْتُ مُسْتَقْلِرًا هَذَا بِخَيْرٍ يَهِ وَلَيْسَ حَلْقٌ عَلَى غَدْرٍ بِمَأْمُونِ

فكتب يعتذر بشغل كان له واعتلال مركبه فكتب إليه

لَا تَعْتَذِرْ قَدْ عَرَفْنَا كَمْ سَوْفَ تَعْلَمُ فَعَلَّا
ذَكَرْتُ شُغْلًا فَهَلَا جَعَلْتُنِي بَعْضَ شُغْلَّا
وَلَمْ يَكُنْ لَكَ عَيْرٌ فَكُنْتَ تَرْكُ عَلَّا

قال فكتب إلى

إِنْ كُنْتَ أَذْبَثْ ذَبَّا قَدْ وَثَقْتُ بِفَضْلِكَ
وَقَدْ أَيْتُكَ مَشِياً كَمَا قَضَيْتُ بِعَدْلِكَ

وجاءني ماشيًا.

قال النيري كان عبد الله بن المعتز يعيي العشق كثيراً إلى أن صار يقول هو طرف من الحق وإذا رأى منها مطرقاً أو مفكراً انهم بهذا المعنى ويقول وقعت والله يا فلان وقل عقلك وسخفت إلى أن رأينا قد حدث به سهو شديد وفكرا دائم إلى أن كانت تبدر منه الآيات في معنى العشق. فمرة يقول

أَسَرَ الْحُبُّ أَمِيرًا لَمْ يَكُنْ قَبْلُ أَسِيرًا
فَأَرْجَمُوا ذُلَّ عَزِيزًا صَارَ عَبْدًا مُسْتَحِيرًا

ومرة يقول

عَقْلُ الْحُبَّ سَاهِيٌ
فِي قَلْبِهِ الدَّوَاهِيٌ

فقلت جعلني الله فداك هذه أشياء قد كنت تعيب أمثالها مثنا ونحن ننكرها الآن
١٨٥٩ منك . فيرجع تصنعاً ثم لا يلبث أن تدر منه بادرة فقال مرة

مَكْوُمٌ يَا أَحْسَنَ حَلْقِ اللَّهِ لَا تَشْرِكُنِي هَذَا بِاللَّهِ

ثم تنفس فقلت

قَدْ ظَفَرَ الْعِشْقُ بِعَبْدِ اللَّهِ وَانْهَتَكَ آسْتَرُ بِمُحَمَّدِ اللَّهِ
فَقُلْ لَهُ سَمَّ لَكَا بِاللَّهِ هَذَا الَّذِي تَهَوَى بِهِنَّ اللَّهِ

فضحك وقال لا ولا كرامة فكتب إلهي من غد

بَكَّ عَيْنُهُ وَشَكَا حُرْقَةً مِنَ الْوَجْدِ فِي الْقَلْبِ مَا شَطَفَيْ
فَقُلْتُ لَهُ سَيِّدِي مَا الَّذِي أَرَى بِكَ قَالَ سَقَامُ خَنْجَيْ
فَقُلْتُ أَعِشْقُ فَقَالَ أَقْصِرْ عَلَى مَا تَرَاهُ أَمَا تَكْتَفِيْ

فكتب إلهي

يَا مَنْ يُحَدِّثُ عَيْنِي بِطَنْ سَمْعٍ وَعَيْنِي
إِنْ كُنْتَ تَخْطُبُ سَرِّي فَأَرْجِعْ بِخُفْيَيْ حُنَيْنِ

فَكَبَتْ إِلَيْهِ

هِيَّا تَ حَظَّكَ وَاللَّهُ أَنْ تُبُوحَ بِعِشْقِكَ
دَعْ عَنَكَ خُفَيْرَةِ حُنَيْنٍ وَأَحْرَصَ عَلَى حَلَّ رِيقَكَ
تَعَالَ نَحْتَالَ فِيمَا تَهْوَى بِرِفْقِي وَرِفْقِكَ

ثُمَّ صَرَتْ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَنِي بِقَصَّتِهِ فَسَعَيْتَ لَهُ بِلَطْفِ الْحِيلَةِ وَأَعْانَنِي بِحَزْمِ الرَّأْيِ إِلَى
أَنْ فَازَ بِالظَّفَرِ وَأَدْرَكَ الْبَغْيَةَ.

دير باشهم^١

- ١٠١٠ وهذا المدير على شاطئ دجلة وهو دير حسن عامر نزه كثير البساتين والكرم وهو أحد المواضع المقصودة والمديارات المشهودة والمخدرون من سر من رأى والمصعدون إليها ينزلونه فمن جعله طريقاً بات فيه وأقام به إن طاب له ومن قصده أقام الأيام في ألد عيش وأطبيه وأحسن مكان وأزنه .
- ٢٠١٠ ولأي العيناء فيه وكان نزله وأقام به أياماً واستطابه وقال فيه

نَرَلْنَا دِيرَ بَاشْهَمْرَا عَلَى قَسِيسِهِ ظَهِيرَا
عَلَى دِينِ يَشْوَعَيِّ^٢ فَمَا أَفْتَى وَمَا أَسْرَا
فَأَوْلَى مِنْ جَمِيلِ الْفَعْلِ مَا يَسْتَعِدُ الْحَرْرَا
وَشَقَّاكَا وَرَوَانَا مِنَ الصَّافِيَةِ الْعَذْرَا
وَطَابَ الْوَقْتُ فِي الدَّيْرِ
وَسُقِينَا بِهِ الشَّمْسَا
وَاحِيتَ لَدَهُ الْكَاسِ
وَنِلْنَا كُلَّ مَا نَهَوَا
وَارْغَمَنَا بِهِ الْدَّهْرَا
فَنِكْنَا وَتَهَتَّكْنَا
وَقَدْ سَاعَدَنَا رَبْنَ
جَرَاهُ اللَّهُ عَنْ خَيْرٍ
فَقَدْ أَوْسَعَهُ شُكْرَا

١ الأصل: (النوادر الواقعه في هذا المدير لطيفه جداً، يجب على المسامر حفظها واستحضارها فإن النفس تشرف بوقائع الأفضل) وردت في الهاشم . ٢ الأصل: ايوع.

٢١٠ وكان أبو العيناء من الطيّاب وكان المتكّل يحب بكلامه وسرعة جوابه ونواذه
وعي على رأس أربعين سنة من عمره وما يدل على ذلك قول أبي علي البصیر فيه

قَدْ كُثِّرَ خَفْتُ يَدَ الْأَزْمَا
نِ عَلَيْكَ إِذْ دَهَبَ الْبَصَرَ
لَمَّا أَدْرَأْتَ بِالْعَسْمَى تَغْنَى وَيَقْرَبُ الْبَشَرُ

وكان حسن الشعر جيد العارضة ميلع الكاتبة والمرسل خيّث اللسان في سبّ
الناس والتعرّض بهم. ونحن نذكر طرقاً من أخباره بمقدار لا يخرج إلى الإطالة ولا
يخل بالشرط.

٤١٠ قال المتكّل لأبي العيناء ما أشد شيء مرّ عليك في ذهاب بصرك قال فوات رؤيتك
يا أمير المؤمنين مع اجتماع الناس على جمالك. وقال له يوماً يا محمد إلىكم تمدح الناس
وتذمّهم قال ما أساووا وأحسنوا.

وقال له عبيد الله بن سليمان قد أمرنا لك بشيء في هذا الوقت فخذه واعذر. قال
لا أفعل أيها الوزير إذا كتبت في النكبة تعذر وفي الدولة تعذر فتني لا تعذر.
٤١٠ قال وسأل صاعد بن مخلد كاتباً يكتبه له إلى مصر فجعل يقول إلى مصر يا أبي العيناء
إلى مصر فقتل وما استبعادك أعزك الله لي مصر والله لما في صناديقك أبعد على
مما في مصر.

ودخل إلى أبي الصقر فقرب مجلسه وأدناه فقال أيها الوزير تقرب الولي وحرمان
العدو. ودخل عليه يوماً فقال ما أحرك عنا يا أبي عبد الله قال سُرق حماري قال وكيف
سرق قال لم أكن مع اللص فأعرف كيف سرقه. ثم جاءه بعد مدة فقال ما أحرك عنا
يا أبي عبد الله فقال من العواري وذلة المكارى. فامر له بخمسين ديناراً.

٤١٠ قال دخل أبو العيناء يوماً إلى محمد بن عبد الملك الزيات فلم يرفع طرفه إليه ولا كلمه.
فقال إن من حق نعمة الله عليك لما أهلك له في الحال التي أنت عليها أن تجعل
البساطة لأهل الحاجة إليك خلقاً فإن أوحش اقتص عن المسئلة وبكثرة السؤال مع
النجح يدوم السرور وبقضاء الحاجات تدوم النعم. فقال له محمد إني أعرفك فضولياً كثير

الكلام. ترى أن طول لسانك يمنع من تأديبك إذا زلت وأمر به إلى الحبس. فكتب إليه أبو العيناء من الحبس قد علمت أن الحبس لم يكن لذنب تقدم إليك ولكن أحبت أن تريني قدرتك على لأن كل جديدي يستلذ ولا بأس أن ترينا من عفوك ما أرينا من قدرتك فأمر بإطلاقه.

فليقيه بعد مدة طويلة على الطريق فبس محمد دابته وقال ما أراك أبا عبد الله تواصلنا بحسب أنجاشنا لك فقال أبو العيناء أما المعرفة بعنایتك فمتاكدة ولكنني أحبب الذي جدد آسيطاءك لي فاغ حبسك من فيه فأردت أن تعمره بي.

قال ودخل على رجل قد عزل عن عمل كان يتولاه فقال لمن قبّح عليك التهمة لقد حسنت بك القمة قال ولم ذاك قال لأنني سألك أحق من قدرك فدديني بأربع من وجهك ثم قال

قُلْ لِرَيْنِدِ بْنِ صَاعِدٍ جَاءَكَ الْعَزْلُ فِي لَطْفٍ
فَاجْرَعْ أَهْمَّ وَاصْبِرْ فَعَلَى رَبِّكَ الْحَالَفَ
أَنْتَ أَيْضًا إِذَا وَلَيْتَ فَلَا تُكَثِّرْ الصَّافَّ

قال اجتاز ابن بدر أبي العيناء وهو على بابه جالس فقال هذا منزلك أبا عبد الله قال نعم. فإن شئت أن ترى سوء أثرك فيه فانزل.

قال ومن بدار عبد الله بن منصور يوماً فقال لغلامه أي شيء خبر أبي محمد قال كما تكتب. قال فما لي لا أسمع الصراخ في الدار.

قال وذكر أبو العيناء ميمون بن إبراهيم فقال لو تأملت رجل أفعاله فاجتنبه لاستغنى عن الآداب أن يطلبها.

قال أبو العيناء قال لي محمد بن مكرم أما تعرفي قلت بلى ولكن معرفة أرجي لك منها. وقال له محمد بن مكرم يوماً يا أبا عبد الله كل شيء لك من الناس حتى أولادك.

وقال أبو العيناء رأيت ابن مكرم فرأيت بطنه بطن حبلى ونقسه نفس ولها ومحاطه
مخاط كلوي في استه الداهية العظمى . وقال له ابن مكرم يوماً يا أبا عبد الله هو
ذا تصوم معنا في هذا الشهر شيئاً وكان شهر رمضان فقال وتدعنا العجوز نصوم .
قال رجل لعيid الله بن سليمان إن رأيت أعزك الله أن تخج لي رزقاً فقال من
الرجل يخرج الرزق على قدر ذاك قال من ولد آدم . فقال أبو العيناء احفظ أعزك
الله بهذا النسب فقد انقطع أصله .

قال اجمع المحافظ وأبو العيناء عند الحسن بن وهب فقال له المحافظ علمت
أنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْسَنَ مِنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْسَنَ مِنْ أَبِي عُثْمَانَ وَلَكِنَّ
المحافظ أحسن من أبي العيناء . فقال أبو العيناء هيئات جئت إلى ما ينفع من أمورنا
ففضلتني عليك فيه وإلي ما يُعرف ففضلت نفسك فيه . إنَّ أَبَا الْعِينَاءِ يَدْلُّ عَلَى كُنْيَةِ
والمحافظ يدلُّ على عاهة والكنية وإن سمعت أصلح من العاهة وإن ملحت .
قال أبو العيناء عشقني امرأة بالبصرة من غير أن تراني وإنما كانت تسمع عذوبة
كلامي فلما رأيتني استقبختي وقالت قبحه الله وهذا هو . فكببت إليها

وَبَنَسَّهَا لَمَّا رَأَيْتَنِي شَكَرَتْ وَقَالَتْ ذَمِيمٌ أَحَوَّلُ مَا لَهُ جَسْمٌ
فِيَانْ شَكَرِي مِنْيَ آحْوَلًا لِفَائِنِي أَدِيبٌ أَرِيبٌ لَا عَيِّنُ وَلَا فَدْمُ

فوقعت في الرقة يا عاض بظرامة لديوان الرسائل أردتك .

ولأبي العيناء في علي بن الجهم

أَرَادَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ قَصِيْدَةً بِمَدْحِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ فَأَدَّا
فَقُلْتُ لَهُ لَا تَجْهَلْنَ بِإِقَامَةٍ فَلَسْتُ عَلَى طَهْرٍ فَقَالَ وَلَا أَنَا

١ الأصل: وقال له مكرم .

١٣٠١٠ أبو العيناء قال أتيت عبد الله بن داود الحَرَبِي فسألته أن يحدّثني فاستصرغنى وقال
اذهب فحفظ القرآن قلت قد حفظته قال اقرأ من رأس ستين من يونس فقرأ
العاشر فقال أحسنت اذهب فتعلم الفرائض قلت قد حفظتها قال فائماً أقرب إليك
عمك أو ابن أخيك قلت ابن أخي قال ولم ذاك قلت لأن هذا من ولد أبي وهذا من
ولد جدي قال أحسنت اذهب فتعلم العربية قلت قد فعلت وتعلمت منها ما فيه كفاية
قال فلم قال عمر يا لله يا للمسلمين قلت لأن الأول استغاثة والثانية نداء. فقال لو
كنت محدثاً أحداً في سنك لحدثك.

١٤٠١٠ قال أبو العيناء دخلت على أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان يوماً صافياً
وقد بين يديه يلعبون بالشطرنج فقال يا أبي عبد الله إنما تلعب في ندب إلى أن ندرك
طعامنا في أي الحين تحب أن تكون قلت في حرب الأمير أيده الله فإنه أعلى وأبهى
فغلبنا فقال أبو أحمد يا أبي عبد الله قد غلبنا وقد أصابك بقسطنك عشرون رطلًا ثلثًا
فقلت أحضره أيها الأمير وثبتت فصرت إلى أبي العباس بن ثوابه فأقرأته السلام
من أبي أحمد وقت له إنه يتسوق وأراد أن يكتب إليك رقة خاف مراوغتك
فوجئني رسولًا وحملني رسالةً ولستنا نفترق إلا بحضرته. فركب معى وجئت فلما
وقفت بين يديه قلت أيها الأمير قد جئت بحبل همدان ثلثًا فاقض منه ما فرقنا والعب
مع أصحابك في الباقي. فضحك حتى استلقى وسأل ابن ثوابه عن القصة فعرف الخبر
فلما وقف عليه شتمني وانصرف.

١٥٠١٠ قال أبو العيناء دخلت على المتكلّم ودعوت له وكلمه فاستحسن خطابي وقال لي
بلغني أنّ فيك شرّاً فقلت يا أمير المؤمنين إن يكن الشرّ ذكر المحسن بإحسانه والمسيء
بإساءاته فقد زكي الله جلّ وعزّ وذمّ فقال في التركية «نعمَّ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلُ» وقال
في الذمّ «هَمَّازٌ مَّشَاءٌ يَنْعِي مَنَاعٌ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدِّ أَشِيمٌ عُتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ» فدمه
تعالى اسمه وقد قال الشاعر

إِذَا أَنَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَثْنَ دَائِبًا فَلَمْ أَشْتِمْ الْجِبَسَ الْلَّئِيمَ الْمَذْمَمَا
فِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَأَشَرَّ بِأَسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامَعَ وَالْفَمَا

وإن كان الشرك فعل العقرب التي تلسع النبي والذئب بطمع لا يميز^١ فقد صان الله عبده عن ذلك.

وقال لي وبلغني أنك رافضي فقلت يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضياً وبليدي ١٦١٠ البصرة ومنشأي في مسجد جامعها وأستاذي الأصممي وليس يخلو^٢ من إرادة دين أو دنيا. فإن أرادوا ديننا فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخرموا وإن أرادوا دنيا فأنت آباوك أمراء المؤمنين لا دنيا إلا معك.

قال كيف داري هذه فقلت رأيت الناس بنا دورهم في الدنيا وأنت جعلت الدنيا في دارك. فقال لي ما تقول في عبيد الله بن يحيى فقلت العبد لله ولكل منقسم بين طاعته وخدمتك يتوثر رضاك على كل فائدة وما عاد بصلاح رعيتك على كل لذة. فقال ما تقول في صاحب البريد ميمون بن إبراهيم وكان عرف أبي وجدت عليه في تقصير وقع بي منه فقلت يا أمير المؤمنين يد تسرق واست تضرط هو مثل يهودي قد سرق نصف جزئته فله إقدام بما أدى ومعه إيجام لما بقي. إساءاته طبيعة واحسانه تكشف.

قال إبني أريدك لمحالستي فقلت لا أطيق ذاك ولا أقوى عليه وما أقول هذا ١٧١٠ جهلاً بما لي في هذا الشرف ولكنني رجل محظوظ تحظى مختلف إشارته ويتحقق عليه إيماهه. ويحوز علي أن أتكلم بكلام غضبان وجهك راضٍ وبكلام راضٍ وجهك غضبان ومتي لم أميز بين هذين هلكت. قال صدقتك ولكن تلزمنا. قلت لزوم الفرض الواجب فوصلني عشرة آلاف درهم. وقال لي يوماً وقد دخلت إليه يا محمد ما بقي في المجلس أحد إلا اغتابك عندي فقلت

إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي كَرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا رَازَلَ عَضْبَانًا عَلَيَّ لِئَامُهَا

١ الأصل: يتميز. ٢ كما في الأصل ولعل كلمة سقطت هنا.

- وهو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان وأصله من اليمامة من
بني حنيفة أنفسهم وكان مسكنه بالبصرة ثم انتقل إلى بغداد واتجح سرّ من رأى
ولي الموكّل وأقام بها. وكان حسن الكتابة بلغ الخطابة ملِعْ الشعر طلق اللسان بالذم
والاستبطاء سرع الجواب حاضر النادرة لا يقام له. وقال الموكّل أشتاهي أنا دم أبا
العيناء لو لا أنه ضرير فبلغ ذلك أبا العيناء فقال إن أعفاني أمير المؤمنين من رؤية
الأهلة وقراءة نقوش الخواتيم فإني أصلح له. قال وجح ممدوح مكرم أبا العيناء ثم كتب
يعذر منه فكتب إليه أبو العيناء تحييني مشافهة وتعذر إلى مكتبة.
- وأخباره كثيرة ولكننا أوردنا بمقدار ما يحتمله الكتاب ويقتضيه الشرط ولا يخرج
قارئه إلى الملل. وكتب ابن مكرم إلى أبي العيناء عندي سكاج ترعب الجنون
وحدث يطرب الجنون وإخوانك المحازون^١ فلا تعلو على وآتون. فأجابه أبو العيناء
﴿قالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

١ الأصل: المحازون.

دير الخوات

هذا الدير بعكبرا وهو دير كير عامر يسكنه نساء مترهبات متبنلات فيه وهو وسط البستانين والكرم حسن الموقع وعيده الأحد الأول من الصوم يجتمع إليه كل من يقرب منه من النصارى وال المسلمين فيعيد هؤلاء ويتنزه هؤلاء. وفي هذا العيد ليلة المشوش وهي ليلة تختلط النساء بالرجال فلا يرى أحد يدبه عن شيء ولا يرى أحد أحدها عن شيء. وهو من معادن الشراب ومنازل القصف ومواطن اللهو.

٢٠١١

وللناجم أبي عثمان فيه^١

آحَ قَلِيلٍ مِنْ الصَّبَابَةِ آحَ مِنْ جَوَارِ مُرَيَّنَاتٍ مِلاجِ
وَفَتَاهَا كَأَنَّهَا غُصْنٌ بَانِي ذَاتٌ وَجْهٌ كَمِثْلِ نُورِ الصَّبَابَاحِ
أَهْلَ دَيْرِ الْخَوَاتِ بِاللَّهِ رَبِّي هَلْ عَلَى عَاسِقٍ قَضَى مِنْ جَنَاحِ

وكان أبو عثمان هذا راوية ابن الرومي وهو ملحن الشعر ريق الطبع جيد المعاني في
وصف الخمر والأغاني والغزل. ومن ملحن شعره

أَدْرِي سَلَامَةُ كَأسُ الْعُقَارِ وَضَاهِ بِشَدُوكَ شَدُوكَ الْقَمَارِي
وَخُذْهَا مُعَقَّةً مُرَأَةً تَصْبُعُ عَلَى الْلَّيْلِ ثُوبَ الْهَمَارِ
يُنْسَارِعُهَا الْخَنْدُجِيَّةُ الْهَمَارِ

ومن ملحن شعره

سَلَامَةُ بْنُ سَعِيدٍ يُحِيدُ حَثَ الرَّاحِ
إِذَا تَغَنَّى رَمَرَنَا عَلَيْهِ بِالْأَقْدَارِ

١ الأصل: (أبو عثمان الناجم) وردت في الهاشم.

وله

٤،١١

مَا نَطَقَتْ عَاتِبٌ وَمِنْهُرُهَا
إِلَّا وَيْشَنَا بِاللَّهِ وَالْفَرَحِ
أَضْنَاهُ طُولَ السَّقَامِ وَالثَّرَجِ
لَهَا غِنَاءً كَالْبَرِءَ فِي جَسَدِ
تَعْدُهُ الْرَّاحُ فَهِيَ مَا نَطَقَتْ
إِبْرِيقُنَا سَاجِدٌ عَلَى الْقَدَحِ

وله

مَا نَطَقَتْ عَاتِبٌ وَمِنْهُرُهَا
إِلَّا طَلَبَنَا بِالرَّاحِ مُقْمِلُهَا
تَارٍ فَمَا تَسْتَفِيقُ تَقْتُلُهَا
تَطْلُبُ أَوْقَارُهَا الْمُهُومَ بَأْوَ

وله وفيه لحن

٥،١١

مَا دَعَانِي الشَّوْقُ إِلَّا
أَذْرَتِ الْعَيْنُ دُمُوعًا
إِمَّا أَبْكَى لِأَيِّ صِرْتُ لِلْحُبِّ رِيعًا
أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَوْفَى النَّاسِ بِالْحُسْنَ جَمِيعًا
مَا أَرَى لِي عَنْ حَيْيِي أَبَدَّ^١ الدَّهْرِ نَرُوعًا

^١ الأصل: وعئنا. ^٢ الأصل: ابدأ.

دير العَلْت

والعلْت قرية على شاطئ دجلة في الجانب الشرقي منها وبين يديها من دجلة موضع
صعب ضيق للجراز كثير الجحارة شديد الجريمة تحتاز فيه السفن بمشرفة. وهذه الموضع
شُمُّى الأبواب فإذا وافت السفن إلى العَلْت أرست بها فلا يتهيأ لها الجواز إلا بهاد
من أهلها يكترونه فيمسك السكان ويختال بهم تلك الموضع فلا يحظها حتى يخلص
منها. وهذا الدير راكب دجلة وهو من أحسن الديارات موقعاً وأنزلمها موضعاً يقصد
من كل بلد يطريقه كل أحد ولا يكاد يخلو من منحدر ومصعد. ومن دخله لم يتجاوزه
إلى غيره لطبيه وزنته ووجود جميع ما يحتاج إليه بالعلْت وبه.

٢٤١٢

ولحظة فيه

أَهْكَمَ الْكَلِحَانِ بِاللَّهِ جُدًا وَاصْلَحَاهُ لِالشَّرَاعَ وَالسُّكَانَا
بِلْفَكَانِي هُدِيشَمَا الْبَرَدَانَا وَابْرَزَلَاهُ لِي^١ مِنَ الدَّنَانِ دِنَانَا
وَأَعْدَلَاهُ لِي إِلَى الْقَيِّصِيَّةِ الْزَّهَرَاءِ عَلَيْ أَفْرَجَ الْأَخْرَانَا
وَإِذَا مَا أَقْمَتْ حَوْلًا تَمَامًا فَاقْصِيَاهُ لِي كُرُومُ أَوَانَا
وَأَنْزَلَاهُ لِي إِلَى شَرَابِ عَتِيقٍ عَشَقَتْهُ يَهُودُهُ أَرْمَانَا
رَقَ حَتَّى حَسِبَتْهُ خَدَّا مَنْ أَبْدَلَاهُ مِنْ وَصَائِلِهِ هِجْرَانَا
وَأَحْطَطَاهُ لِي الْشَّرَاعَ بِالْدَّيْرِ بِالْعَلْتِ لَعَلَيْ أَعَاسِرُ الرُّهْبَانَا
وَظِبَاءِ يَشْلَوْنَ سَفْرًا مِنَ الْأَنْجِيلِ بِاَكَرْنَ سَحَرَةِ قُرْبَانَا
لَإِسْكَاتِ مِنَ الْمَسْوِحِ شِيكَا^٢ جَعَلَ اللَّهُ تَحْمِلَهَا أَغْصَانَا
خَفِرَاتٍ حَتَّى إِذَا دَارَتِ الْكَأْ سُكَشَفَنَ الْتُّورَ وَالصُّلْبَانَا

١ في الأصل: وَأَنْزَلَاهُ لِي. ٢ سقط هذا البيت من الأصل.

يَا طُولَ لَيْلِي بِفَمِ الْصَّلْحِ أَتَبَعْتُ حُسْرَانِي بِالرَّجْحِ
لَهْفِي عَلَى دَهْرِنَا قَدْ مَضَى بِالْقَصْرِ وَالْقَاطُولِ وَالشَّلْحِ
بِالْدَّيْرِ بِالْعَلْثِ وَرُهْبَانُهُ بَيْنَ الشَّعَانِينِ إِلَى الدَّخْ

وكان للمعتمد شعر جيد وشعر غير موزون^١ وربما قال الآيات في صحة بعضها ويفسد باقيها وكان يعطيه المغترين فيعملون عليه الحاناً فيغيب عيه في القطيع والألحان إلا على خاصة الناس.

قالت بدعة كان المعتمد يوجه شعره إلى عريب لتصوغ له الألحان فكانت تقول ويلي
كم أغثني في حروف ألف باتا ثا.

قال الصولي أشدبني عبد الله بن المعتز من شعره الموزون

أَحَمَدُ اللَّهِ رَبِّي مَلَكُ مَالِكَ قَلْبِي
فَصَرَّتْ مَوْلَى لِمُلْكِي وَصَارَ مَوْلَى لِجَبَّي

ومن شعره لما أكثر الموفق نقله من مكان إلى مكان

أَفْلَتُ الشَّبَاعُدَ وَالْغُرْبَةُ فَهِيَ كُلُّ يَوْمٍ أَطَأَتْ رُبَّهُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى حَادِثًا يُؤْتَيِ إِلَى كَبِيْدِي كُجْبَهُ
أَمْرَ الرَّمَانُ لَنَا طَعْمَهُ فَمَا إِنْ نَرَى سَاعَةً عَذْبَهُ

وهذا شعر جيد صحيح في معناه ومن شعره الموزون

بُلْيَثُ بِشَادِينَ كَالْبَدْرِ حُسْنَا يُعَذِّبِنِي بِأَنْوَاعِ الْجَحْفَاءِ
وَلِي عَيْنَانِ دَمْعُهُمَا أَقْلُ مِنَ الْوَفَاءِ

^١ في الأصل: شعرًا جيدًا وشعرًا غير موزون.

وذكر الصولي أن المكتفي أخرج إليهم مداخن مكوبة بالذهب من شعر المعتمد فكان
فيها من الموزون ٥١٢

طَكَالْ وَاللَّهُ عَذَابِيٌّ وَاهْتَكَامِيٌّ وَأَنْكَتَابِيٌّ
بِعَزَالٍ مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ لَا يُعْنِيهِ مَا بِيٌّ
أَنَا مُغْرِيٌ بِهَوَاهُ وَهُوَ مُغْرِيٌ بِجَنَانِيٌّ
إِنَّمَا قُلْتُ صِلْنِيٌّ كَانَ لَا مِنْهُ جَوَابِيٌّ

وكان فيها أيضاً

عَجَلَ الْحُبُّ بِفُرْقَةٍ فَقِيلَيِّ مِنْهُ حُرْقَةٌ
مَالِكٌ بِالْحُبِّ رِيقٌ وَأَنَا أَمْلِكُ رِيقَةٌ
إِنَّمَا يَسْتَرُوحُ الصَّبُّ إِذَا أَظْهَرَ عِشْقَهُ

٦١٢

ولالمعتمد شعر غنت فيه شارية في طريقة الرمل

تَائِيْتُ بِالْحُبِّ دَهْرًا طَوِيلًا فَلَمْ أَرَ فِي الْحُبِّ يَوْمًا سُرُورًا

ومما غنت فيه من شعره

يَا نَفْسُ وَيَحْكَ مَا لَكُ إِنِّي لَا نَكِرُ حَالَكُ

وله

أَصْبَحْتُ لَا أَمْلِكُ دَفْعَامِاً لِمَا أُسَامُ مِنْ خَسْفٍ وَمِنْ ذَلَّةٍ
تَمْضِي أُمُورُ النَّاسِ دُونِيٌّ وَلَا يُشَعِّرُ بِي فِي ذِكْرِهَا قَلَّةٌ
إِذَا أَشْتَهَيْتُ الشَّيْءَ وَلَوْا بِهِ عَيْيٌ وَقَالُوا هَاهُنَا عِلْمٌ

قال طلب المعبد ثلاثة دينار يصل بها عيًّا وقد حضرت عنده فلم توجد فطلب
٧١٢ مائتي دينار فلم توجد فبكى وقال

يَرَى مَا قَلَّ مُتَسْعًا عَلَيْهِ
وَمَا مِنْ ذَاكَ شَيْءٍ فِي يَدِهِ
وَيُعْنِمُ بَعْضَ مَا يُبَحِّبُ إِلَيْهِ
الَّذِي لَا يَرَى مِنْهُ أَكْثَرًا

وكان لما فرض الأمر إلى أخيه أبي أحمد واستروح إلى كفائه القيام بها وتفريغه
للله والشرب واللعبة وترك النظر في شيء من أمر المملكة أو المسئلة عنه طمع
أبو أحمد واستبد بالامر وغلب على المملكة ورآم العقید بعد ذلك تغير الحال فعزم
وأعزوه وامتنع عليه وطمع الناس جميعاً فيه إذ رأوه مغلوبًا على أمره ورأوا لا ضرر
ولا نفع في يده.

٩١٢ ذكر إسحاق بن مروج أن مفلح وجهه إلى المعبد وقال له قد سمعت هزاراً جارية أمير المؤمنين فأعجبتني وأحببت أن أملكها ورأيت بدرًا الجنار فأعجبني فأحببت أن أملكه فليوجه بهما أمير المؤمنين إلى. فأذيت الرسالة إلى المعبد بعد أن استأذنته فيها فلما سمعها غضب وخرق ثيابه وقال هكذا يفعل العبيد بالموالي يغضبونهم على حريتهم وغلمانهم وتكلم بأشياء عظيمة فرجنا فرداً وقد سكن ثم قال مثل أبي صالح لا يُرد عن طلبه. قد أمرت بحمل هزار مع كسوتها وفرشها وجواريها وجميع ما لها. فاما بدر الجنار فقد وقع على خدمتنا له منا موضع. فقل له يسعفنا بتركه. فعدت إلى مفلح فأخبرته بطرف من الأول وبالآخر وكان على الخروج إلى البصرة لحرب صاحب الزنج فقاتل يا أبا إسحاق قد حصلت هزار فإذا رجعنا من هذه الحرب أخذنا بدر الجنار منه شاء أم أبي. فخرج فأصابه سهم فمات.

١ الأصل: روح

وكان المعتمد من أسمح آل العباس وكان يُمثل بيته وبين المستعين ويقال ما ولي أسمح ١٠١٢ منهما وكان جيد التدبير فهمَا بالأمور فلما فوض أمره وغلب على رأيه نقصت حاله عند الناس.

قال محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان بعث بي أبي إلى المعتمد في شيء فقال لي اجلس فاستعظامت ذاك فرد الأمر على فاعترضت بأنه لا يجوز لي فقال لي يا محمد إن أدبك في القبول متى خير من أدبك في خلافي.

ظل بعض أسباب موسى بن بغا محمد بن علي الكاتب المعروف ياذنحانة فلما مات ١١١٢ موسى هجاه فقال

مَاتَ قَسْنَ الدَّيْرِ مُوسَى لَعْنَ الرَّحْمَنِ مُوسَى
فَلَقَدْ كَانَ ضَعِيفًا فِي ثَقَلِ اللَّهِ حَسِيسًا
فَسُرُورِي مُطْلَقٌ وَالْحُرْزُ قَدْ صَارَ حِيسًا

بلغ هذا الشعر المعتمد فقضاه فقال

مَاتَ خَيْرُ الْأَنَاسِ مُوسَى رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ مُوسَى
فَلَقَدْ كَانَ جَيْلِيًّا عَكَالِيًّا الْقَدْرِ رَئِيسًا
أَطْلَقَ الْحُرْزَ وَخَلَّ فَرِحِي وَقَفَا حِيسًا

ومن شعره المرذول قوله^١

مَا لِي وَهْذَا الْهَوَى مَا لِي
لَوْ أَمْكَنَنِي أَفْتَدِيْهُ بِمَا لِي
وَهَذَا الْحَيْبُ مَا يُوَاصِلُنِي
فَلَأَنَا مَعَ هِجْرَانِهِ فِي قِتَالٍ
بَدَالِي عَلَى مَا أَرَى فِي حُبِّهِ وَكُنْتُ وَاللَّهِ مَا بَدَالِي

^١ الأصل: (من الأشعار المرذولة للمعتمد) وردت في الهاشم.

وله من هذا الفن

الْحُبُّ لَكَانَ رَجُلًا أَحَمَّقٌ
كَائِنٍ سِنَوْرًا لَبَقْ
أَنْ أَطْلَعَ عَلَيْهِ فَلَكُونَ لَقْلَقْ
هُوَى النَّاسِ بُخْتَمٌ عَنِّيْدِي وَهَوَاهُمْ عَلَيْهِمْ مُفَرَّقٌ

مَنْ قَالَ إِنِّي أَعْشَقُ لَوْ صَوْرُوا
أَدُورُ الْسُّطُوحَ فَلَا أَرَاهُ
مَمْنَىٰتٌ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ
وَهَوَاهُمْ عَلَيْهِمْ مُفَرَّقٌ

قال فكتب الراضي بخطه تحت هذه الآيات

لَمْ يَقُلْ ذَا الشِّعْرِ إِلَّا
جَاهِلٌ بِالشِّعْرِ أَحَمَّقٌ
أَوْ مُصَابٌ ذُو جُنُونٍ ضَاعُ الْفِكْرَةُ لَبَقْ

ومن شعره

بَعْجِبٌ مِنْ هَذَا الْحُبُّ لَا
أَرَاكَ يَا ظَاكِمٌ لَا تُرِيدُنِي
أَنْتَ فِي حُسْنِكَ يُوسُفُ
لَسْتُ أَغْنِي يَعْقُوبَ الصَّفَارَ

بُجُوكَارِي بِهِ الْحَلُوبُ
هَذَا وَاللهُ هُوَ مَقْلُوبُ
وَأَنَا فِي ضُرَّي يَغْقُوبُ
أَنْتَ الصَّفَارُ مَصْلُوبُ

وله

عَشِيقٌ إِنْسَانًا كَسْكَرٌ
فَمَمَّا شَكَوْتُ إِلَيْهِ هَوَاهُ
هُوَ الْذَّهَبُ الْإِبْرِيزُ فِي حُسْنِهِ
مَنْ دَلِّي عَلَيْهِ فَلَهُ عَنِّيْدِي

وَجْهُهُ كَلْفَمَرِ الْأَزْهَرُ
طَكَاطَا رَأْسَهُ وَفَكَرٌ
وَهُوَ الْيَكَافُوتُ الْأَحَمَرُ
كُلُّ مَا تَمَّيَّ وَقَدَرٌ

لَمَّا ظَنَّتُهُ بِيَدِي حَاصِلاً
لَا شَكَّ تَرَكَنِي وَشَمَرٌ

قال ودخل يوماً الجوسق فرأى طائراً فصاده فقال الموقف مارأيت أحسن منه فهبه ١٤٠١٢
لي يا أمير المؤمنين فأعطيه إياه فلما حصل في يده أفلت وجعل يصفع بجناحيه
ويطير فضحك المعتمد ضحكاً شديداً وقال

دَحَلْتُ يَوْمًا الْجَوْسَقَ
فَاصْطَدَتْ طَيْرًا أَبْلَقَهَا
أَخَذَهُ مِنِّي الْمَوْقَعَ
فِينَ أَخَذَهُ صَفَقَهَا
وَطَارَ مِنْهُ فَرَقَهَا

قال ولما سُخِنَ أبوأحمد إلى البصرة وللجيش معه وبقي المعتمد بسر من رأى قال

وَهُمْ هُمْ هُجُوجٌ وَهُمْ هُجُوجٌ
وَأَمْرٌ فَطِيعٌ وَأَمْرٌ صُرُومٌ
أَيْحَسْنُ أَنْ تَذَهَّبُوا كُلُّكُمْ
وَأَقْدُمُ فِي الْيَتِ كَيْ هُرُومٌ
وَيَمْضِي الْأَمِيرُ أَبُوأَحْمَدٍ
وَيُضَرِّبُ بِالظَّبِيلِ كُرْدَمَ كُرْدَمَ

قال وخرجت بثرة على قدم بدر غلامه فأخبر بذلك فاغتنم فلما كان بعد عتمة خرج ١٥٠١٢
إلى حجرته عائداً له وقال

عُدْتُهُ بَعْدَ الْعَتَمَ
لِعِلَّةِ حَادِثَةٍ عَلَى الْقَدَمِ
مَضَيْتُ أَمْسِيَ فِي الظُّلْمِ
وَحْدِي فَلَا خَلْقٌ عَلِمَ

وله

رَمَضَانُ أَنَّاكَ بِخَزْمٍ مَسْرَرٌ
فَاقْعُدْنَ حَلْفَ بِالْيَكْنَ وَتَكْسَرٌ
لَسَيْنَ بُسْتَانَ سَرْهَكَ فِيهِ
يَكْلُ اللَّحْمَ بَارِدًا حِينَ يَشْتَرِزَ
وَالْيَثِيَا وَالْجَنْدُ مَعَهُ دَفُوقًا
وَالظَّلْعَلْمُ وَقِشْرُ الْبَيْضِ الْأَحْمَرِ

١ لغة عامة عراقية بمعنى كأني.

دير العذاري

١٠١٣ وهذا الدير أسفل الحظيرة على شاطئ دجلة وهو دير حسن عامر حوله البساتين والكرم وفيه جميع ما يحتاج إليه ولا يخلو من متزه يقصده للشرب واللعب وهو من الديارات الحسنة وبقعته من البقاع المستطابة وإنما سُمي بدير العذاري لأن فيه جوار مبتلات عذاري هن سكانه وقطنه فُسني الدير بهن.

٢٠١٣ وذكر يحيى بن المزمع عن الملاحظ قال حدثني ابن فرج التغلبي أن قوماً من بني تغلب أرادوا القطع على مال السلطان فأعلمهم المعاينة فأعلمهم أن السلطان قد نذر بهم فساروا ثم أرموا على الاستخفاف في دير العذاري فصاروا إلى الدير ففتح لهم مما استقروا حتى سمعوا وقع حواري الخيل في طلبهم. فلما أمنوا وجاورتهم الخيل خلا كل واحد منهم بجارية هي عنده عذراء فإذا القس قد فرغ منها فقتل بعضهم في ذلك

وَالْوَطِ مِنْ رَاهِبٍ يَدْعِي
بَأَنَّ النِّسَاءَ عَلَيْهِ حَرَامٌ
يُحَرِّمُ بَيْضَاءَ مَمْكُورَةً
وَيُغَيِّبُهُ فِي الْبَصْرَ عَنْهَا غُلَامٌ
إِذَا مَامَشَى عَضَّ عَنْ طَرْفِهِ
وَفِي الدَّيْرِ بِاللَّيْلِ مِنْهُ عُرَامٌ
وَدِيرُ الْعَذَارِيِّ فُضُوحٌ لَهُنَّ

٢٠١٣ وفي بغداد أيضاً دير يُعرف بدير العذاري في قطعة النصارى على نهر الدجاج^١ وسيجي بذلك لأن لهم صوم ثلاثة أيام قبل الصوم الكبير يُسمى صوم العذاري فإذا انقضى الصوم اجتمعوا إلى هذا الدير تعبدوا وتقربوا. وهو دير حسن طيب.

١ الأصل: الزجاج.

ولابن المعتز في دير العذاري المقدم ذكره

خَلِيلِيْ قُمْ حَتَّى مَوْتَ مِنَ السُّكْرِ
وَنَشَرَ بَ مِنْ كَرْخِيَّةِ دَهْبِيَّةِ
الَّأَرْبَعَاءِ أَيَّامَ مَضَيْنَ حَمِيدَةَ
وَكَمْ مِنْ لَيَالٍ مُسْعَدَاتِ لِذِي الْهُوَى
خَلِيلِيْ فَلَا تَظَلُّبْ فَلَاهِي وَخَلِيلِيْ

ولبعضهم فيه

قَامَ عُذْرِيْ فِي طَيِّ دِيرِ الْعَذَارِيِّ
جِينَ أَبْصَرَتْ عَاشِقِيَّهِ حَيَارِيِّ
فِتْنَهُ عَمَّتِ الْخَلَاقَ وَاسْتَوَ
لَثَ عَلَى مُسْلِمِيْهِ وَالنَّصَارَى

قال ولما خرج عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من بغداد إلى سر من رأى وكان المعتز
٥٠١٣ استدعاه نزل هذا الدير فقام به يومين واستطابه وشرب فيه ثم قال هذه الآيات

مَا تَرَى طَبَ وَقْتِنَا يَا سَعِيدُ
رَمَنْ ضَاحِكٌ وَرَوْضُ نَضِيدُ
وَرِيَاضُ كَانَهُنَّ بُرُودُ
كُلَّ يَوْمٍ لَهُنَّ صَبَّ جَدِيدُ
وَكَانَ الشَّقِيقَ فِيهَا عَشِيقُ
وَكَانَ الْغُصُونَ مَيْلًا قُدُودُ
وَكَانَ الْتَّوَارِ فِيهَا عُقُودُ
وَكَانَ الشَّمَارَ وَاللَّوْرَقَ الْكُضْرَيْشَابُ مِنْ تَحْتِهِنَّ نَهُودُ
فَأَسْقِنَهَا رَاحَاً تُرِيجُ مِنَ الْهَمَّ وَتُبَدِّي سُرُورَنَا وَتُعِيدُ
وَأَنْتَهُنَّ الْكَاسَ يَا سَعِيدُ فَتَدْحَشَكَ نَايُ بِهَا وَحَرَكَ عُودُ
وَفَتَرَعَ عِذْرَةَ الْلَّذَادَاتِ فِي دِيرِ الْعَذَارِيِّ فَعَلَهَا لَا تَعُودُ

وعيده اللہ من أحسن الناس أدباً وشعرًا وتصرفاً في سائر العلوم مع كرم نفس
وحسن خلق. ولما وصل عييد اللہ من سفرته المذكورة إلى المعتر أمره بالمقام عنده
في ذلك اليوم فأقام.

قال عييد اللہ فأرسل المعتر إلى شارية أن تخرج فعالات عليه فقال عندي من
يحب أن يسمعك وأحب لك وله ذلك ولا بد من حضورك. فخرجت بخلست خلف
الستارة ثم قالت لولا الزائر ما جئت. فأول صوت غنته

غَشِّيَتِ الْمَنَازِلُ بِالْأَعْصَمِ كَمْنَعِ الْوَسِيمِ فِي الْمَغْصَمِ

ثم غنت بعده

لَقَدْ رَاعَيْنِ لِلْيَيْنِ صَوْتُ حَمَامَةٍ عَلَى عُصْنٍ بَانِ جَاوِبَتِهَا حَمَامُ

قال لي المعتر كيف تسمع قلت أسمع شيئاً حظ العجب منه أكثر من حد الطرف
فاسخن هذا الكلام مي. ثم أسمعني زمر زنان الزامر وقد ضعف وأرعش وأزمه
القرس وأراني الآلة التي عملها أحمد بن موسى للمهندس من صفر يرسل فيها الماء
فيسمع لها زمر السرناي. ثم أدخلني إلى شبابك وأمر أن يجمع بين السبع والليل
فرأيتهم كيف يتواشيان ثم قال لي أذكر أي أريتك اليوم أربعة أشياء طريفة قلت نعم يا
سيدي قال أيها أظرف عندك قلت غنا شارية. فقال صدقت.

قال جحظة دخلت على عييد اللہ بن عبد اللہ بن طاهر يوماً جاءه مستيقنة فأمرهم
بالجلوس عن يمينه وجاءه كهول فأمرهم بالجلوس عن شماله ودخل أحداث فوقوا بين
يديه ولم يأمرهم بالجلوس فسألته عنهم فقال هؤلاء بني وأوما إلى الشيخ وهو لاء
بنوهم وأوما إلى الكهول وهو لاء بنوهم وأوما إلى الأحداث. قلت بنوك لام أو لأمهات
قال ألم جميعهم شاجي. وأنشد

رَرَعْتُ وَشَاجِي بَيْتَنَا فِي شَيْبَتِي عِرَاسَ الْهَوَى فَاعْتَمَ بِالشَّمَرِ الْعَذِيبِ
فَشَابَ بْنُو شَاجِي لِظَّهَرِي وَأَذْرَكَ وَشَابَ بْنُو هُمْ وَهِيَ مَالِكَةُ قَلْبِي

قال وهي معي منذ سبعين سنة .

وكان بعض التجار حكم موته قبلها هات قله فقال

٩٠١٣

فِيَ عَجَبًا مِنِّي وَمَمَنْ رَعَيْتُهُ يَا وَكِدَ أَسْبَابَ الْهَوَى وَرَعَانِي
وَكُنْتُ أَرْجِي أَنْ أَكُونَ فِدَاءَهُ فَمَا أَتَى وَقْتُ الْحِمَامِ فَدَانِي

وذكر ابن قدامة قال حضرت جنازة شاجي فلما انصرفنا دخلت مع عبيد الله ١٠٠١٣
مساعدا له ومؤنسا وهو مطرق ودموعه تجري على خديه فلم أر بايك أحسن منه ثم رفع
رأسه وأقبل علينا فقال

يَمِينًا بِأَيْنِي لَوْلَيْتُ بِفَقْدِهَا وَيِنْ بَصْ عَرَقِ الْحَيَاةِ وَالنُّكْسِ
لَا وَشَكْ قَتَلَ الْفَسِ عِنْدَ فِرَاقِهَا وَلِكَهَا مَاتَتْ وَقَدْ ذَهَبَتْ قَسِي

قال ثم حضرت معه لزيارة قبرها فلما هم بالانصراف قال

مَنْ زَارَ دَارَ أَحِبَّةَ لِحَيَاةِهِمْ وَلِكَا يُؤْمِلُ مِنْ لِقَاءِ يُقْدَرُ
فَلِيَاتِ دَارَ أَحِبَّةَ سَكَنُوا إِلَيْهِ كَمَا وَحْفَظَا وَاللَّقَاءُ الْمُحْسَرُ

قال ومات ابن عبيده من شاجي فزار قبره ثم أنسد

أَيَا بَحْمَمَ الْأَحَبَابِ بَعْدَ تَقْرِيقِ أَرَاكَ قَرِيبًا وَالثَّلَاقِي شَاسِعَا
فِيَ عَجَبًا بِأَيِّ أَزُورُكَ مُكَرَّهًا وَفِيكَ الْأَلَى أَهَوَى وَأَجْفُوكَ طَائِعَا

١ الأصل: بن

قال الصولي^١ لما مات شاجي جزع عليها عبيد الله الجبوع الذي لم يُر مثله فرثاها
١٢٠١٣ جماعة من الأدباء ورثاها عبيد الله بعده قصائد فكان أحسن ما مرّ بي في ذلك
رسالة لعبد الله بن المعتز٢ إليه وجوابها من عبيد الله بن عبد الله وكانت نسخة التعزية
اتصل^٣ بي أعزك الله خبر المصيبة فوالله لقد أشركتي لهم بها معك ولمني منها ما
الملك فصبراً يا أخي على حكم القدر ونهضًا عن عترة الجبوع وثباتًا للمحن وشكراً لمفید
النسمة بتقديم المُرمٰ وتحصيل الأجر على حسن الصبر وإن كانت

جَلِيلَةُ حَطَّ مِنْ عَفَافٍ وَمِنْ نَعَّىٰ وَقُتُرِيَّةٌ فِي ذَرَوَةِ الْعَصْنِ تَسْبَحُ
تَوَلَّتْ وَلَوْلَا مَتْنُعُ الْأَرْضِ غَيْرَهَا كَهْنَهَا وَلَكِنْ لَا أَرَى الْأَرْضَ تَشَبَّعُ

وقد أطال الله إمتناعك بها منذ وذهبها لك وجعل فقدتها لمشبك التي هي أكبر منها
١٢٠١٣ إذا ارتجعها منك ومثلك أيدك الله لا يُحْضَر على حفظ دينه لأنك تعلمته وترغب فيه
وتتسارع إليه لكن المصائب ربما عصفت بالجارع حتى يذكر أو يُذكَر فيراجع الرضا
بحكم من لا يجور ويسبق الصبر على المصيبة مختاراً للسلوة التي لا بد من أن يصير
إليها اضطراراً. ورب خيرة مرة وحميد في مكروه وهو الدهر الذي نفرة ولا يؤتي من
غرة به. هذه سجيّته وبهذا تقدمت سيرته كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها
وهو ﴿خَيْرُ الْوَرِثَيْن﴾.

ولولا علة عائقة عن لقائك أعزك الله لصرت إليك بدلاً من كل كتاب ورسول
و قضيت بذلك حراك ورأيته من واجبك. ورب حاضر لم يحضر ودّه وغائب
لم يغب عمّا عنا. وأعظم الله أجرك وأجزل ثوابك ودل على سبيل العراء قلبك وكفاك
مكارهك ووفقاك لما يوافقك ورحم التي ثوّفت وجعل ما اتصلت به من الآخرة
خيراً مما انقطعت عنه من الدنيا و﴿إِنَّا إِلَهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجُعُونَ﴾.

^١ الأصل: (قف على هذه التعزية الغربية) وردت في الهاامش. ^٢ الأصل: (رسالة التعزية أرسلها ابن المعتز إلى عبيد الله بن طاهر) وردت في الهاامش.

فأجابه عبيد الله بن عبد الله أطال الله بقاءه السيد المؤمل للدنيا والدين وابن السادة المعين والخلفاء الراشدين والآباء المنتجبين وزاد الله السيد تشريفاً وتقضيأً وأدام له العزّ والسعادة والكرامة والغبطة والسلامة وجدد له النعم الظاهرة والمنزلة المرادفة وجعلني من كل سوء ومكره فداءه وقدمني إلى كل مرهوب ومحذور قبله.

وصل كتاب السيد أطال الله بقاءه مملوءاً بالبر والتفضل والإغاثة والتضليل وفوائد الأدب وجوامع الحasan. فتلقيته بحقه من الإعظام والشكر والمعزقة بعلو قدره وارتفاع درجته وارتقائه رتبته في حسن التأليف واتفاق المعاني وجليل الصواب وجميل الخطاب ولقد رفع الله الأدب والعلم ونواضر أهلهم بما في السيد أيده الله تعالى به عينيه^١ وقدرته. فأما المشاركة فهو معمودة من قبضته حتى لو قلت إن التعرية بهذه المصيبة التي لحقتني لو شوفه بها وعرى عنها جرى الأمر مجرها ووضع القصد في أحق مقاصده.

وأما الصبر فهو الذي لا بد منه اضطراراً أو اختياراً

١٤٠١٣

إِذَا مَا أَصَابَتْ ذَا حَيَاةِ مُصِيبَةٍ فَقَاتَلَهَا مِنْهُ الْحَمْلُ وَالصَّبَرُ
فَمَا بَعْدَتْ مِنْ أَنْ تَحُولَ نِفَّةً يَخْتُنُ عَلَيْنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

واما الجزع فما أصاب وأوجع ولم وروع فلا محيد عنه وإذا لم يتعد العين والقلب إلى البدن واللسان خطبه أسهل.

وشكر المولى الخفيف للحزن والمتّم للنعم المزعج في التوائب والعصمة في المصائب. ولو كان طول الإمتناع أعز الله السيد يسلي لا يسلو عنه إلا من^٢ ساعده وهو عقده لما عمل عليه مميز نظار ولو كان على أشد المصادر وأمر الفحوص ولو علة الأبد ودوم المكد. وأقول

أَسَرُّ أُمُورِ الدَّهْرِ صَارَ أَعْمَهَا وَكُلُّ جَدِيدٍ صَارَ بَعْدَكَ بِالْكِتابِ
فَأَجَبَّ مِنْ شَهْدٍ تَحُولَ عَلَقَمًا وَمِنْ ضَاحِكٍ لَمْ يَعُدْ أَنْ ظَلَّ بِالْكِتابِ

١ الأصل: بعناته. ٢ كذا في الأصل.

وأَمَّا السُّلْوَةُ أَعْزَّهُ اللَّهُ السَّيِّدُ فَلِي سَتُّ منْ فُلَ الْأَحْرَارِ الْمُخْلَصِينَ لَا فِي حَيَا وَلَا فِي
١٥.١٣ مَمَاتٍ إِنَّمَا هُوَ اغْتِنَامُ الْاحْتِسَابِ وَاتِّصَالُ الْأَبْكَادِ وَالْعِيَازُ بِاللَّهِ مِنْ فَقْدِ الْعِزَاءِ وَفَقْدِ
أَجْرِهِ . وَبِاللَّهِ يَا سَيِّدِي إِنَّ السَّخْنَ لَخَائِشٌ إِنَّ الْطَّرْفَ لَدَاعِمٌ إِنَّ الْقَلْبَ لَحَرَانٌ
مَوْجَعٌ . وَلَقَدْ صَادَفَتْ هَذِهِ الْحَالُ بَدْنًا مَا فِيهِ عَضْوٌ صَحِيحٌ . أَسْقَامٌ مُتَطَاوِلَةٌ وَمُصَبِّيَةٌ
مُوصَلَةٌ بِمَا يَبْقَى مِنَ الزَّمْنِ

وَبَيْنَا الْفَتَى يَنْكِي وَيَنْدَبُ سَجْوَهُ وَمَالُوفُهُ إِذْ صَارَ يُنْكِي وَيُنَدَبُ

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ السَّيِّدُ جَعْلَنِي فَهَاهُ مِنْ أَمْرِ الْعَلَمَةِ الَّتِي لَا كَانَتْ وَلَا سَمِعَ لَهَا بِذَكْرِ أَبْدًا
فَإِنَّهُ لَوْلَا هَا لَكَانَ وَكَانَ مَا لَا يَنْطَلِقُ بِذَكْرِ الْلِّسَانِ وَأَنَا أَعِيَذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي فَضَلَهُ
بِكُلِّ خَلْقٍ كَرِيمٌ مِنْ تَعْسُفِ الْفَعْلِ الَّذِي لَا يَجْزِي أَدْنَاهُ أَقْصَى الشَّكْرِ مَا سَلَفَ مِنْ
الْمُخَاطَبَةِ وَالْمُشَارَكَةِ مَا بَلَغَ أَقْصَى مَنَازِلِ الْشَّرْفِ وَحَاوَلَ أَعْلَى مَاثَرِ الْخَرْفِ وَأَنَا أَفَوْضُ
السَّيِّدَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ مَا نَطَقَ بِهِ الْحَزَنُ وَأَبْثَأَهُ إِيَاهُ . فَنَّ ذَلِكُ

**وَقَفَتْ عَلَى الْأَخْبَابِ وَالْتُّرْبَ دُوَهَمٌ بِنَفْسِي وُجُوهٌ تَحْتَ تِلْكَ الْمَقَابِرِ
وَمَمَّلَّ لِي مَا نَالَ مِنْ حُسْنِهَا الْبَلِي فَسَجَّحَانَ رَبَّ عَالَمٍ بِالسَّرَّائِرِ**

ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ بَعْدَهُ قُصَّادَيْنَ قَالَهَا فِيهَا .

قال ولما اختلت حال عبيد الله بعث إليه المعتصد يسأله أن يفسح لشاجي في زيارته
١٦.١٣ فشق ذلك عليه واحتتج بأنها عليه ومحتملة الهيئة فلَمَّا في طلبها حتَّى ظهر منه تهديد
له بعث بها إليه فذكر عنها أنها قالت احقرت نفسي حين دخلت على جواريه لما
رأيت عليهنَّ من حليهنَّ وحللهنَّ وحقروني هُنَّ أَيْضًا حتَّى غنت وغنت فانتقل
إعظامي لهنَّ إلى منهنَّ فلما خرجت حمل معها المعتصد عشرة ألف درهم وكسوة

١. كذا في الأصل.

وطيب فجاءت شاجي وعييد الله واله فلما رأها سري عنه ثم قال لها هل رأيت شيئاً لم ترئ مثله عندنا فاستحسننته فقالت لا والله إلا عوداً من عود وذلك أنه محفوراً لا مبنياً فاستظرفته.

قال وكان مما صنعه وغنته ذلك اليوم للمعتضد

١٧٠١٣

مَاذَا أَسْتَعَارَ الْحُسْنُ مِنْ وَجْهِهِ
وَالْعَصْنُ الْنَّاعِمُ مِنْ قَدْهِ
لَقَدْ تَعَابَنَا بِأَبْصَارِنَا
فِيمَا جَنَاهُ الْحُلْفُ مِنْ وَعْدِهِ
حَتَّى تَجَارَحَنَا بِتَكْرِارِنَا
لِلْحَظِّ فِي قَلْبِي وَفِي خَدِّهِ
فَادْرَكَ الْثَّارُ وَادْرَكَتْهُ
وَسَرَرَنِي بِالصَّدَّ عَنْ صَدِّهِ

وكان مما غنته أيضاً

هُوَ الدَّهْرُ لَا يُعْطِيكَ إِلَّا تَعْلَمَهُ
وَلَا يَأْخُذُ الْمَوْهُوبَ إِلَّا تَعْشُمَا
عَزَاءً إِذَا مَا فَاتَ مَطْلُبُ هَالِكٍ
وَصَبَرًا إِذَا كَانَ التَّصَبُّرُ أَحَرَّمَا

قال أبو علي محمد بن العلاء السجيري لما تقدّم عييد الله بن سليمان الوزارة للمعتضد
دفع عييد الله بن عبد الله بن طاهر إلى رقعة سائلني عرضها على عييد الله بن سليمان
فكان فيها

أَبِي دَهْرٍ نَا إِسْعَافَا فِي قُوْسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِينَ بُجْلُ وَغُظْمُ
فَقُلْتُ لَهُ نُتَمَّاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إِنَّ الْمُهَمَّ الْمُقْدَمُ
فاستحسن عييد الله بن سليمان ما كتب به وقال أما ترى كيف تلطف لشكوى
حاله ثم أخذ جميع رقاعه فوق له فيها بجميع ما أحب.

قال وقال أبو العيناء يوماً لعبيد الله أسكت ^{١٩٠١٣} أيها الأمير أم أقول. قال إن سكت كفتك وإن قلت أصغي إليك وإنك تقترب منا إذا احتجنا إليك وتبعده عننا إذا احتجت إلينا.

ومن شعره قوله

لَعَمْرِي لَئِنْ حَدَّثْتَ نَفْسِي أَنِّي أَفُوتُكَ إِنَّ الْأَيَّ مِيَّ لِعَسَارِبٍ
لِإِنَّكَ مِيَّ بِالْمَكَانِ الْمُحِيطِ بِي مِنَ الْأَرْضِ أَنِّي آسْتَهْضِيَ الْمَذَاهِبُ

^{٢٠٠١٣} ذكر أبو علي الأورجي أن أبي بكر محمد بن السري السراج التمويي كان يحب جارية من القيان فافقق عليها مالاً جزيلاً فلما ورد المكتفي من الرقة خرج الناس ينظرون إليه ففرجت أنا وهو وأبو القاسم عبد الله الموصلي فجلسنا على روشن دار ابن جهمشيار لزراه فلما وافى ونظرنا إليه استحسناه كلنا. وكان أبو بكر السراج واجداً على هذه الجارية ومخاضباً لها فقال قد حضرني شيء فاكب فكتب

قَائِسْتُ بَيْنَ جَمَالِهَا وَفَعَالِهَا فَإِذَا الْمَلَاحَةُ بِالْخِيَانَةِ لَا تَغْيِيرٌ
وَاللهِ لَا كَلْمَثُوا وَلَوْا هُنَّا كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْبَذْرِ أَوْ كَالْمَكْتَمِ

^{٢١٠١٣} ثم مضى للحديث مدة طويلة وكان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل زنجي الكاتب يهوى قينة وهو إذ ذلك يكتب لأبي العباس بن الفرات وكان يحدثه بحديثه معها ولا يحتشمه. وكان اجتماعها معه في كل يوم جمعة لأنّه كان يوم نوبته في داره. قال أبو علي خذبني زنجي قال غدوت يوم سبت على أبي العباس بن الفرات فقال لي ما كان خبرك أمس خذبني اجتمعنا فقال لي فما كان صوتكم فقلت

قَائِسْتُ بَيْنَ جَمَالِهَا وَفَعَالِهَا

١. كما في الأصل.

فقال لي أبو العباس لمن هذا الشعر قلت لعبد الله بن العتر. ثم ركب أبو العباس ابن الفرات إلى الوزير القاسم بن عبيد الله خذنه بهذا الحديث وأنشده الشعر وسار معه إلى الترية ثم انصرف عنه فجلس في ديوانه فلما علم أن قد قرب انصراوه خرج فتلقاءه فلما لقيه حدثه أنه أشد المكتفي بالشعر وأله سأله عن قائله فعرفه أنه لعبيد الله ابن عبد الله بن طاهر. قال فأمرني أن أحمل إليه ألف دينار فقتلت إماماً قلت لك إن الشاعر لعبد الله بن العتر فنسبته إلى ابن طاهر فقال والله ما وقع لي إلا أنك قلت إنه لعبيد الله وهذا رزق رزقه الله عبيد الله لا حيلة لأحد فيه. قال زنجي فلما انصرف أبو العباس حدثني بهذا الحديث وقل خذأنت الدنانير وأمض بها إلى عبيد الله وقل له هذا رزق بعثه الله إليك من حيث لم تختسب فغلت إليه الدنانير وحدثه الحديث فهد الله وشكراً أبا العباس فكان هذا من الاتفاق العجيب.

وكان عبيد الله يقول من صحب السلطان وخدمه احتاج أن يدخل أعمى ويخرج ^{٢٢٠١٣} آخرس.

ومن شعره

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْضُلْ عَلَى ذِي مَوْدَةٍ وَكُنْتَ وَإِيَاهُ بِمَنْزِلَةِ سَوَا
فَلَا تَكُ دَاتِيهِ عَلَيْهِ وَإِمَّا يُعَاقِبُ بِالذَّبِّ الْفَقِي لَا عَلَى الرَّضَا

وقال أيضاً

أَلَا إِنَّ قَلْبِي مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي مَضَى لَمَلَأْنُ مِنْ أَمْرِيْنِ يَخْتَلِفَاْنِ
هُوَ مِنْكَ يَتَلَوُهُ أَذْيَ لَكَ وَالْأَذْيَ عَدُوُّ الْهُوَيْ لَنْ يُوجَدَا بِمَكَابِ

١ الأصل: (أقول لا خصوصية للسلطان بل كل كبرى ينبع على الكمال مصاحبه وحفظ السر) وردت في الهاشم.

٢٣،١٣

وقال أيضاً

كَمَا كَعَنَ الْدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ مُخْبِرًا
عَنِ بَاخِلِيهَا وَأَفْتَقَارِ كِرامَهَا
وَأَنَّ رِجَالَ الْضُّرِّ فَوْقَ سِنَاهَا

وقال أيضاً

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَقْبِضَ الْمَدَامُ
يُقْطَعُنَ قَلْبِي وَالْهُمُومُ التَّوَارِعُ
وَأَعْظَمُهُمْ مِنْهَا مَا تُحِنُّ الْأَضَالُ
وَقَالُوا غَدًا يَنْتَأِي فَمَا أَنْتَ صَانِعُ
بَلَى رَفَرَاثٌ بَيْسَهُنَ شَنْسَهُ
وَذُلٌّ وَاطْرَاقٌ وَفَكٌّ وَحَسْرَةٌ

قال عبد الله بن المعتز كتب إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين ولي ابنه خلافة ٢٤،١٣
مؤنس على شرط بغداد

وَقُلْتُ عَسَى قَدْ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ الْدَّهْرُ
كَمَا بَدَأَتِ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرُ
وَلَا بُدَّ مِنْ يُسْتَرِّ إِذَا مَا آتَسَكَى الْعُسْرُ
فَرِحْتُ بِمَا أَضْعَاهُ دُونَ قَدْرِكُمْ
فَرَتَبَعْ فِيَنَا دَوْلَةُ طَاهِرِيَّةٍ
عَسَى اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ

فأجابه عبيد الله بن عبد الله

فَنَحْنُ لَكُمْ إِنَّ مَسَنَا ضَيْمٌ جَمْفُوٌّ
وَمِنَّا عَلَى لَوْاهِهَا الصَّبْرُ وَالْعُذْرُ
إِنَّا مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ دَوْلَةٌ
فَإِنَّ رَجَعَتْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ دَوْلَةٌ

ولعبيد الله شعر كثير وأخبار ظريفة اخترنا منها ما يليق بفرض الكتاب ولا يخرج إلى حد الإطالة. وكانت وفاة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ليلة السبت لاثنتي عشرة

١ كذا في عواد؛ الأصل: بونس.

ليلة خلت من شوال سنة ثلاثة وسبعين. ولما توفي وجهت شعب والدة المقترن بأم موسى الدهرمانة إلى ولده وحرمه فعزّتهم عنها وكفّته بكتن حظيري^١ وتصدق في جنازته بألف دينار وألف درهم وقامت بجميع أمورهم.

وأمتا أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر فكان كريماً سرياً جواداً سمحاً حسن الأخلاق مع ٢٦٠١٣ أدب وحسن معرفة واقتان فيسائر العلوم وضبط وسياسة وتقديم في التدبر. وكان للتوكّل استدعاء من خراسان لما مات إسحاق بن إبراهيم الطاهري ومحمد ابنه ولوأه خلافته ببغداد فأقر أخاه طاهر بن عبد الله على خراسان وكان أكبر إخوته.

وذكر الشاه بن ميكال أن بعض البرازين عرض على محمد بن عبد الله بن طاهر ثوبه ٢٧٠١٣ وهي فعرفهما أنهما من ثيابه فأحضر إبراهيم بن هارون النصراوي قهـرمانه فأمره أن يحضر الثوبيـن اللذـين من صـفـتهـماـكـيـتـ وـكـيـتـ ذـكـرـهـ لـاـ يـرـفـهـمـأـ وـأـتـهـ رـجـعـ إـلـىـ الإـحـصـاءـ فـلـمـ يـجـدـهـمـ فـيـهـ وـرـجـعـ إـلـىـ الـدـيـوـانـ فـوـجـدـهـمـ ثـابـتـيـنـ فـيـهـ وـكـانـ اـبـيـعـاـ بـأـلـفـ وـخـمـسـمـائـةـ دـيـنـارـ فـسـأـلـتـ عـنـ الـخـبـرـ فـأـخـبـرـتـ أـنـ الـكـاتـبـ فـيـ الـخـرـانـةـ أـبـاهـمـاـ وـأـسـقـطـ مـنـ الإـحـصـاءـ عـدـدـهـمـ. فـأـمـرـ بـجـبـسـ الـكـاتـبـ وـقـالـ لـإـبـرـاهـيمـ وـيلـكـ تـسـتـكـبـ مـنـ يـقـدـمـ هـذـاـ الإـقـدـامـ خـلـفـ أـنـهـ مـاـ وـقـفـ عـلـىـ مـثـلـ هـذـهـ الـحـالـ مـنـهـ وـلـاـ عـرـفـ لـهـ مـثـلـ هـذـهـ الـزـنـةـ. فـقـالـ إـنـ كـانـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ فـلـيـطـلـقـ وـأـمـرـ لـهـ بـخـمـسـمـائـةـ دـيـنـارـ وـقـالـ لـهـ تـعـفـ بـهـذـهـ فـإـنـيـ أـنـ الـحـلـةـ حـمـلـتـ عـلـىـ ذـلـكـ وـرـدـ الـثـوـبـيـنـ عـلـىـ التـاجـرـ وـأـطـلـقـهـ.

قال وكـيـاـ يومـاـ عـنـدـ إـسـحـاقـ بنـ إـبـرـاهـيمـ بنـ مـصـعـبـ فـقـدـمـتـ الـمـائـدـةـ وـكـانـ قدـ تـقـدـمـ بـعـملـ ٢٨٠١٣ هـرـيسـةـ فـقـدـمـتـ إـلـيـهـ الـهـرـيسـةـ فـظـرـ إـلـيـهاـ فـرـأـيـ شـعـرـ فـأـوـمـأـ إـلـىـ بـعـضـ غـلـمـانـهـ بـشـيءـ لمـ فـقـهـمـهـ فـاـ لـبـثـ أـنـ جـاءـ بـطـيـفـورـيـةـ عـلـيـهـ مـكـبـةـ فـرـضـعـهـاـ وـرـفـعـ الـمـكـبـةـ فـإـذاـ يـدـ الـطـبـاخـ بـدـمـهـاـ فـيـ الـطـيـفـورـيـةـ. فـرـغـنـاـ أـيـدـيـنـاـ وـتـنـقـصـ أـكـلـنـاـ نـمـاـ وـرـدـ عـلـيـنـاـ وـقـنـاـ وـلـيـسـ مـنـ أـحـدـ يـنـقـعـ بـنـفـسـهـ. ثـمـ اـجـتـعـنـاـ بـعـدـ ذـلـكـ بـدـهـرـ عـلـىـ مـائـدـةـ مـحـمـدـ بـنـ طـاهـرـ وـكـانـ قدـ تـقـدـمـ

^١ كـداـ فـيـ عـوـادـ؛ الأـصـلـ: خـطـيرـ.

يإصلاح لون اشتهاه فعمل له وجاء به الطباخ بنفسه حرصاً على التقرب من قلبه فلما
قرب منه عثر بجلته فأفلت الطيفورية على محمد فصارت ثيابه وما تحته من فرش آية.
فقام للوقت فغير ثيابه واغتسل وعاد إلينا بوجه طلق لم يؤثر فيه ما جرى وجلس
على المائدة ثم قال علي بغلان الطباخ بغيء به وهو لا يشك في حلول الفضة فقال
له أحسبنا قد رعناك. أنت حز لوجه الله جل وعز وفلانة الجارية لك وقد زوجتكها
وأمر له بصلة وكسوة فأقبلنا بالدعاء له وتعجبنا من فعله وذكرنا فعل إسحاق.

قال^١ كان ابن أبي فتن وينكت أبا عبد الرحمن شاعراً مطبوعاً وكانت له ضيعة في
قطيعة محمد بن عبد الله بن طاهر وكان الحاسن يضير إليه فيؤذيه وربما أشخاصه فكتب
إلى محمد يشكوا الحاسن وما تلقى منه من الإعنات

أَبْنِي حُسَيْنٍ إِنِّي أَصْبَحْتُ فِي كَفِ الْأَمِيرِ
وَلَنَا مَعَاشٌ فِي قَطِيعَتِهِ عَلَى الْكَاء الْثَمِيرِ
وَبَنَيْتُ بَيْتًا وَسَطَهُ سَمَيْتُهُ بَيْتَ السُّرُورِ
فَإِذَا جَلَسْتُ إِرَاهَهُ وَشَرِبْتُ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ
فُلِتْ أَعْفَالَهَا رَوَيْتُ عَلَى الْحَوْرِقِ^٢ وَالسَّدِيرِ
لَوْلَا تَرَدَدُ حَاسِرٍ كَالْكَلِبِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ
فَإِذَا بَدَأَ لِي وَجْهُهُ أَنْزَجْتُ صَفْرًا مِنْ سُورِي
فَهَلِ الْأَمِيرُ بِحُودِهِ مِنْ قُبَيْطَ طَلَعْتِهِ مُجِيرِي

فلما قرأ محمد الأبيات وقع تحتها قد أجرناك أبا عبد الرحمن وأمرنا باحتمال خراجك
وكان مبلغه ثمانية آلاف درهم ووجه إليه بألف دينار وحلف عليه أن يقبلها وكان
ابن أبي فتن لا يقبل من أحد شيئاً وكان حسن الحال مستقللاً.

١ الأصل: (ابن أبي فتن من الشعراء المفلقين) وردت في الهاشم. ٢ الأصل: الحروق.

ولم يجد بن عبد الله من الأفعال الكريمة ما يطوي الشرح بذكرها وفيما ذكرناه كفاية. ومن ملخص شعره قوله :

قالَتْ إِنَّا نَظَرْهَا أَقْبَلَ فَقُتِّلَتْ لَهَا
حَتَّىٰ إِذَا عَلِمَتْ أَنَّ قَدْ كَلِفْتُ هَـا
يَا كَاتِمِيْ حِيفَةَ الْوَاسِيْ مَحَبَّتَهُ
قُولِيْ بِطْرَفِكَ مَا هَمُونَ أَعْرَفُهُ

كان مولد محمد بن عبد الله سنة تسع ومائتين في الليلة التي فتحت في صبيحتها
كيسوم وفيها ولد عبيد الله بن خاقان وأحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وكلهم
ولي الوزارة. ومات محمد يوم السبت لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة ثلاثة
وخمسين ومائتين وسنة أربع وأربعون سنة وكانت وفاته من برة خرجت في حلقة.
وتوفي والقمر في الكسوف وكان يقول إذا تم الكسوف وبدأ في الانحلاء مت فكان
كل ذلك. واستخلف أخاه عبيد الله فأقره المعتز ووجه إليه بالخلع مع مفلح خليفة
باليك. وكان طاهر بن محمد نازعه الأمر وأعانه مواليه والعامّة حتى جاءت الرسل
والخلع فاستقر الأمر لعبيد الله .

ولابن الرومي يربى محمد بن عبد الله بن طاهر

بَاتَ الْأَمِيرُ وَبَاتَ بَدْرُ سَمَايَا
 قَرَرَأَيْ قَمَرًا يَجُودُ بِنَفْسِهِ
 فَرَكَّبَ أَخَاهُ أَحَ مُؤَسِّ مُصِفُّ
 هَذَا يُوَدُّ عَنَا وَهَذَا يَكْسِفُ

وقال فيه

^١ الأصا: (يُحفظ) وردت في الهاشم: ٢ الأصا: النظر.

وَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ بَاتَ لِمَا بِهِ
قُلْتُ الْثَّدَى لَا شَكَّ بَاتَ لِمَا بِهِ
وَكَمَّا ضَنَّ الْرَّمَكَانُ عَلَى الْوَرَى
بِيَقَائِهِ أَوْهَابَهُ فَبَدَابَهُ
فَلِمَنْ أَصُونُ مَدَامِعِي مِنْ بَعْدِهِ
وَلِمَنْ تُرِى شَهَلُ مِنْ أَسْبَابِهِ
إِصَوَابِهِ لِخِطَابِهِ لِجَوَابِهِ
لِشَابِهِ لِغُرَّ مِنْ آدَابِهِ

ولعيid الله أخيه فيه

٣٢،١٣

كَسَفَ الْبَدْرُ وَالْأَمِيرُ جَمِيعًا فَأَنْجَلَ الْبَدْرُ وَالْأَمِيرُ عَمِيدُ
عَاوَدَ الْبَدْرَ نُورُهُ لِتَحَلِّيهِ وَنُورُ الْأَمِيرِ مَا لَا يَعُودُ

وقال

ذَكَرْتُ أَخِي مِنْ عِيرِ نَسِيَانَ دِكْرُهُ وَلَكِنَّهَا حَالٌ تَرِيزُدُ وَتَنْصُرُ
عَلَى حَسْبِ أَحْلَاقِ الْرَّمَانِ وَإِنَّهُ لِيَصْبَحَنِي عَيْشٌ عَلَيْهِ مُنَخَّرُ

ولما مات محمد بن عبد الله بن طاهر اشتد وجده المعتز عليه وكان رأى أن الآثار
٣٤،١٣ يهابونه من أجله ولملكانه فقال فيه

ذَهَبَتْ بِهِجَةُ الْخِلَافَةِ عَنَّا حِينَ أَضْحَى مُحَمَّدٌ فِي الْقُبُورِ
عَنْ قَلِيلٍ تَكُونُ أَحَدَاثَ دَهْرٍ عَنْ سَنَانَ تَارِهَا يَشْبُّ السَّعِيرُ

قال وأما سليمان بن عبد الله بن طاهر فكان ابن أخيه محمد بن طاهر أفقذه إلى
العراق في سنة خمس وخمسين ومائتين خليفة له فأمضى المعتز ذلك وعزل عبيد
الله فآقره أيامًا وخرج إليه عبيد الله فلعن عليه وولاه شرطة بغداد وعزل سليمان
بن عبد الله فدخل عبيد الله إلى بغداد ومعه خلق عظيم من الأولياء والقواد
فتلقاه الناس وفرحوا بولايته. وخرج سليمان قبل وصول أخيه إلى البردان فأقام

بها إلى أن ورد موسى بن بغا من الجبل رُدًّا إليه أمر الشرطة ببغداد وسرّ من رأى وأمر السواد وعزل سليمان وذلك في سنة سبع وخمسين وما تئن. فسلم عبيد الله الولاية في جمادى الأولى.

٣٦١٣ ثم اضطرب أمر الطاهيرية بخراسان ودخل يعقوب بن الليث نيسابور فلما قرب منها وذلك في سنة ثمان وجه محمد بن طاهر إليه يستأذنه في تلقيه فلم يأذن له فبعث بعمومته وأهل بيته فلقوه ودخل نيسابور ونزل طرفاً من أطرافها. فركب إليه محمد بن طاهر ولقيه في مضربه فأقبل يوبخه على تقريره في عمله ثم وكل به وبأهل بيته وكتب إلى الحضرة يذكر أنه على السمع والطاعة والضبط لما يتولاه ويطعن على محمد. فرداً الموقّع عليه أبّه رذ وأعلمهم أنه لا يقارهم على ذلك. ثم أقبل يعقوب بن الليث إلى بغداد وسار المعتمد نحوه فالتقا و كان الموقّع في المقدمة وموسى بن بغا في الميمنة ومسرور البجبي في الميسرة^١ وذلك يوم الأحد لسبعين خلون من رجب وكان يوم شعاعين. فقتل من الأولياء حرق كثير واحتلت الحرب وكشف الموقّع عن رأسه وقال أنا الغلام الهاشمي ثم صارت الدائرة على يعقوب فانهزم أبّه هريمة واتّبعهم الموقّع وموسى بن بغا فقتلوا مقتلةً عظيمةً وأطلق عليهم الماء فغرق أكثر من قتل. وكان محمد بن طاهر معه مشلاقاً بالحديد فأطلق من حديده وخلع عليه وأنزل دارعمه محمد بن عبد الله بن طاهر رُدًّا إليه عمله بخراسان وأطلق له خمس مائة ألف درهم. ورجع المعتمد إلى بغداد وسار الموقّع إلى واسط وعقد عبيد الله على الحرمين.

٣٧١٣ وورد الخبر بموت يعقوب بن الليث وقام أخيه عمرو وأخذت البيعة على عمرو وقد خراسان وفارس وكمان وسجستان وإصبهان والسند. وكتب عمرو إلى عبيد الله بتوليه الشرطة خلافة له ووجه إليه بخلع وعمود ذهب وأمضى الموقّع ذلك وخلع على عبيد الله أيضاً.

٣٨١٣ ومات سليمان بن عبد الله بن طاهر سنة ست وستين وما تئن في المحرم فوفقاً أخوه عبيد الله على قبره متلّكاً على سيفه وقال

١ الأصل: (المركة بين يعقوب بن الليث وبين الخليفة بالقرب من بغداد) وردت في المأمور.

النَّفْسُ مِيَّتٌ تَرَقَّى فِي مَرَاقِيْهَا وَدَمْعَةُ الْعَيْنِ تَجْرِي فِي بَحَارِيْهَا
لِبَقَعَةٍ مَا رَأَتْ عَيْنِي كَهْلَتَهَا^١ وَلَا كَثْرَةٌ أَحْبَابٍ ثُوَّافٍ فِيْهَا

ثم استخلف صاعد بن مخلد أبو عبد الله محمد بن طاهر على مدينة السلام في سنة سبعين ومائتين قبض على عمّه عبيد الله وحبسه. ثم استخلف المعتصد غلامه بدرًا على مدينة السلام واقترض أمر الطاهيرية منها ومن خراسان. وكان لسليمان شعر ميلع وأدب وفهم ومعرفة.

وأما عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر فكان أصغر إخوه وكان له أدب وفهم وشعر ٣٩.١٣ ميلع. فمن شعره إلى أخيه عبيد الله وكان أخوه عبد الله وسليمان حبساه

قَدْ كُنْتُ أَحَسِبُ أَنِّي مِنْكَ إِنْ تَرَأَتْ إِحْدَى الْمَوَائِبِ بِي آوِي إِلَى جَبَلٍ
حَتَّى إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ الَّذِي وَجَبَتْ
فِي مِثْلِهِ نُصْرَتِي مِنْ غَيْرِ مَا فَشَلَ
أَسْلَمْتَنِي لِحَطْوَبَ الدَّهَرِ تَلَعُّبُ بِي
مَا هَكَذَا كَانَ تَقْدِيرِي وَلَا أَمْلِي
لَوْ كُنْتُ فِي بَلَدٍ نَّاَيِي الْحَلَّ لَكَا
بَالِيَّتْ عَثَرَةً أَيَّامِي وَمَثْلُكَ لِي
إِنِّي أَحُوكَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ تَالَّفَهُ
مَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِكَ يَوْمًا وَلَمْ أَرِلِ
إِنِّي أَحُوكَ وَإِنَّ اللَّهَ مُ طَلِعَ

ومن شعره أيضًا إلى أخيه لما حبس وكان ائتم بأئته^٢ كاتب الجستاني فكتب من ٤٠.١٣ الجبس يحلف على بطلان ذلك وكتب آخر الرقة بهذه الأيات

كَمَا رَاعَ ثُكَلُ فَاجِعٌ أَمْ وَاحِدٌ
كَمَا دَتَهُ الْنَّكْرَاءِ فِي كُلِّ مَاجِدٍ
تُصِيبُ الرِّجَالَ صَابِبَاتُ الشَّدَائِدِ
يَقُولُ وَقَدْ رَيَّثُ سُلَيْمَى بِحَبْسِي
أَبِي الدَّهَرِ إِلَّا أَنْ يُنْبَكَ صَرْفُهُ
فَقُلْتُ لَهَا عُضِّي عَلَيْكِ فَإِنَّكَ

١ الأصل: كيعليها. ٢ كما في عواد: الأصل: وكان بأئته.

وَلَا تَعْجِي لِلْحَبْسِ وَيَحْكُ وَأَنْجَيِي لَا نَكَرْ مَا حَدَّشَهُ فِي الْمَشَاهِدِ
حُسْنَتْ لَحْبَبِ مَا شَهَدْتُ كَهَاخَهَا وَأَصْبَحَ سَجَانِي أَنْجِي وَأَنْ وَالِدِي

ومن ملية شعره

يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ الْرَّاهِرُ الْمَشْرُقُ الْحَسَنُ الْبَهِيُ الْبَاهِرُ
أَلْبَغَ شِيهَتَكَ السَّلَامَ وَهَنَهَا بِالْتَّوْرَمِ وَاعْلَمَهَا بِأَيْنِ سَاهِرٌ

وكان المعتضد يستحسن هذا الشّعر فغنى فيه في طريقة خفيف الرمل وكان أحد أصواته.

٤١٠١٣ وذكر أبو عبد الله بن حمدون أنَّ محمد بن عبد الله بن طاهر كان يحب المتوكل بسر من رأى شهرين ثم ينحدر إلى بغداد فيقيم بها شهرين ويختلفه خلفاؤه بسر من رأى قدمها قدمهأخذ فيها معه أخيه عبد العزيز وكان قد اشتري جارية لها من قبله محل فاشتد عليه فراقها. فسألني أن أستاذن أخيه له في الربع إلى بغداد على أن يعطيه شهرياً كث رأيته تحته فعلت فأذن له. فأعطاني الشهري ثم أنشدني هذا الشعر

أَقُولُ لَمَّا هَاجَ قَلْبِي الْذَّكَرِي وَأَعْرَضَتْ وَسْطَ السَّمَاءِ الشَّغْرِي
كَاهِنَكَا يَاقُوتَةُ فِي مِذْرَى مَا أَطْلَلَ الْلَّيْلَ بِسُرَّ مَنْ رَا
يَا رَبُّ فَكَأَكَ الْأَسْرَى فَإِنْ تَجْدُ لِي بِنَجَاهَةِ أُخْرَى
أَجْعَلُ أَذْنَيْ خَطْوَاتِي بُصْرَى حَتَّى أَوْبَ بِالْمَطَاكِيَا حَسْرَى
كَاهِنَكَا مِنَ الْكَلَالِ سَكَرَى ثُمَّ أَعِيشُ مِثْلَ عَيْشِ كَسْرَى

٤٢٠١٣ ولم يدخل بغداد من ولد عبد الله بن طاهر غير هؤلاء الأربعة محمد وعبد الله وسيمان وعبد العزيز.

فَأَمَّا عبد الله بن طاهر فكان من سروات الناس أدبًا وفضلاً وسياسةً وتدييرًا وسخاءً وكثرةً. وكان المأمون بناته ورباه وكان مولده سنة اثنين وثمانين ومائة وذكر أبو أحمد عبيد الله أَنَّ أباه عبد الله بن طاهر انصرف ليلة من دار المأمون وذلك بعد خروج طاهر إلى خراسان وكان قد غالب عليه النبيذ. بات في القبة الطاهيرية من دار طاهر بمدينة السلام فتعلق طرف من الخيش وقد يبس بالشمعة فاحترق القبة وأحتمل عبد الله فأخرج منها. واتصل الخبر بظاهر فكتب إلى عبد الله يعذله ويؤبه ويقول لو ورد الخبر بوفاتك كان أسهل على من وروده بفضيحتك وأن يبلغ بك النبيذ مبلغًا لا تحسن معه باحرق موضع أنت فيه ويأمره بالتجهز والخروج إليه. فأفاق عبد الله ذلك وكفه جميع الناس وختم الكتاب وجعله تحت مصلاه.

٤٢٠١٣ وتبين لهم عليه فسأل المأمون عن خبره فكتبه ثم سأله من يخصه فأعلمه أنَّ كُنَّاً ورد عليه لا يعلم ما فيه. فأقسم عليه المأمون في إحضار الكتاب فأحضره. فكتب المأمون إلى طاهر يعاتبه على ما فعل ويعلمه منزلته عنده وإحلاله محل الولد وأنه لا يد لظاهر عليه إلا بحق خلافته فإن صرفه عنها فليس له أن يزوجه عن الحضرة. فأجاب طاهر بالشك لتطوره إذ كان هذا محله عنده وأعيد بناء القبة. فلم تزل إلى أن نقضت في سنة ثلاثة وتسعين ومائتين.

٤٤٠١٣ وخرج عبد الله إلى الشام في سنة تسعة ومائتين خارب نصر بن شيث إلى أن ظفر به.

قال عبيد الله بن عبد الله حدثني نصير وياسر وجماعة من مشائخ مواليها أَنَّ أبا العباس عبد الله بن طاهر لما أشرف على كيسوم تحصن بها نصر بن شيث وركب من الغد وقد عبأ جيشه للقاء فوافي نصراً وقد خرج من الحصن فصف برازنه وواقفه إلى الليل على غير حرب ثم أوقد نصارى التيران فشاور عبد الله قواده فقالوا هذا الليل فتصرف ونبت في معسكننا ثم تقadiه الحرب فقال إن انصراف المحارب نكوص ولست أبح من موضعي. فنزل وكان يُخمِّ حمي ربع وكان نوبتها تلك الليلة فرعك

وعكاً شديداً فالناس ما يدفعه فم يكن معهم فقال احرفوا حفيرةً خفروها بأسيافهم
وأمر أن يجمع التبن من مخالي الدواب فيلقى في الحفيرة ففعل ذلك ثم جلس فيها.
وجاءت السماء بهطل وودق شديد فقال استروني بتراسكم فلم نزل كذلك ليتنا أجمع
نستره حتى أصبح وصلينا وصلى.

وأعاد سلاحه وركب فسه وتطرف ونحن معه. فنظر فإذا ليس خارج الحصن
أحد فقال خذتنا الخير وأوهمنا أنه يبيت بإزائنا ودخل حصنه ووكل به من يوقد
النيران وال الساعة يخرج عليكم بحدهه فخذوا حذركم. ودعا العزيز ^ر فقال امض في أفي
فارس فأريحوه واستريحوا وسي لهم موضعًا يكعون فيه ولا يرج منكم أحد أو يأتيه
طاهر بن إبراهيم بن مدرك برساليته. فإذا أتاكم فإن قدرت أنت وأصحابك أن تكونوا
في أجنة الطير حتى توافوني فافعلوا فضي. ولم يستتم الكلام حتى خرج نصر وحمل
عليهم فبرز إليه عبد الله يقدم أصحابه فلم تزل الكرايات بينهم والجلاد وعبد الله يغدي
 أصحابه ويعدهم ويرمي نفسه كل مرّى إلى أن صارت الشمس في كبد السماء وكل من
معه وتبين فيهم الضعف والعجز فأرسل إلى العزيز يأمره بالإسراع فوافي فلما رأى نصر
ومن معه الريات السود والأسود السود وكان عبد الله أول من اتخذها جزعوا وتبين
فيهم الفشل. وقال عبد الله للعزيز شأنك وأصحابك نحو القوم. فلم يكن إلا ساعة
حتى انهزم نصر وجاء إلى حصنه فدعا أبو العباس بالنقاين وأمر بنصب العزادات
والمحاجيق والسلاميم واطلعوا فلم يروا في الحصن أحدًا وإذا نصر قد تقبّل نقابًا من وراء
الحصن وخرج منه. وأمر الرجال ففتحوا الباب ودخل فغم وأصحابه جميع ما في الحصن
وبُشر في ذلك الوقت وهن بالفتنة فأنشد عوف بن حمل الخزاعي

أَشْكُرْ لِرَبِّكَ يَوْمَ الْمُحْصنِ نِعْمَتُهُ فَقَدْ حَبَّاكَ بِعِزِّ الْأَنْصَرِ وَالظَّفَرِ

وهي قصيدة طولية.

^١ كذا في عواد؛ الأصل: فقالوا أحفرو حفيئةً بأسيافهم. ^٢ كذا في عواد؛ الأصل: وق. ^٣ الأصل: القبر. والتصويب من الطبراني.

ومضى نصر فجأة إلى جبال لم تختنه فعاد بالأمان فكتب عبد الله إلى المأمون بخبره ٤٦١٣ فكتب إليه أعطه الأمان على أن يطاً باسط أمير المؤمنين وينفذ فيه حكمه. فرضي بذلك ووجه به عبد الله مع محمد بن الحسن بن مصعب إلى حضرة المأمون.^١ قال وكان نصر قد كبر فرأه المأمون وغلامان له يكلانه على السرج فقال نصر يحمله اثنان فقال نعم يا أمير المؤمنين ولا ينزله مائتان.

ثم سار عبد الله بن طاهر إلى مصر في سنة عشر وفتحها واستأنف إليه ابن السري وأقام بها إلى سنة إحدى عشرة وقدم على المأمون وقد أصلح البلد وجى أمواله واستقامت أحواله. فتلقاه أبو إسحاق والعباس بن المأمون وقدم معه بالمقلبين كانوا على مصر ٤٧١٣.

قال وقال المأمون يوماً هل تعرفون رجلاً يزيد على جميع أهل دهره نزاهة وحسن سيرة فقال علي بن صالح صاحب المصلى ما أعلم أحداً له^٢ مثل هذا النعت إلا عمر ابن الخطاب. فقال المأمون اللهم غفرأً لم أرد قريشاً فأمسك القوم. فقال المأمون ذاك عبد الله بن طاهر وليته مصر وأموالها جمة فوجد لعبد الله بن السري ما تقصّ عنه الصفة فما تعرّض منه للدينار ولا لدرهم ولم يخرج من مصر إلا عشرة آلاف دينار وثلاثة أفاس وحمارين لكنه غرس يدي وخربح أدبي ولاشدكم أياً في صفتة ثم أنسد

حَلِيمٌ مَعَ الشَّقُوْيِ شُبَاعٌ مَعَ آرَدَى نَدِ حِينَ لَا يَنْدَى السَّحَابَ سُكُوبُ شَدِيدُ مَنَاطِ الْقَلْبِ فِي الْمَوْقِفِ الَّذِي بِهِ لِقْلُوبُ الْعَالَمَيْنَ وَجِيبُ فَقَّى هُوَ مِنْ غَيْرِ الْخَلْقِ مَاجِدٌ وَعَنْ غَيْرِ تَأْدِيبِ الرِّجَالِ أَدِيبٌ

فأقام قبل المأمون سنة ثم سيره إلى بابك وقد كان ظهر وعظمت شوكه فأقام بإزائه سنة وكان شرط على المأمون أنه إن ظفر ببابك رجع على الباب فكان مقامه ٤٩١٣

^١ الأصل: (لما ظفر المأمون بنصر بن شبيب) وردت في الهاشم. ^٢ كما في عزاد؛ الأصل: أحداً مثل.

بحضرة المؤمن ويختار بخلافته على خراسان من أحب من إخوته . فقام بالدينور تسعة أشهر يستعد لقتال بابك فيما هو كذلك إذ ورد على المؤمن كتاب صاحب نيسابور يذكر أن المارقة أغارت على قبة منها يقال لها الحمراء على طريق المجادلة وأنهم أحرقوا وسبوا وقتلوا النساء والأطفال . فعظم ذلك على المؤمن ودعا إسحاق بن إبراهيم وهو خليفة عبد الله بن طاهر على الشرطة ويحيى بن أكثم وبعث بهما إلى عبد الله وكتب معهما كتاباً يخذه إلى عبد الله يقسم عليه أن يحول مرضيه من وجه بابك إلى وجه خراسان فإن خراسان أهمل من المملكة كلها بعد الحضرة وأن يشير عليه بن يبعث به إلى بابك . فامتثل ما أمره به وأشار علي بن هشام وكاتب من بخراسان بما أحب وقدم أخيه محمد بن طاهر على مقدمته ووافاه علي بن هشام فوفاته على الطريق في محاربة بابك . ومضى لوجهه إلى خراسان حتى وافى نيسابور وكتب إلى المؤمن أن أمير المؤمنين أنهضني إلى هذا النهر بسبب ما قد غلب عليه من أمر الحمراء وما أحدهه المارقة بها وأتى وافت بنيسابور فوجدت ما حولها عش المارقة ووجدتها أهمل الكور والمهم أبداً وأردى . قال فأعجب المؤمن من الكتاب بهذه اللفظة ولم يزل الكتاب يتذاكرونها بينهم . وكان مقامه بخراسان إلى أن توفي بها خمس عشرة سنة .

٥٠١٣ وذكر ابن جدان عن الجلودي قال جلس عبد الله يوماً بخراسان أنصف فيه من وجوه القواد وأمراء الأجناد وضرب الأعنق وقطع الأيدي والأرجل وعقد العقود فلما زالت الشمس دخل داره . قال الجلودي وكتب أقرب من قلبه وأدخل عليه فتلقاء الخدم فأخذ هذا قياه وأخذ آخر خفته وأآخر راه وبقي في غلالة وسراوييل ففع الغلالة على كفه يجعل يقول

الشَّرُّ مِسْكٌ وَالْجُوْهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْبَنَانِ عَنْهُ

قال فاغتضت عليه وزرعت ثوبه عن عاتقه ورددته إلى حاله وقلت له تجلس اليوم مجلس الإسكندر ودارا بن دارا وتعلل الساعة فعل علوية ومخارق. قال فنظر إلى نظر الجمل الصوّل ورد ثوبه على كفه وقال

لَا بُدَّ لِلنَّفَسِ إِذْ كَانَ مُصَرَّفَةً إِلَى التَّنَقُّلِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

ولما مات المأمون أقرّ المعتصم عبد الله بن طاهر على خراسان وإسحاق بن إبراهيم ٥١،١٣ على خلافه ببغداد وكان سيئ الرأي فيه فكتب إليه أما بعد عافانا الله معًا فقد كانت في نفسي عليك حزارات غيرها بقاء الانتقام عليك لك وقد بقيت منها هنات أخاف منها عليك فلا تقدم وحسبك مما أنا منظو عليه لك إظهاري إليك ما في ضميري والسلام.

قال الفضل بن مروان ذكر المعتصم يوماً عبد الله بن طاهر فنال منه وتابعه الجماعة ٥٢،١٣ ووصفوه بسوء الطاعة وأنا حاضر فقمت وقلت أكتب له في القدوم فإنه لا يسمى حتى يشخص فقال اجلس وأكتب إليه بالخبر. فكتب إلى المعتصم كتاباً أفسده درج كتابي إليه وسألني أن أوصله من يدي إلى يده ففعلت. قرأه المعتصم وأقبل يسألني عن الحرف بعد الحرف فأفتحت عليه فإذا هو قد كتب يخالف أن الكتاب لو ورد عليه بالشروع لما أسمى حتى يشخص.

قال أبو العيش دخلت على عبد الله بن طاهر فقال إنك لن تزح الأدوار قليلاً ما ترى ٥٣،١٣ ومد يده إلى فقلتها فقال ما عقفتني به أكثر مما بررتني. قلت بماذا قال بخشونة شاربك. قلت إن شوك القنفذ لا يضر برشن الأسد. قال هذا والله أحب إلى من مدح مائة قافية وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

وكانت وفاة عبد الله بن طاهر في سنة ثلاثين ومائتين في أيام الواثق . وذكر أحمد ٥٤،١٣ ابن أبي دؤاد أنَّ محمد بن عبد الملك أشار على الواثق لما ورد الخبر بوفاة عبد الله بن طاهر أن يخرج إسحاق بن إبراهيم بن مصعب إلى خراسان مكان عبد الله فأجابه إلى ذلك وأمره أن يكتب كتبه وينظر في تجهيزه ووجه إلى الواثق فحضرت الدار فأربأته محمد بن عبد الملك وإسحاق بن إبراهيم جالسين ومحمد يكتب الكتاب فلما رأي أقبله ففاءات أنَّ الذي هما فيه سينقلب . ودخلت إلى الواثق فذكر لي خبر وفاة عبد الله ابن طاهر وأنَّه قد عمل على إخراج إسحاق إلى خراسان وأنَّ يضم إليه خمسة آلاف رجل من الجندي ويطلق أرزاقهم وأن يطلق لإسحاق خمسة آلاف ألف درهم معونة فقلت يا أمير المؤمنين إسحاق رهينة القوم عندك فإنْ أخرجته لم يكن في يدك من القوم شيء والجندي فانت تحتاج إلى الزيادة فيهم فكيف تفرقهم لا سيما مع ما تتفق فيهم وإخراج هذه الأموال لا وجه له . وهاهنا ما هو خير من ذلك قال وما هو قلت طومار بدرهمين تكتب فيه إلى طاهر بن عبد الله بن طاهر بالتعزية عن أبيه وبتحديد الولاية له وتربح ما تتفقه وتكون قد أتمت الصنيعة عند عبد الله وولده وأحسنت الخلافة فيهم . فقال الصواب ما قلت . وأمر محمد بن عبد الملك بذلك والإضراب عمَّا كان عمل عليه . كانت مدة حياة عبد الله بن طاهر ثمانين وأربعين سنة .

وأما طاهر بن الحسين فكان من سروات الناس وذوي الرأي والباس . سمَّاه المؤمنون ٥٥،١٣ ذي اليدين فكان يكتب ويكتاب بها . وسأل المعتصم جماعة من خواصه عن معنى تسمية طاهر بذوي اليدين فلم يعرفوه فقال محمد بن عبد الملك معناه ذو الاستحقاقين استحقاق بالجدة ودنو في الدولة وكان أحد القباء واستحقاق ماله في دولة المؤمنون . قال الله تعالى ﴿لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِين﴾ أي بالاستحقاق . وقال الشاعر

إِذَا مَا رَأَيْهُ رُفِعَتْ لِجَدِّهِ تَقَاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

ذكر جهان الشيعي قال كان الحسين بن مصعب جيد الرأي حسن الإصابة بالظن.
 ٥٦.١٣ قال كُنْت يوماً في دار علي بن عيسى بن ماهان وقد أمر بطاهر بن الحسين فشدّ
 بمحبل إلى سارية فقال لي الحسين أما ترى هذا المشدود يعني ابنه ليقتلن صاحب
 هذا القصر. فجرى هذا القول عندي مجرى الهرزل ثمَّ كان من أمرهما ما كان فجئت
 من قول الحسين. قال ولما أنفذ الأمين علي بن عيسى بن ماهان في الجيوش إلى
 خراسان لأخذ المأمون وإنفاذ إليه عقد المأمون لطاهر بن الحسين على أربعة آلاف
 ووجهه إلى الري لحرب علي بن عيسى فكتب إليه علي بن عيسى أن يقيم له الميرة ولم
 يكن يظن أنه يحاربه.

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حديثي عبد الرحمن بن فهم عن عمّه قال شخصت
 ٥٧.١٣ أريد المأمون فدفعت إلى عسکر طاهر يوم الوجع فرأيته يبعي الصنوف ويذهب ويجيء
 وبيه كسر من خبز ومع غلام له كوز من رصاص فيه ماء قلت أيها الأمير ليس هذا
 وقت أكل. قال معدنة إليك وإلى من لا يعرف خبري. ما دخل جوفي طعام مذلاط
 لشغلي بهذا الأمر. وتخوفت أن أحتج إلى نفسي فتخويني في هذا الوقت ففعلت ما
 رأيت. قلت الأمير أخبر بما يعاني.

قال عبيد الله وحدثني جماعة من شيوخنا قال لما أقبل جيش علي كان صاحب
 ٥٨.١٣ عليهم حاتم الطائي وكان قد ضرب ثمانمائة حتى ذهب لم آلته وكان عظيم الخلق
 شديد البأس وكان له أربعة غلامان يحملونه حتى يقعد في سرجه فإذا استوى في سرجه
 عدَّ بآلف فارس.

قال طاهر فعلته وكدي وحملت عليه فلما دنوت منه إذا به مكفرًا في الحديد لا
 تخالص إليه الضربة فرأيت أمراً هالني قتلت ليس إلا أن أضربه على البيضة فإن عمل
 السيف فيها وإلا فهو التلف. فعممت يدي ثم ضربته على رأسه فقدت البيضة
 والرأس حتى نشب السيف بين ثيابه.

قال فلما قُتل حاتم اضطرب القوم وكان علي بن عيسى راكبًا في قبة فنزل عنها وقدم ٥٩,١٣ إليه شهريًّا أصداً أرجل ليركبه فطعنه داود سياه قبل أن يتمكّن في سرجه فقتله وهو لا يعرفه وصار إلى طاهر فقال قد قتلت قاضي العسكر ثم أتى برأسه فنادى منادي طاهر من أخذ شيئاً فهو له وبرئ الذمة من سفك الدماء. وكتب إلى المأمون وذي الرياستين كتابي ورأس علي بن عيسى بين يديه وخاتمه في إصبعي والسلام. ثم سار طاهر إلى بغداد فكان من أمره ما كان.

قال وكان المأمون عند دخوله إلى بغداد قد سخط على محمد بن العباس الطوسي ٦٠,١٣ فاستعاذه طاهر بن الحسين وكان له صديقاً وسأل المأمون في الصفع عنه فدخل طاهر إلى المأمون وهو يشرب فسقاه رطلاً وأمره بالجلوس فقال ليس لصاحب الشرط أن يجلس بين يدي سيده. فقال المأمون ذاك في مجلس العامة فأماماً في مجلس الخاصة فالجلوس له مطلق. ثم سقاه رطلين آخرين وتفرغت عيناه فقال له طاهر لم تبكي يا أمير المؤمنين لا أبكى الله عينيك وقد دانت لك البلاد وأذعن لك العباد وصرت إلى الحبة في كل أمورك. فقال لأمر في ذكره ذل وفي ستره حزن وما يخلو أحد من شجو فكلم بحاجة إن كانت لك. فقال يا أمير المؤمنين محمد بن أبي العباس فأقله وارض عنـه. قال قد رضيت عنه وأمرت بصلته ورد مرتبته ولو لا أنه ليس من أهل الأنس لأحضرته.

فسكر ذلك ودعا للمأمون وانصرف وقد شغل قلبه بكاؤه. فقال لمروان بن جعفويه ٦١,١٣ كاتبه إن الكتاب لطافة وأهل خراسان يتعصب بعضهم بعض خذ معك ثلاثة مائة ألف درهم فأعطي الحسين الخادم مائتي ألف وكاتبه محمد بن هارون مائة ألف وتسأله أن يسأل أمير المؤمنين لم يبك. فعل ذلك فلما خلا الحسين بالمأمون من غدو طابت نفسه سأله عن سبب بكائه. فقال له ولم يسأل عن ذلك فقال لتهي به وتنعصي من أجراه. فقال هو شيء إن خرج من رأسك قتلتكم. فقال يا سيدي ومتى أخرجت

سرًا فقال لما رأيت طاهراً ذكرت أخي وما ناله من الذلة فخنتني العبرة فاسترحت إلى الإفاضة ولن يفوت طاهراً ميّ ما يكروه.

فأخبر محمد بن هارون طاهراً بذلك فكب طاهر إلى أحمد بن أبي خالد وهو ٦٢٠١٣ الوزير فقال إنَّ المعروف عندي غير ضائع والثاء ميّ ليس بريخيص فعیني عن عين أمير المؤمنين. فقال له بكر إلى غداً فإني سأفعل. فعدا عليه وغدا ابن أبي خالد على المأمون فلما وصل إليه قال إبني ما نمت البارحة. قال ولمَّا وبحك قال لأنك وليت غسان بن عباد خراسان وهو ومن معه أكلة رأس فاختاف أن يخرج عليه خارجي فاصطلمه قال لقد فكرت فيما فكرت فيه فمن ترى. قال طاهر بن الحسين. قال يا أحمد هو والله خالع فلم ينزل به حتى أجابه ودعا بطاهر من ساعته فعقد له شخص من يومه فنزل بستان خليل بن هشام وذلك يوم الجمعة لليلة بقية من ذي القعدة سنة خمس ومائتين.

قال فلما حصل طاهر بن الحسين بخراسان وكانت الشراة قد كثرت هناك ٦٢٠١٤ واستبدل أمرهم فكتب إليه المأمون كثيًراً كثيرة تحثه على مناهضتهم وينكر عليه تضجعه في أمرهم فكتب طاهر يذكر غلط أمرهم وقوفة شوكتهم وأنه يحتاج إلى زيادة عدة في رجاله ليلاقهم فأحفظ ذلك المأمون فكتب إليه يغاظ له ويقول لهم مت أن أردك إلى حيث أتيك.

فذكر كلثوم بن ثابت بن أبي سعد وكان يتقلَّد البريد على طاهر بن الحسين بخراسان ٦٤٠١٣ أنه جلس بالقرب من المبر من المبر لما تبيَّن ما حدث من طاهر عند ورود ما ورد عليه. خطب فلما بلغ إلى ذكر الخليفة قال اللهم أصلح أمَّةً مهد بها أصلحت به أولياءك وأكفهم مؤونة من بغي فيها وحشد عليها به الشعث وحقن الدماء وصلاح ذات البين. فعلميت أيَّ أول مقتول لأني لم أُكُنْ أقدر على ستر الخبر ولم يكن يسْتَرْ كابي عن طاهر فلم تنسني على أن كتبت فأنت الله من صنعه بقرب وفاة طاهر بما لم أحتسبه.

ولما ورد الخبر على المؤمن بذلك شق عليه ودعا أَحْمَدَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ وَقَالَ لَهُ قَدْ كُنْتَ
٦٥٠١٣ قلت لك في طاهر لما أشرت بقتليه خراسان ما كنت أعلم به فضمنت ما يكون وبالله
لئن لم تتلطف لإصلاح أمره كما كنت لفساده ^{الأضربي} عنفك. فأهدى ابن أبي خالد
إلى طاهر هدايا وألطافاً وفيها كاخأيضاً مسموم لعلمه بإعجابه به فلما وصلت الهدايا
إلى طاهر أكل من الكاخ بتدارج مشوية فمات بعد يومين.

وكان مولد طاهر بن الحسين في المحرم سنة تسع وخمسين ومائة ووفاته سنة سبع
٦٦٠١٣ ومائتين.

ولما مات شغب الجندي بخراسان وانتهبا خزان طاهر فقلد المؤمن مكانه طحة
ابنه ووجه بأحمد بن أبي خالد إلى خراسان ليعاونه في إصلاح الأمر فصار إلى هناك
وأصلح الأمور وسكن اضطرابها ووجه إليه طحة ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضًا
بأنى ألف درهم ووهب لإبراهيم بن العباس كاتبه خمسة آلاف درهم.

١ الأصل: فساده.

دير السوسي

وهذا الدير لطيف على شاطئ دجلة بقادسية سر من رأى وبين القادسية وسر من رأى أربعة فراسين والمطيرة بينهما وهذه الناحي كلها متزهات وبساتين وكروم . والناس يقصدون هذا الدير ويشربون في بساته وهو من مواطن السرور ومواقع القصف واللعنة . ولابن المعتر فيه

يَا لِيْكَالِيَ بِالْمَطِيرَةِ وَالْكَرَ خَ وَدِيْرِ السُّوَسِيِّ بِاللَّهِ عُودِي
كُتِّ عِنْدِي أَمْوَاجَاتٍ مِّنْ الْجَنَّةِ لِكُمْ كَا بِغَيْرِ خُلُودِ

والقادسية من أحسن المواقع وأنزهاها وهي من معادن الشراب ومناخات للتقطرين جامعه لما يطلب أهل البطالة والخسارة . وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف بـ كوارا ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعتر وجعل إعذاره فيه وكان من أحسن أبنية المتوكل وأجلها وبلغت النفقه عليه عشرين ألف درهم .

قال ولما صحت عزمه على إعذار أبي عبد الله المعتر أمر الفتح بن خاقان بالتأهب له وأن يلتمس في خرائن الفرش بساطاً للإيوان في عرضه وطوله وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسين ذراعاً فلم يوجد إلا فيما قبض عن بي أمية فإنه وجد في أمتعة هشام ابن عبد الملك على طول الإيوان وعرضه وكان بساطاً ابريسياً غرز مذهب مفروز مبطن . فلما رأه المتوكل أعجب به وأراد أن يعرف قيمته فجمع عليه التجار وذكر أنه قوم على أوسط القيم عشرة آلاف دينار فبسط في الإيوان . وبسط الخليفة في صدر الإيوان سرير ومد بين يديه أربعة آلاف مرفع ذهب مرصعة بالجوهر فيها تماثيل العبر والنذر والكافر وجعلت بساطاً ممدوداً .

١ الأصل: (طول البساط مائة ذراع وعرضه ٥٠) وردت في الهاشم .

٤،١٤ وقى المَوْكِلُ والنَّاسُ جَلَسُوا عَلَى السِّرِيرِ وَأَحْضَرَ الْأَمْرَاءَ وَالْقَوَادَ وَالنَّدَمَاءَ فَأَجْلَسُوا عَلَى مَرْأَتِهِمْ وَجَعَلُوا بَيْنَ صَوَانِيهِمْ وَالسَّمَاطِ فَرْجَةً وَجَاءَ الْفَرَاشُونَ بِزَبْلٍ قَدْ غَشِيتَ بِأَدَمْ مَلْوَءَةً دَنَائِيرَ وَدِرَاهِمَ نَصْفِينَ فَصَبَّتِ فِي تَلَكَ الْفَرْجَ حَتَّى ارْتَقَعَتْ . وَقَامَ الْفَلَمَانُ فَوَقَهَا وَأَمْرَوْا النَّاسَ عَنِ الْخِلِيفَةِ بِالشَّرْبِ وَأَنْ يَنْتَقِلَ كُلُّ مَنْ يَشْرِبُ بِثَلَاثَ حَفَنَاتٍ مَا حَمَلَتْ يَدَاهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ فَكَانَ إِذَا نَقْلَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ مَا اجْتَمَعَ فِي كُمَّهُ أَخْرَجَ إِلَى غَلَمَانِهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ وَعَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ وَكَلَّمَا فَعَلَ مَوْضِعَ أَقْتِ الْفَرَاشُونَ بِمَا يَمْلَؤُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى حَالِهِ . وَخَلَعَ عَلَى سَائِرِ مَنْ حَضَرَ ثَلَاثَ خَلْعٍ كُلُّ وَاحِدٍ وَحُمِلُوا عَنْدَ اِنْصَارِهِمْ عَلَى الْأَفْرَاسِ وَالشَّهَارِيِّ وَأَعْتَقَ الْمَوْكِلَ عَنِ الْمَعْتَنَافِ عَبْدًا وَأَمْرَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمِائَةِ دَرْهَمٍ وَثَلَاثَةِ أَثُوَابٍ .

٥،١٤ وَكَانَ فِي صَحْنِ الدَّارِ بَيْنَ يَدِيِ الإِلْيَوَانِ أَرْبَعَمَائَةَ بُلْيَةَ عَلَيْهِنَّ أَنْوَاعَ الشَّيَابِ وَبَيْنَ يَدِيهِنَّ أَلْفَ نَبِيجَةَ^١ خِيزَرَانَ فِيهَا أَنْوَاعُ الْفَوَاكِهِ مِنَ الْأَتْرَجِ وَالنَّارِنجِ عَلَى قَلْتَهِ كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالتَّقَاحِ الشَّايِيِّ وَاللَّيْمُونَ^٢ وَخَمْسَةَ آلَافَ بَاقِةَ نَرْجِسٍ وَعِشْرَةَ آلَافَ بَاقِةَ بَنْسَجٍ وَتَقْدِيمٍ إِلَى الْفَتْحِ بَأْنَ يَنْشِرُ عَلَى الْبَلَيَاتِ وَخَدْمَ الدَّارِ وَالْمَحَاشِيَةِ مَا كَانَ أَعْدَهُ لَهُمْ وَهُوَ عِشْرُونَ آلَفَ دَرْهَمٍ فَلَمْ يَقْدِمْ أَحَدٌ عَلَى التَّقْاطِ شَيْءٍ فَأَخْذَ الْفَتْحَ دَرَهْمًا فَأَكْبَتَ الْجَمَاعَةُ عَلَى الْمَالِ فَهَبَّ . وَكَانَ قِبِيجَةَ قَدْ تَقْدَمَتْ بَأْنَ تَضَرِبَ دَرَاهِمَ عَلَيْهَا بَرْكَةً مِنَ اللَّهِ لِإِعْذَارِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْتَنَى بِاللَّهِ فَضُرِبَ لَهَا أَلْفَ أَلْفَ دَرْهَمٍ نُثِرَتْ عَلَى الْمَرِيزَنِ وَمَنْ فِي حِيَرَهِ وَالْغَلَمانِ وَالشَّاكِيَّةِ وَقَهَارَمَةِ الدَّارِ وَالْخَاصَّةِ مِنَ الْبَيْضَانِ وَالْسُّوْدَانِ .

٦،١٤ وَكَانَ مِنْ حَضُورِ الْمَجْلِسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مُحَمَّدُ الْمُتَّصِرُ^٣ وَأَبُو أَحْمَدَ وَأَبُو سَلِيمَانَ ابْنَ الرَّشِيدِ وَأَحْمَدَ وَالْعَبَّاسَ ابْنَ الْمَعْتَنَى وَمُوسَى بْنَ الْمَأْمُونِ وَابْنَ حَمْدُونَ النَّدِيمِ وَأَحْمَدَ بْنَ أَبِي رَوِيْمِ وَالْحَسِينِ بْنِ الصَّحَّافَكَ وَعَلَيِّ بْنِ الْجَهَمِ وَعَلَيِّ بْنِ الْمَنْجَمِ وَآخَرُهُ .

^١ كذا في عَوَادٍ؛ الأصل: بسجه (غير واضحة). ^٢ الأصل: واللَّيْمُونَ. ^٣ كذا في عَوَادٍ؛ الأصل: محمد بن المتصر.

ومن المغنين^١ عمرو بن بانة أَبِي الْعَلاءِ إِبْنُ الْحَفْصِيِّ إِبْنُ الْمَكِّيِّ سَلَمَكَ عَثْتُ سَلِيمَانَ الطَّبَّالَ الْمَسْدُودَ أَبَوْ حَشِيشَةَ إِبْنَ الْقَصَارِ صَالِحَ الدَّافَعَ زَقَامَ الرَّازِمَ تَفَاحَ الرَّازِمَ . وَمِنَ الْمَغَنِيَّاتِ عَرِيبَ بَدْعَةَ جَارِيَّتِهَا سَرَابَ شَارِيَّةَ وَجَوَارِيَّهَا نَدْمَانَ مَنْعَمَ نَجْلَةَ تَرْكِيَّةَ فَيْدَةَ عَرْفَانَ .

قال إبراهيم بن المدير^٢ لما ظهر العترة اجتمع مشايخ الكتب بين يدي المتوكّل وكان فيهم يحيى بن خاقان وابنه عبيد الله إذ ذاك الوزير وهو واقف موقف الخدم بقباء ومنطقة وكان يحيى لا يشرب النبيذ فقال المتوكّل لعبيد الله خذ قدحًا من تلك الأقداح وأاصبب فيه بيدها وصیر على كتفك متديلاً وامض إلى أبيك يحيى فضعه في كفه قال فعل فرفع يحيى رأسه إلى ابنه فقال المتوكّل يا يحيى لا ترده قال لا يا أمير المؤمنين ثم شربه وقال قد جلت نعمتك عندنا يا أمير المؤمنين فهناك الله النعمة ولا سلبنا ما أنعم به علينا منك فقال يا يحيى إنما أردت أن يخدمك وزير بين يدي خليفة في ظهور ولئيم عهد.

وقال إبراهيم بن العباس سألت أبا حرمته المزين في هذا اليوم فقلت كم حصل لك إلى أن وضع الطعام فقال نيف وثمانون ألف دينار سوى الصياغات والخواتيم والمجواهر والعدادات . قال وأقام المتوكّل يركوارا ثلاثة أيام ثم أُصعد إلى قصره الجعفري وتقدم بإحضار إبراهيم بن العباس وأمره أن يعمل له عملاً بما أنفق في هذا الإعذار ويعرضه عليه ففعل ذلك فاشتمل العمل على ستة وثمانين ألف درهم .

وكان الناس يستكثرون ما أنفقه الحسن بن سهل في عُرس ابنته بوران حتى أرخ ذلك في الكتب وسميت دعوة الإسلام ثم أتى من دعوة المتوكّل ما أنسى ذلك .

وكانت الدعوات المشهورة في الإسلام ثلاثة لم يكن مثلها منها دعوة العترة هذه المذكورة . ومنها عرس زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر فإن الم Heidi زوج ابنه الرشيد

^١ الأصل: المغنين . ^٢ الأصل: صلح . ^٣ الأصل: (في ختان العترة أمر المتوكّل الفتح بن يحيى بن خاقان أن يضع قدحًا مملوءًا بيدها في كف والده يحيى وكان لم يشربه) وردت في الهاشم .

بأم جعفر ابنة أخيه فاستعدّ لها ما لم يُستعدّ لامرأة قبلها من الآلة وصناديق الجوهر واللحي والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة وأعطتها بذلة عبيدة ابنة عبد الله بن يزيد بن معاوية امرأة هشام ولم يُر في الإسلام مثلها ومثل الحب الذي كان فيها وكان في ظهرها وصدرها خطان ياقوت أحمر وباقيها من الدرّ البكار الذي ليس مثله. ودخل بها الرشيد في الحرم سنة خمس وستين ومائة في قصره المعروف بالخلد وحضر الناس من الأفاق وفرق فيهم من الأموال أمراً عظيماً فكانت الدنایر تجعل في جامات فضة والدرارم في جامات ذهب ونواف المسك وجاماج العبر والغالية في بواطي زجاج ويفرق ذلك على الناس ويخلع عليهم خلع الوشي المنسوجة. وأوقد بين يديه في تلك الليلة شمع العبر في أتوار الذهب وأحضر نساء بني هاشم وكان يدفع إلى كل واحدة منها كيساً فيه دنایر وكيساً فيه درارم وصينية كبيرة فضة فيها طيب ويخلع عليها خلعة وهي مثل فلم يُر في الإسلام مثلها وبلغت النفقة في هذا العرس من بيت مال الخاصة سوى ما أنفقه الرشيد من ماله خمسين ألف ألف درهم.

واسم زيندة أمة العزيز وزيندة لقب وكان أبو جعفر يرقصها وهي صغيرة وكانت سمينة ويقول ما أنت إلا زيندة ما أنت إلا زيندة فمضى عليها هذا الاسم.

ومنها عرس المأمون ببوران ابنة الحسن بن سهل وكان ذلك بفم الصلح وكانت النفقة عليه أمراً عظيماً^١ وسأل المأمون زيندة عن تقدير النفقة في العرس فقالت ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف إلى سبعة وثلاثين ألف ألف فبلغ الحسن بن سهل فقال كان^٢ النفقة على يد زيندة. أنفقنا خمسة وثلاثين ألف ألف وكان يجري في جملة الجرایات في كل يوم على نصف وثلاثين ألف ملاجح.

وكان دخولها في المدينة التي بناها بفم الصلح على شاطئ دجلة لثمان خلون من شهر رمضان سنة عشر ومائتين.

^١ الأصل: عبيدة. ^٢ الأصل: كيس... وكيس. ^٣ الأصل: امر عظيم. ^٤ الأصل: كان.

قال وأمهل المأمون بوران مائة ألف دينار وخمسة آلاف درهم وأوقد بين
١٣٠٤ يديه تلك الليلة ثلاثة شمعات عنبر وكثُر دخانها فقلت زبدة إنَّه فيما ظهر من المروءة
لِكَاهِيَة ارْفَعُوا هَذَا الشَّعْمَ الْعَنْبَرَ وَهَاتُوا الشَّعْمَ .
قال ولما جُلِيت بوران على المأمون نثر عليها حبًّا كارًا كان في كمة فوق على حصير
ذهب كان تحته فقال لله در الحسن بن هانئ حيث يقول^١

كَانَ صُغْرَى وَكَبِيرَى مِنْ فَوَّاقِهَا حَصْبَاءُ دُرَّ عَلَى أَرْضٍ مِنْ آذَهَيْ

قال وامتنع من كان حاضرًا أن يلقط شيئاً فقال المأمون أكر منها فقدت زبدة يدها
فأخذت حبة فالقط من حضر الباقٍ .
وكان اسم بوران خديجة وكانت وفاتها في سنة إحدى وسبعين ومائتين في أيام
١٤٠٤ المعتمد ولها ثمانون سنة ولبوران ترثي المأمون

**أَسْعِدَانِي عَلَى الْبُكَامُقْتَشِيَا صِرْتُ بَعْدَ الْإِمَامَ لِلَّهِمَّ فَيَا
كُثُرَ أَسْطُو عَلَى الْرَّمَانِ فَمَا مَاتَ صَارَ الْرَّمَانُ يَسْطُو عَلَيْكَا**

وذكر ابن خردابه أنَّ الم توكل أفق على الأبنية التي بناها وهي برکوارا والشاة والعروس
١٥٠٤ والبركة والجوسق والمختر والجعفري والغريب والبديع والصريح والمليم والسدان
والقصر والجامع والقلمية والبرج وقصر الم توكلية والبهو واللوؤة مائتي ألف ألف
وأربعة وسبعين ألف ألف درهم ومن العين مائة ألف ألف دينار تكون قيمة الورق
عيناً بصرف الوقت مع ما فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف دينار وخمسمائة ألف
دينار وخمسة وعشرين ألف دينار .

قال شرب الم توكل يوماً في برکوارا فقال لن Dame أرأيتم وإن لم تكن أيام الورد لا نعمل
١٦٠٤ نحن شادكلاه^٢ قالوا يا أمير المؤمنين لا يكون الشادكلاه إلا بالورد فقال بل ادعوا لي

١ الأصل: (ما أعظمته من شاعر فصيح) وردت في الهاشم . ٢ الأصل: (و) ورد تحت السطر . ٣ الأصل: سادحلاه .

عبيد الله بن يحيى فحضر فقال تقدم بأن تضرب لي دراهم في كل درهم جبتان قال كـ المقدار يا أمير المؤمنين قال خمسة آلاف ألف درهم فتقدم عبيد الله في ضربها فضربت وعرفه الخبر فقال أصيغ منها الحمرة والصفرة والسوداد واترك بعضها على حاله ففعل ثم تقدم إلى الخدم والخاشية وكانوا سبعمائة أن يعده كل واحد منهم قبأً جديداً وقلنسوة على خلاف لون قباء الآخر وقلنسوته ففعلوا ثم عمد إلى يوم تحركت فيه الريح فنصبت له قبة لها أربعون باباً فاضطجع فيها والنديمة حوله وليس الخدم الكسوة التي أعدّها وأمر بنثر الدرارم كـ ينشر الورد فنثرت أولاً أولاً فكانت الريح تحمل الدرارم فتفقق بين السماء والأرض كما يقف الورد فكان من أحسن أيام المتوكل وأظرفه.

وكان البرج من أحسن أبنيته فجعل فيه صوراً عظيماً من الذهب والفضة وبـ ركة ١٧٠١٤ عظيمة جعل فرشها ظاهرها وباطنها صفاتـ الفضة وجعل عليها شجرة ذهب فيها كل طائر يصوت ويصرق مكـ للة بالجوهر وسمـها طبـي . وعمل له سير من الذهب كـ يـر عليه صورـتا سبعـين عـظـيـمـين ودرجـ علىـها صـورـ السـبـاعـ والنـسـورـ وـغـيرـ ذلكـ علىـ ما يـوصـفـ بهـ سـيرـ سـليمـانـ بنـ دـاـودـ عـلـيـهـمـاـ السـلاـمـ وجـعـلـ حـيـطـانـ القـصـرـ منـ دـاخـلـ وـخـارـجـ مـلـبـسـةـ بـالـفـسـيـفـسـاءـ وـالـرـخـامـ الـذـهـبـ بـلـغـتـ النـفـقـةـ عـلـىـ هـذـاـ القـصـرـ أـلـفـ وـسـبـعـ مـائـةـ أـلـفـ دـيـنـارـ .

جلسـ فيـهـ عـلـىـ السـيرـ الـذـهـبـ وـعـلـيـهـ ثـيـابـ الـوـشـيـ الـمـقـلـةـ وأـمـرـ أـلـاـ يـدـخـلـ عـلـيـهـ أـحـدـ إـلـاـ فيـ ثـيـابـ وـشـيـ مـنـسـوـجـةـ أـوـ دـيـاجـ ظـاهـرـهـ . وـكـانـ جـلوـسـهـ فيـ سـنـةـ تسـعـ وـثـلـاثـينـ وـمـائـيـنـ ثـمـ دـعـاـ بـالـطـعـامـ وـحـضـرـ النـدـماءـ وـسـائـرـ الـمـغـنـيـنـ وـالـمـلـهـيـنـ وـأـكـلـ النـاسـ وـرـامـ النـومـ فـمـاـ تـهـيـأـ لـهـ فـقـالـ لـهـ الـفـتـحـ يـاـ مـوـلـايـ لـيـسـ هـذـاـ يـوـمـ نـوـمـ . فـجـلسـ لـلـشـرـبـ فـلـمـاـ كـانـ الـلـيلـ رـامـ النـومـ فـمـاـ أـمـكـنـهـ فـدـعـاـ بـدـهـنـ بـنـسـجـ فـجـعـلـ مـنـهـ شـيـئـاً^١ عـلـىـ رـأـسـهـ وـتـنـسـقـهـ فـمـ يـنـفـعـهـ . فـكـثـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ بـلـيـالـيـهـ لـمـ يـنـمـ ثـمـ حـمـ حـمـيـ حـادـةـ فـأـنـقـلـ إـلـىـ الـهـارـوـيـ قـصـرـ أـخـيـهـ الـوـاقـقـ فـأـقـامـ بـهـ سـتـةـ أـشـهـرـ عـلـيـلـاًـ وـأـمـرـ بـهـ دـهـمـ الـبـرـجـ وـضـرـبـ تـلـكـ الـخـلـيـ عـيـنـاًـ .

^١ الأصل: المغنيين والملهين. ^٢ الأصل: شيء.

١٠١٥ وهذا الدير بسر من رأى عند قنطرة وصيف وهو دير عامر كثير الرهبان حوله
كرم وشجر وهو من المواقع الزهرة والبقاع الطيبة الحسنة . وللفضل بن العباس
ابن المؤمن فيه

أَنْضَيْتُ فِيهَا مُنْتَقِسِي وَشَهْوَاتِي
عَمِرْتُ فِيهَا بِقَاعَ اللَّهُو مُنْفَسِماً
بِدِيرِ مَارِ إِذْ نَحِيَ الصَّبُوحُ بِهِ
بَيْنَ النَّوَاقِيسِ وَالشَّقَدِيسِ أَوْنَةً
وَكَمْ بِهِ مِنْ غَرَالٍ أَغْيَدَ عَزِيلَ
وَلَلَّهُ كَاظِ الْبَالِيَّاتِ

٢٠١٥ ذكر الفضل هذا أنه خرج ذات يوم مع المعتز للصيد قال فاقتطعنا عن الموك
أنا وهو ويونس بن بُعا فشك المعتز العطش فقلت له يا أمير المؤمنين إن في هذا
الدير راهباً أعرفه له مودة حسنة وفيه آلات جميلة فهل لأمير المؤمنين أن نعدل
إليه قال افعل . فصرنا إلى الديراني فرحب بنا وتلقانا أجمل لقاء وجاءنا بهاء بارد فشربنا
وعرض علينا التزول عنده وقال تبردون عندها ونحضركم ما تيسر في ديرنا فتنالون
منه . فاستظرفه المعتز وقال انزل بنا إليه . فنزلنا فسألني الديراني عن المعتز ويونس
ابن بعا فقتلت هما من أبناء الجندي فقال بل مفلتان من أزواج الحور فقلت هذا ليس
من دينك ولا اعتقادك . قال هو الآن من ديني واعتقادي . فضحك المعتز ثم جاءنا
بنجيز وأشاطير وما يكون مثله في الديارات فكان من أنظف طعام وأطيبه وأحسن
آنية فأكلنا وغسلنا أيدينا . فقال لي المعتز قل له يينك وبينه من تحب أن يكون معك

١ الأصل: دير مار.

من هذين ولا يفارقك قال فقتلت له فقال كلاهما وتمراً. فضحك المعتز حتى مال من الضحك. فقتلت للديرياني لا بد من أن تختار فقال الاختيار في هذا دمار. ما خلق الله عقلاً يميز بين هؤلاء.

٢٠١٥ ثم لحقنا الموكب فارتاع الديرياني فقال له المعتز بحياته لا تتقطع عمّا كنا فيه فإني لمن ثم مولى ولمن هبنا صديق. فجلسنا ساعة وأمر له المعتز بخمسين ألف درهم فقال والله لا أقبلتها إلا على شرط. قال وما هو قال يكون أمير المؤمنين في دعوتي مع من أحب قال ذاك إليك. فاتفقنا لیوم جئناه فيه على ما أحب فلم يُقْ غایة وأقام بمن كان معه وجاء بأولاد النصارى خدمونا أحسن خدمة. فسر المعتز سروراً ما رأيته سُرّ مثله ووصله في ذلك اليوم بمال كثير ولم ينزل يطرقه إذا اجتاز به ويأكل عنده ويشرب مدة أيامه.

٤٠١٥ قال وكان المعتز سمح الأخلاق واسع النفس له أدب وفهم ويقول شعراً صالحًا وكان يحب يونس بن بغا هذا ولا يصبر عنه وكان هو ويونس بن بغا من أحسن الناس وجهًا وأجملهم ولم يكن في خلفاءبني العباس أحسن وجهًا من الأمين والمعتز وكان يُضرب بهما المثل في الحسن والجمال.

٥٠١٥ قالت عريب كنت لمحمد الأمين وصيغة في عداد الوصائف أليس قباء ومنطقة وأقوم على رأسه وربما سقيته وسيئ إذ ذاك سبع عشرة سنة وكان أحسن خلق الله لم يُر ذكر^١ ولا أنتي مثله جمالاً وحسناً مع حسن خلق. قال أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المرأكي وهو ابن مولاها أين كان المعتز منه فقد رأيناها ولم نر الأمين قالت كان المعتز فيه لحنة منه وأماماً مثله فلم يكن.

٦٠١٥ قال وكان ألف المعتز ليونس بن بغا ألف الصبا فلم يفارقه وهو لا يصبر عنه ولله فيه أشعار كثيرة فمن ذلك

^١ الأصل: ذكرًا.

إِنِّي عَرَفْتُ دَوَاءَ الْأَطْبَبِ مِنْ وَجْهِي
جَزَعْتُ لِلْحَبَّ وَالْحَمْىٰ صَبَرْتُ لَهَا
إِنِّي لَا يَجْبُ مِنْ صَبَرْتِي وَمِنْ جَرْنِي
مِنْ كَانَ يَشْغَلُهُ عَنِ الْفِهْ وَجَعَ فَلَيْسَ يَشْغَلُنِي عَنْ حَبَّكُمْ وَجَعِي

وكان المعتز يشرب على بستان مملوء بالتمام وبين التمام شقائق فأقبل يونس بن بغا
وعليه قاء أحضر فقال المعتز

شَبَهَتْ حُمْرَةَ حَدَّهِ فِي ثَوِيهٍ شَقَائِقَ النَّعْمَانِ فِي الشَّمَامِ

ثم قال أجيزوا فيه فبدر بنان^١ المعني فقال

وَالْقَدَّ مِنْهُ إِذَا بَدَا مُتَشَيْيَا بِالْغُصْنِ فِي لِينٍ وَحُسْنِ قَوَامٍ

قال غنٌ فيه الآن فعمل فيه لحناً وغناء إياه.

قال وشرب المعتز يوماً ولجلساء بين يديه وقد أعد الخلع والجوائز فدخل بغا فقال
يا سيدي والدة عبدك يونس في الموت وهي تشتكي أن تراه فأذن له ففرح وفتر المعتز
وتعير ثم نعس فنام ونام الجلساء فلما كان وقت المغرب عاد يونس وبين يديه الشمع فلما
رأه المعتز دعا ببطل فشيره وسقاوه مثله ثم عاد الندماء ورجع المجلس إلى أحسن مما
كان فيه فقال المعتز

تَعَيِّبُ فَلَا أَفْرَحُ فَلَيْسَكَ لَا تَبْرُحُ وَإِنْ كُنْتَ عَذَّبَتِي بِأَنَّكَ لَا تَسْمِحُ
فَأَصَبَحْتُ مَا بَيْنَ ذِيْنِ لِي كَبُدُّ تُخْرَحُ عَلَى ذَاكَ يَا سَيِّدِي دُوكَ لِي أَصْلَحُ

^١ الأصل: رسان. ٢ الأصل: (هكذا في الأصل) وردت في الهاشم.

ثم قال غنوا فيه فجعلوا يفكرون فقال لابن القصار ويلك الحان الطبور أصلع وأخف
فعنّ فيه ففتاه فدفع إليه دنانير الخريطة وهي مائة دينار فيها مائتان مكوب على كل
دينار منها ضرب هذا الدينار بالجوسق خريطة أمير المؤمنين العتر بالله ثم دعا بالخلع
والجوائز لسائر الناس.

قال واصطبغ العتر يوماً ويونس بن بغا وما رأي وجهان قط مثلهما حسناً فما
مضت ثلاثة ساعات حتى سكرافا فقتل العتر

مَا إِنْ تَرَى مَتَظَرِّداً إِنْ شِئْتُهُ حَسَنًا إِلَّا صَرِيعًا تَهَادَى بَيْنَ سُكَّرَيْنِ
سُكَّرِ الشَّبَابِ وَسُكَّرٍ مِنْ هَوَى رَشَاءٍ^١ تَخَالَهُ اللَّهُ وَالَّذِي يَهْوَاهُ غُصَيْنِ

ومن شعره في يونس وفيه لحن في طريقة الرمل

عَلَمَوْنِي كَيْفَ أَجْفُو لَكَ عَلَى رَغْمٍ مِنْ آثَنِي
وَجَفَّا يَأْنِي لَكَ يَا يُو نُسْ مَقْرُونُ بِحَتْفِي
غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ يَعْلَمُ مَا أُبَدِي وَأُخْفِي
فَوَقَانِي اللَّهُ فِيكَ الدَّدَهْرَ أَنْ يَأْتِي بِصَرْفِ

قال هارون بن عبد العزيز بن المعمد حدثني سعيد بن يوسف كاتب أبي قال كنت
أتقلد خرائن الكسوة وكان إذا أمر العتر ليونس بشيء أخذت له أجل ما في الخرائن
وأحسنه. وكان يربني فلا أقبل به وربما دخل الخزانة فخرته وما زحته فقلت له يوماً
يا سيدي أنا عبدك ومورق لك وأنت تشرف مسرور المعتمضي بالتحية الحسنة مما
يكون بين يدي أمير المؤمنين وأنا فلا لشرفني بمثل ذلك. فقال الليلة نوبتك فلما كان
في الليل بعث إلي بوصيف الخادم ومعه صينية ذهب فيها خوخ فقل في نفسك ثم
كبر إذ كان من مجلس الخليفة فأخذت واحدة فنظرتها فإذا هي قد شقت وأخرج

^١ الأصل: رأى. ^٢ الأصل: رشأء.

ما فيها وجعل مكانه ند مجون على مقدار ما كان فيها فأخرجت ما في جميعه فكان شيئاً كثيراً.

١٢٠١٥

وللمعتز في يونس وقد خرج وعاد

اللَّهُ يَعْلَمُ يَا حَبِيبِي أَنِّي مُذَغِّبَتُ عَنِي هَائِمٌ مَكْرُوبٌ
يَدُوُ السُّرُورُ إِذَا دَنَا بِكَ مَثْرِيلٌ وَيَعِيبُ صَفُّ الْأَعْيُشِ حِينَ تَعِيبُ

وكانت البيعة للمعتز يوم الخميس لثلاث خلوة من المحرم سنة اثنين وخمسين وما تين
وحلع لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين وما تين وقتل بعد الخلع بخمسة
أيام وسنة أربع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوماً.

قال وكانت قيحة حضرت المعتز على الأتراك وقالت يا بني اقتلهم في كل مكان
وأخرجت إليه قيص أبيه المتوكل مخضباً بدمائه فقال يا أمه ارفعيه وإلا صار القميص
قيصين.

وذكر أحمد بن حمدون قال بني المعتز في الجوسق في الصحن الكامل يبتأ قدرته له
أمها ومثلت حيطانه وسقوفه فكان أحسن بيت رئي^١ قال فدعانا المعتز إليه فكنا
في أحسن يوم رئي^٢ سروراً وخلف الستارة مغنية تعى أحسن غناه ليس لي
بها عهد.

قال فعن في ذلك إذ دخل علينا خادم في يده طبق عليه مكبة فوضعه في وسط
اليت وكان في يد المعتز قدح فشربه وشربنا ثم قال للخادم ارفع المكبة فرفها فإذا رأس
المستعين في الطبق فلما رأيته شهقت وبكيت فقال لي المعتز يابن الفاعلة ما هذا
كأنك دخلتك له رقة فثاب إلى عقلي وتماسكت وقلت ما كان لرقة ولكن ذكرت

١ الأصل: رُأى. ٢ الأصل: رُأى.

الموت . فأمر الغلام برد المكبة ورفع الطبق فرفعه وكأنَّ المعتر دخلته فقرة وكذلك جميع من حضر وافقنا عن الحال التي كنا عليه من السرور .

قال فتحن كذلك إذ سمعنا وراء الستربجة أفعتنا فإذا امرأة تصيح وامرأة أخرى ١٥١٥ تشم الصائحة والصائحة تقول يا قوم أخذتوني غصباً ثم تجيئوني ^١ برأس مولاي فتضعونه بين يديّ فسمعوا صوت العود قد ضرب به رأسها وكان الضارب لها والشاتم قبيحة وكانت الحارية من جواري المستعين قال فانصرفنا عن المجلس أبغ انصراف وقد تنقض علينا ما كا فيه .

ولم تمض إلا أيام يسيرة حتى وثب الأتراك على المعتر فقتلوه ثم دعي بنا لنظر إليه فدخلنا عليه في ذلك البيت فإذا هو ممدود في وسطه ميتاً .

^١ الأصل: تجيئوني.

دير مريحنا

وهذا الدير إلى جانب تكريت على دجلة وهو كغير عامر كثير القلايات والرهبان
١٠٦٦ مطروق مقصود لا يخلو من المتربيين للتزهين ولا من مسافر ينزله وكل من طرقه
من الناس ضيافة قائمة على قدر المضاف لا يخلون بها. وله مزارع وغلالات كثيرة
وبساتين وكروم وهو للنسطور وعلى بايه صومعة عبدون الراهن رجل من الملائكة
بني الصومعة وزنلها فصارت تُعرف به وهو الآن المستولي على الدير والقيم به وبين
فيه. وقد بني إلى جانبه بناء ينزله المحازرون ويقيم لهم الضيافة ويحسن لهم القرى.
٢٠٦٦ وقد قيل في هذا الدير أشعار ووصف طيبه وزنهاته فمن ذلك قول عمرو بن عبد
الملك الوراق

أَرَى قَلْبِي قَدْ حَنَّا
إِلَى دَيْرِ مَرِيحَنَا
إِلَى غَيْطَكَاهِ الْفَيْحِ
إِلَى بَرْكَتِهِ الْفَنَا
إِلَى ظَبَّيِّ مِنْ الْأَيْشِ
يَصِيدُ الْأَيْشَ وَأَنْجَنَا
إِلَى عُصَنِّ مِنَ الْبَانِ
بِهِ قَلْبِي قَدْ جُنَّا
إِلَى أَحْسَنِ خَلَقِ اللَّهِ إِنْ قَدَسَ أَوْغَنَّى
فَلَمَّا آتَنَّهُ الصُّبْحَ
بَرَّلَنَا يَيْنَنَا دَنَا
وَلَمَّا دَارَتِ الْكَاسُ
أَدَرَنَا يَيْنَنَا لَحَنَّا
وَلَمَّا هَجَعَ السُّمَّا
رُتَّمَنَا وَعَكَانَنَا

وكان عمرو هذا من الخلاعات المجان المنهمكين في البطالة والخسارة والاستهثار
٣٠٦٦ بالمرد والتطرح في الديارات وله شعر كثير في المجنون ووصف الحمر. وقد ذكرنا منه ما
يليق بالكتاب فمن شعره قوله

وَحَظِيَّةٌ فِيهَا الْعَطْبُ غَالِيَّتُ فِيهَا بِالْعَطْبِ
 أَلْفَتُ فِيهَا مَا كَسَبْتُ وَمَا جَمَعْتُ مِنَ النَّشْبِ
 مَا رَنَتْ حَتَّى لَتَهَا فِي بَيْتِ مُضْطَرِبِ الْحَشْبِ
 وَمُدَامَةٌ كَرْخِيَّةٌ حَمْرَاءٌ مِنْ مَاكَاعِنْبِ
 عَاقَرْتُهَا فِي فَشِيَّةٍ لَيْسُوا عَلَى دِينِ الْعَرَبِ
 فِي مَعْشِيرِ هَرُولِ الْجَاهَةِ فِي الْلَّذَادِ وَالظَّرَبِ
 جَعَلُوا الْجَاهَةَ سُرَّةً لِلْعَاكِذِلِينَ عَلَى الرُّتبِ
 تَضَيِّي الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ وَالسُّكُونُ مِنْهُمْ فِي الْعَصَبِ
 فَإِذَا تَنَبَّهَ مَنْ تَنَبَّهَ كَانَ مِنْهَا فِي طَلَبِ
 وَإِذَا مَضَتْ صَلَوةُهُمْ صَلَوَاتُهُمْ جُمَادَى فِي رَجْبٍ

ومن شعره في المجنون أيضاً

أَيَّهَا السَّائِلُ عَنِي لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْصَّالَاحِ
 أَنَا إِنْسَانٌ مُرِيبٌ أَشْتَهِي نَيْكَ الْمِلاَحِ
 قَدْ قَسَمْتُ الدَّهْرَ يَوْمَيْنِ لِفُسْقٍ وَلِرَاحَةٍ
 لَا أَبْلِي مَنْ لَكَانِي لَا أَطِيعُ الدَّهْرَ لَأَجِي

ومن مجده أيضاً

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ عُقَارًا وَلَمْ تَلْظِ
 فَأَنْتَ لَعْمَرِي وَأَنْجَمْ كَارْ سَوَاءٌ
 وَلَمْ تَمْلِ بَيْتًا مِنْ قَحَابٍ وَلَمْ يَبْثِ
 فِرَاشُكَ أَرْضًا مَا عَلَيْهِ غُطَّاءٌ
 وَلَمْ تَكُنْ بِالسُّطْرَيْجَ عَنْدًا مُقَامِرًا
 وَفِي الْزَّرَدِ عَنْدَ الْحَصْلِ^٣ مِنْكَ وَفَاءٌ
 وَلَمْ تَكُنْ فِي لَعْبِ الْنَّوَى مُتَمَاحِكًا

١ الأصل: خطيبية. ٢ الأصل: (قف على شعر عمرو بن عبد الملك الوراق وعلى مذهبها) وردت في الهاشمي. ٣ الأصل:
 عبد مقامر. ٤ الأصل: الحفضل.

وَلَمْ تَخِذْ كَلْبًا وَقَوْسًا وَبُنْدُقًا
فَأَثَ حِمَارٌ لَيْسَ فِيكَ مِرَاءً
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْطُنْ لَعِيشِ جَهَنَّمَ
وَإِيَّاكَ أَنْ شَفَكَ مِنْ سُكْرِ طَافِ
وَلِكَ مَنْ لَقِيتَ الْدَّهْرَ مِنْهُمْ وَلَا يَكُنْ
وَبُرْجَ حَمَامٌ لَمْ يُصِبَكَ رَخَاءً
فَأَثَ حِمَارٌ لَيْسَ فِيكَ بَقَاءً
فَدُونَكَهُ مَا دَامَ فِيكَ بَقَاءً
مَسَاوِكَ صُبْحًا وَالصَّبَاحُ مَسَاءً
عَلَيْكَ إِذَا أَعْطَوكَ مِنْكَ إِبَاءً

دير صباعي^١

وهذا الدير شرقى تكيرت مقابل لها مشرف على دجلة وهو نزه عامر له ظاهر عجيب
فسيح ومزروع حوله على نهر يصب من دجلة إلى الإسخاقى وهو خليج كبير . فيقصد
هذا الدير من قرب منه في أعياده وأيام الريع وهو إذ ذاك منظر حسن فيه خلق كثیر
من رهابه وقسائه . ولبعض الشعراء فيه

حَنَّ الْفُؤَادُ إِلَى دَيْرٍ بِتَكَرِّيْثٍ بَيْنَ صَبَاعِيْ وَقَسْنُ الدَّيْرِ عَفْرِيْثٍ

١ الأصل: ضباعي.

دير الأعلى

- ١١٨ هذا الدير بالموصل يطل على دجلة والغروب وهو دير كبير عامر فيه قلاليات كثيرة لربانه وله درجة منقرفة في الجبل تقضي إلى دجلة نحو المائة مراقة وعليها يُستقي الماء من دجلة. وتحت الدير عين كبيرة تصب إلى دجلة ولها وقت من السنة يقصدها الناس فيستحبون منها ويذكرون أنها تبرئ من الجرب والحكمة وتمنع المرضين والرملي.
- ٢١٨ والشعانين في هذا الدير حسن يخرج إليه الناس فيقيمون فيه الأيام يشربون ومن اجتاز بالموصل من الولاية نزله. وقد قالت الشعرا في هذا الدير ووصفت حسناته وزنهاته وللثرواتي فيه

إسْقِنِيَ الْأَرَاحَ صَبَاحَا قَهْوَةً صَهْبَاءِ رَاحَا
وَاصْطَبِحْ فِي الدَّيْرِ الْأَعْلَى فِي السَّعَانِينَ أَصْطِبَاحَا
إِنَّ مَنْ لَمْ يَصْطَبِحْهَا الْيَوْمَ لَمْ يَأْتِ بَحْكَاحَا
ثُمَّ قَلَدَنِي مِنَ الرَّيْتُونَ وَالْمُخُوصِ وَشَاحَا
فِي السَّعَانِينَ وَإِنَّ لَا قَيْتَ فِي ذَاكَ أَفْضَاحَا
عَظِيمٌ الْأَغْلَامُ وَالرُّهْبَانُ وَالصُّلْبُ الْمَلَاحَا
وَاجْعَلِ الْبَيْعَةَ وَالْقَضَرَ جَمِيعاً مُسْتَرَاحَا
لَا كَمَنْ يَمْرُحُ^١ بِالشَّهْرَةِ وَالْخَلْعِ مُرَاحَا
أَوْ دَعِ الشَّهْوَةَ^٢ وَالرَّمَّ كُلَّ مَنْ يَهُوَى الْصَّلَاحَا
وَالزَّمِنَ الْجُمُعَةَ وَالْبُكَرَةَ فِيهِ كَا وَالرَّوَاحَا

١ الأصل: الغروب. ٢ الأصل: يمرح. ٣ عواد: الشهوة.

وكان المؤمن اجتاز بهذا الدير في خروجه إلى دمشق فقام به أياماً ووافق ٢١٨ نزوله عيد الشعانيين. فذكر أحمد بن صدقة قال خرجنا مع المؤمن فنزلنا الدير الأعلى بالموصل لطبيه وزهته وجاء عيد الشعانيين فجلس المؤمن في موضع منه حسن مشرف على دجلة والصحراء والبساتين ويشاهد منه من يدخل الدير. ورُئي الدير في ذلك اليوم بأحسن رزي وخرج رهابه وقسنه إلى المذبح وحولهم فتياهم بأيديهم المحامر قد تقلدوا الصليب وتوشحوا بالمناديل المنقوشة. فرأى المؤمن ذلك فاستحسنه. ثم انصرف القوم إلى قلاليهم وقبفهم وعطف إلى المؤمن من كان معهم من الجواري والعلمانيين يد كل واحد منهم تحفة من رياحين وقبفهم وبأيدي جماعة منهم كؤوس فيها أنواع الشراب فأدناهم وجعل يأخذ من هذا ومن هذه تحية وقد شفف بما رأه منهم وما فينا إلا من هذه حالة. وهو في خلال ذلك يشرب والغناء يُعمل.

ثم أمر بإخراج من معه من وصائفه المرتّرات فأخرج إليه عشرون وصيفة كأنهن ٤١٨ البدور عليهن الديباج وفي أعنائهن صلبان الذهب بأيديهن الخوص والزيتون. فقال يا أحمد قد قلت في هؤلاء أياتاً فغبني بها وهي

مَلَاحٌ فِي الْمَقَاصِيرِ
ظِبَاءٌ كَالْنَّانِيَرِ
جَلَاهُنَّ الشَّعَانِيَنِ
عَلَيْنَا فِي الْنَّانِيَرِ
وَقَدْ رَرَقَ أَصْدَاغًا
كَذَنَابِ الْنَّارِيَرِ
وَأَقْبَلَنَ بِأَوْسَاطِ
كَأْوَسَاطِ الْنَّانِيَرِ

ثم أخرج فهم جاريته وكانت وصيفة فغنت

وَرَأَمْتَ أَنِّي ظَكَالٌ فَهَاجَرْتِي
وَرَأَمْتَ فِي كِيدِي سَهْمٍ تَافِذٌ
هَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ الْعَائِذِ

١ الأصل: عند. ٢ الأصل: فغبني. ٣ الأصل: كاؤسط.

وطرب وشرب واستعاد الصوت دفعت ثم قال للبيضي أرأيت أحسن مما نحن
٥١٨ فيه قال نعم يا أمير المؤمنين أن تشكر من خولك فيزيذك منه ويحفظه عليك. قال
بارك الله عليك فلقد ذكرت في موضع الذكر ثم أمر بثلاثين ألف درهم فصدق
بها لوقت.

٦١٨ وإلى جانب هذا الدير مشهد عمرو بن الحمق الخزاعي ومسجد^١ بنته بتو حمدان يحصل
بالقبر. ولعمرو بن الحمق صحبة وكان من أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه
وشهد معه مشاهده كلها وكان معاوية طلبه دهرًا وهو ينتقل من مكان إلى مكان ثم
ظفر به بالموصل وكان قد سقي بطنه واستدلت علته فدلّ عليه عبد الرحمن بن أم الحكم
الثقفي وهو ابن أخت معاوية فكبسه في غار بالموصل وقتله وحمل رأسه إلى معاوية.
وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد ودفنت جثته في هذا الموضع.

٧١٨ وكانت امرأته آمنة بنت الشريد بدمشق خبسها معاوية حبسًا طويلاً فاما حمل
رأس عمرو إليه وجه به إلى آمنة إلى السجن وقال للرسول الله في حجرها واحفظ ما
تقول. فلما أتتها ارتاعت له وأبكيت تقبيله ثم قالت وا ضيعنا في دار هوان. نفيموه
طويلاً وأهديموه إلى قتيلاً فأهلًا وسهلاً بنى كتب له غير قالية وأنا له غير ناسية.
قل معاوية أitem الله ولدك وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك. فعاد الرسول بما
قال فأمر بها فأحضرت وعنده جماعة فيهم إياس بن شرحبيل وكان في شدقيه
نحو لضم لسانه فقال معاوية لها يا عدوة الله أنت صاحبة الكلام قالت نعم غير نازعة
عنه ولا معذرة منه وقد لعمري اجتهدت في الدعاء وأنا أجتهد إن شاء الله والله
من وراء العباد. فأمسك معاوية فقال إياس اقتل هذه فما كان زوجها بأحق بالقتل
منها. فقالت مالك ويلك بين شدقيك جثاث الضفدع وأنت تأمره بقتلي كما قُتل
علي^٢ «إن تُريدُ إلَّا أَن تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُريدُ أَن تَكُونَ مِنَ
الْمُصْلِحِينَ». فضحك معاوية والجماعة وبان الجبل في إياس.

^١ الأصل: مسجدًا. ^٢ الأصل: (خطابة آمنة بنت الشريد لمعاوية بعد ما أتى إليها رئيس زوجها) وردت في الهاشم.

ثم قال لها معاوية اخرجي عيني فلا أسمع بك في شيء من الشام. قالت سأخرج
عنك فما الشام لي بوطن ولا أخرج فيه على حريم ولا سكن ولقد عظمت فيه مصيبة
وما قررت به عيني وما أنا إليك بعائدتك ولا لك حيث كنت حامدة. فأشار إليها بيده
أن اخرجني فقالت عجباً لمعاوية يبسط على غرب لسانه ويشير إلى بياناته. فلما خرجت
قال معاوية يكل إليها ما يقطع به لسانها عيني وخفف به إلى بلدتها فقبضت ما أمر لها
به وخرجت تrepid الكوفة فلما وصلت إلى حمص توفيت بها.

دير يونس بن متى

وهذا الدير يُنسب إلى يونس بن متى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ اسْمِهِ بُنْيٰ وَهُوَ فِي
الجانب الشرقي من الموصل بيته وبين دجلة فرسخان وموضعه يُعرف بنينوي وبنينوى
هي مدينة يونس عليه السلام. وأرضه كلها نوار وشقائق وله في أيام الرياح ظاهر
حسن موقع وهو مقصدود. وتحت الدير عين تُعرف بعين يونس فالناس يقصدون
هذا الموضع خلال منها النزهة واللعب ومنها التبرك بموضعه ومنها الاغتسال من العين
التي تحتها. وكان اليهود في أيام الحسن^ر بن عبد الله بن حمدان دسوا واحداً منهم
فدخل الهيكل وأحدث فيه واتصل الخبر إلى ابن حمدان فجاء كل يهودي بالموصل
فضادرهم على مال كثير أخذه منهم.
ولأبي شاس منير فيه

يَا دَيْرَ يُونُسَ جَادَتْ صَوْبَكَ الدَّيْمُ حَقَّ تُرَىٰ نَاضِرًا بِالنُّورِ تَبَسَّمُ
لَمْ يَشْفِ في تَاجِرٍ مَاءٌ عَلَىٰ ظَمَاءٍ
كَمَا شَوَّحَ حَرَقَلِيَ مَاءُكَ آشَمُ
وَلَمْ يَحْلَكَ مَحْرُونٌ بِهِ سَقَمٌ
إِلَّا تَحَلَّلَ عَنْهُ ذَلِكَ السَّقَمُ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ فَتَكٍ بِذِي غَنْجَ
جَرَىٰ عَلَيَّ بِهِ فِي رَيْعَكَ الْقَلْمَ

وكان أبو شاس هذا من أطبع الناس ملحوظاً في الشعر كثير الوصف للحر ملازماً للديارات
متطرحاً بها مفتوناً برهانها ومن فيها فمن شعره الذي وصف فيه الحر قوله

أَعْكَارَكَ الْحَمْلُ وَالْوَقَارُ ثُوَّبَا مِنَ الصَّمَدِ لَا يُعَارُ
فَقَمَ إِلَى الْحَمْرِ فَأَمْتَحَنَهَا إِذَا أَسْتَقَرَتْ بِكَ الْدَّيَارُ

١ الأصل: بنينوي. ٢ الأصل: الحسين. ٣ الأصل: ناجر، مصححة في الهاشم.

وَعَنَتِ الظَّيْرُ فِي رِيَاضٍ
رَيْنَ عِدَانَهَا أَخْضَرَارُ
مِنَ الَّتِي صَائِهَا مُلُوكٌ
هُمُ الْسَّادَةُ الْكَبَارُ
صَارَ مَكَانَ الدُّجَى نَهَارُ
إِذَا بَدَثَ وَالدُّجَى مُقِيمٌ
كَاهْمَ وَالْمَدَامُ رَبِّ
يُؤْمِمُ فِي الظَّلَامِ نَارٌ

ومن ملية شعره أيضاً

٤١٩

لَا تَعْدِلَنَّ عَنْ أَبْنَةِ الْكَرْمِ
يَابِي فِيهِمَا صِحَّةُ الْجَسْمِ
وَأَعْلَمُ بِأَنْكَ إِنْ لَمْ يَجْتَ بِغَيْرِهَا
هَطَّلَتْ عَلَيْكَ سَحَابَ الْهَمِ
وَإِذَا شَرِبَتْ فَكُنْ لَهَا مُتَيَّقَّطًا
حَتَّى تُبَيِّنَ طِبَّةُ الْطَّعْمِ
لَوْلَمْ يَكُنْ فِي شُرْبَهَا مِنْ رَاحَةِ
إِلَّا الْخَلُصُ مِنْ يَدِ الْعَمَّ

وقال أيضاً

٥١٩

أَعَادِلُ مَا عَلَى مِثْلِي سَيِّلُ
وَعَذْلُكَ فِي الْمَدَامَةِ مُسْتَحِيلُ
أَعَادِلُ لَا تُمْنِي فِي هَوَاها
فَدَعْنِي لَا أَقُولُ وَلَا تَقُولُ
كَلَّا تَأْدِي فِي الْخَنْرِ عَلَمًا
وَوَصْلُ أَنَامِلِي كَاسٌ شَمُولُ
أَلَيْسَ مَطِيَّتي حَقُوْيِ غَلامٍ
فَدَعْنِي وَجْهُهُ أَخْسَنُ الْجَمِيلُ
إِذَا كَانَتْ بَنَاثُ الْكَرْمُ شُرِبِي
وَهَانَ عَلَيَّ مَا قَالَ الْعُدُولُ
أَمِنْتُ بِذِينِ عَاقِبَةُ الْلَّيَالِي
لَهُ عَنْ كَسِيرِ نَاظِرِهَا رَسُولُ
وَمُعْتَدِرِ إِلَيَّ شَطَّرِ عَيْنِ
وَإِنَّ لِسَانَهُ مِنْهَا يَقِيلُ
صَرَفُتْ الْكَاسُ عَنْهُ حِينَ عَيْنِ
أَرْحَنِي قَدْ تَرَيَعَتِ ^١الشَّرِيَا

١ الأصل: يربيعن؛ عواد: ترفعت.

دير الشياطين

١٠٢٠ وهذا الديرغربي دجلة من أعمال يلد بين جبلين في ف الوادي له منظر حسن و موقع جليل . والناس يطرقونه للشرب به وهو من مطاحن أهل البطالة و مواطن ذوي الخلاعة وللخبار البلدي فيه

**رُهْبَانُ دِيرِ سَقَوْنَى الْخَمْرِ صَافِيَّةٌ مِثْلُ الشَّيَاطِينِ فِي دِيرِ الشَّيَاطِينِ
مَشَوْا إِلَى الرَّاحِ مَسْيَ الْرَّحْ وَانْصَرَفُوا وَالرَّاحُ تَمْسِي بِحُمَّ مَسْيَ الْفَرَارِيْزِ**

٢٠٢٠ وكان عبادة لما نفاه المتوكل إلى الموصل يمضي إلى دير الشياطين فيشرب فيه ولم يكن يفارقه فهو غلاماً من الرهبان بالدير وكان من أحسن الناس وجهًا وقد فهم به وجع عليه ولزم الدير من أجله ولم ينزل يخدعه ويلاطفه ويعطيه إلى أن سله الراهب من الدير وخرج معه . وفطن رهبان الدير بعبادة وما فعل من إفساده الغلام فأرادوا قتله بأن يرموه من أعلى الدير إلى الوادي فقطن بهم وهرب فلم يعد إلى الموضوع .

٢٠٢٠ وكان عبادة من أطيب الناس وأخفهم روحًا وأحضرهم نادرة وكان أبوه من طباخي المأمون وكان معه خرج حاذقًا بالطبع ثم مات أبوه ففتحت وصار رأساً في العيارة والخلاعة . فوصف للمأمون وهو إذ ذاك حدث فاستحضره فلما وقف بين يديه تنادر وحالي ومارح فاستطابه المأمون . فقال امضوا به إلى زينة لتراه وتضحك منه فمضوا به إليها فلما دخل عليها وجدها على برذعة تاختج وعلى رأسها جارية تذبذب عنها بمذبة خوص . فقال عبادة يا سيي كأنك من ناطف البركة فضحك منه واستطابته . فآقام عندها أيامًا فوصلته وكتته وكانت لا تقاد تصر عنه .

- قال جلس المأمون في بعض الأيام وأمر بأن تحضر اللحوم والحيوان وما يحتاج إليه من آلة الطبيخ وقال للندماء ليطبع كل واحد منكم قدرًا وطبع هو أيضًا قدرًا وطبع آخره أبو إسحاق قدرًا ففاحت لها رواح غلت على رواح قدورهم طيباً وعطرية فجعوا من ذلك. وعبادة حاضر خسده فقال إن أردت أن تزيد في طيب قدرك فصب فيها سُكّرَة كاخ فأخذ سُكّرَة كاخ كبر وصبها في القدر فساعة صب السُّكّرَة فاحت لها رواح منته. فقال المأمون ويلكم ما هذه الراحلة المنته قال عبادة راحلة قدر أخيك الطباخ قال ماذا طرحت فيها حتى عادت بعد الطيب إلى هذه الراحلة فقال سُكّرَة كاخ كبر وأشار بها عبادة. فقال أما علمت أنك إذا أدخلت جسمًا ميتًا على جسم حي أفسده فقدتها المعتصم على عبادة فلما ولي المعتصم أمر بقتله ثم قال ما لهذا الكلب من القدر ما يُقتل ولكن افوه فتنى. فلما ولي الواثق رده فكان معه ثم مع المتوكَّل بعده ثم غضب عليه المتوكَّل ففاه إلى الموصل.
- قال أبو حازم الفقيه وقد جرى ذكر عبادة ما كان أظفه. قيل وكيف قال كان المتوكَّل فناء فلما حصل بالموصى تبعه غرماوة وطالبوه وقدموه إلى علي بن إبراهيم الغمرى وهو قاضي الموصى خلف لواحد ثم لآخر ثم لآخر فقال علي بن إبراهيم ويحك ترى هؤلاء أجمعوا على ظلمك فاتق الله وارجع إلى نفسك فإن كانت عسرة كانت بإزارها نظره. قال صدقت فديتك ليس كلهم أدّعى الكذب ولا كلهم أدّعى الصدق وإنما دفعت ما لا أطيق. ثم رده المتوكَّل.
- وكان من أحضر الناس نادرًا وأسرعهم جوابًا وقال المتوكَّل لعبادة ذات يوم دع التخيث حتى أزوجك. قال أنت خليفة أو دلالة.
- وقال له ابن حمدون يا عبادة لو حجت لاكتسبت أجراً وراك الناس في مثل هذا الوجه المبارك فقال اسمعوا ويلكم إلى هذا العيار يريد أن ينفيني من سامرا على جمل.
- وقال له دعبد يوماً والله لأجهنك قال والله لئن فعلت لأخرجنْ أمك في الخيال.

قال سعد بن إبراهيم الكاتب قلت له يوماً يكون مختبئاً غير بفاء قال نعم ولكن لا يكون ملِحَّ يُكَوِّن مثل قاضٍ بدون دنية .

وقال يوماً لأبي حرملة المزین حذْفِي قال يا مختبئاً أضع يدي على وجهك وأنا أضعها على وجه أمير المؤمنين قال فانت أيضاً تضعها على باب استك كل يوم خمس مرات.

قال ودخل عبادة يوماً الحرام بغیر مئزر متبدلاً غير مخشم وفي الحرام شیخ جلیل فقال له ويحك أما تستحي استتر بيده فقال أیش استر إنما هي هدية مکة مقلتين وموساك .

قال علي بن يحيى النجم قال عبادة يوماً للمتوكل ويحيى بن أكمٰم القاضي حاضر يا أمير المؤمنين قل ليحيى يعني فرائض الصلب فقال المـتوکل ليـحيـي هـوـذا تـسـعـ فـقـالـ وـقـدـ عـلـمـ أنـ المـتـوـکـلـ غـمـ عـلـيـهـ عـبـادـةـ لـيـتـنـادـرـ بـهـ سـأـلـ مـحـالـاـ يـاـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ قـالـ وـكـيـفـ قـالـ لـأـنـ الشاعر يقول

وإِنَّ مَنْ أَدَبَتَهُ فِي الصَّبَّةِ كَالْمَوْدِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ

وهذا شیخ لا يخرج في التعليم ولكن إن كان له ابن حدث ذكر فليأتني به أعلمـهـ فـنظـرـ إـلـيـهـ عـبـادـةـ وـقـالـ يـاـ قـاضـيـ لـوـكـتـ منـ أـهـلـ صـنـاعـتـنـاـ ماـ قـوـيـ بـكـ أـحـدـ فـقـالـ لـسـتـ مـنـ أـهـلـ صـنـاعـتـكـ وـمـاـ بـأـحـدـ عـلـيـ قـوـةـ .

قال وخرج عبادة يوماً في السحر إلى الحرام فلقي غلاماً من أولاد الأتراك فأعطاه عشرة دراهم وقال اقطع أمر عمك فيما الغلام فوقه خلف الدرب إذ أشرف عجوز من غرفة لها فرأتهما فصاحت اللصوص فقال عبادة يا عجوز السوء النسب في اسمي صياحك أنت من أیش .

وذكر أبو حاتم القاضي قال كنت مقيناً بدمشق مع ابن مدبر وكان لا يرد عليه كتاب إلا أقرأيه فورد عليه كتاب سعيد الربيع خليفة له بسر من رأى فقرأه وتبسم ولم يدفعه

١. كما في الأصل .

إلي فسألته ما فيه فقال كتب لي سعيد يذكر أنه كان واقفاً بباب الم توكل إذ خرج موسى ابن عبد الملك وهو متغير الوجه فقال لغلامه احمل إلى عبادة ألف درهم وقل لا تعاورد أن تكثر فضولك فسألت عن الخبر قيل دخل موسى على الم توكل وهو جالس على بركة السابعة وعبادة بين يديه يتكلم ويعث فقال الم توكل يا موسى قد صدع رأسي عبادة فما ترتحني منه فقال يا أمير المؤمنين اطرحه في بركة الأسد فقال عبادة نعم اطرحني أنا في بركة الأسد وأحمله هو إلى أسد دمشق حتى يستخرج لك الأموال منه فتغير موسى وقامت عليه القيامة وبعث إلى عبادة بمال أسكنه به.

عُمر الزعفران

١٠٢١ هذا العمر بنصيبيين مما يلي الجانب الشرقي منها في الجبل والجبل مشرف على البلد وهو من المديارات الموصوفة والمواضع المذكورة بالطيب والحسن وحوله الشجر والكرم وفيه عيون تتدفق وهو كثير القلايات والرهبان. وشراحه موصوف يحيط إلى نصيبيين وغيرها وليس يخلو من أهل القصف واللعن فهو وسائل بقائه معه مغيرة بن يطرقها.

وبهذا الجبل ثلاثة ديارات أخرى في صفت واحد أحسن شيء منظرًا وأجله موقعًا وهي عمر الزعفران ومرأوجين^١ ومر يوحنا والعمر الكبير بالموضع أحد متزهّرات الدنيا. وأسفل الجبل الهرماس وهو نهر نصيبيين وعيون تتدفق من أصل الجبل ويُعرف الموضع برأس الماء. وهذا الجبل أول طور عبدين وهو على ثلاثة فراسخ من نصيبيين ويجري هذا النهر بين جبلين وعلى حافته الكرم والشجر فإذا وصل إلى نصيبيين افترق فرقتين فنه ما يختار بباب سجوار فيسي ما هناك من البساتين ويصب في الخابور ومنه ما يعدل إلى شرق البلد فيدير أرجحية هناك ويسقي البساتين أيضًا وما هناك.

٢٠٢١

ولصعب الكاتب في دير عمر الزعفران

عُمِرْتَ بِقَاعَ عُمَرَ الزَّعْفَرَانِ
بِفِتَيَانِ عَطَارَفَةِ هَجَانِ
بِكُلِّ فَقَى يَحْنُ إِلَى آشْصَابِيِ
وَهَوْيِ شُرْبَ عَاتِقَةِ الدَّنَانِ
بِكُلِّ فَقَى يَمِيلُ إِلَى الْمَلَاهِيِ
ظَلَلَنَا نُعْمَلُ الْكَسَاتِ فِيهِ
وَأَغْصَانِ تَمِيلُ بِهَا ثَمَارُ
قَرِيبَاتٍ مِنَ الْجَانِي دَوَانِي

١ الأصل: ملت. ٢ كذا في عواد؛ الأصل: اوحي.

تَشِيهِمَا الْيَاحُ كَمَا شَتَّى
بِحُسْنِ قَوَامِهِ مَا وَيْ جَنَازٌ
يَلْجُوحُ بِيَاضِهَا كَاللَّوْقَازِ
وَأَنْهَكَارٍ تَسْلِسِلُ جَارِيَاتٍ
عَنْ أَبْنِ الْمَكَارِيقِ وَعَنْ بُنَازِ
بُجَاؤِهِمَا إِذَا نَاحَ شَجَرٌ
بِقَمَهَةِ الْقَوَافِزِ وَالْقَنَافِزِ
شَجَانِي مِنْهُمْ مَا قَدْ شَجَانِي
وَغَرَلَانٌ مَرَاعِهَا فُؤَادِي
وَشَمَعُونٌ وَيُوْحَنَا وَشَعِيَا
ذُوو الْإِحْسَانِ وَالصُورُ الْجَسَانِ
عَنِيتُ بِهِمْ عَنْ الْبَيْضِ الْقَوَافِزِ
أَبْلِلُ دَا وَالثِيمُ خَدَّهَا
فَهُدَا الْعَيْشُ لَا حَوْضُ وَنَوْيٌ
وَلَا وَصْفُ الْمَعَالِمِ وَالْمَفَافِي

وكان مصعب هذا من أشد الناس تهتكاً وأكثرهم خلاعة ومجوناً واستهتاراً
بالمرد وتطرساً في الحانات والديارات وأشعاره كلها في الغلامان لا تعدو هذا المعنى
إلى غيره ونحن نورد من ذلك ما يُستطرف ويُستطاب ويُستخل من معانيه. ومن
شعره قوله

أَنَا الْمَاجِنُ الْلَّوْطِيُّ دِينِي وَاحِدٌ
الْلَّوْطُ وَلَا أَرْبِي فَمَنْ كَانَ لَائِطًا
أَدِينُ بِدِينِ الشَّيْخِ يَحْيَى بْنِ الْكَمِ
وَمِثْلُ قَضِيبِ الْبَانِي فِي زَيِّ سَاطِرٍ
لَهُ نَخْرَةٌ إِنْ قُلْتَ صِلَانِي بِرَوْرَةٍ
دَعَوْتُ لَهُ مِنْ قَوْمٍ لُوطٍ عَصَابَةٍ
قَسَالَ وَقَدْ غُصَّ الْنَارُ بِحَلَقَهِ
كَرِيمٌ أَصَابَتُهُ مِنَ الدَّهْرِ بَوْهٌ

فَإِنِّي فِي كَسْبِ الْمَعَاصِي لَرَاغِبٌ
فَإِنِّي لَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ صَاحِبٌ
وَإِنِّي عَنْ دِينِ الْرُّثَاءِ لَنَـكِبٌ
إِذَا مَا بَدَا لِلظَّرْفِ فَالْعَقْلُ عَارِبٌ
تَشِيبُ لَهَا يَا بْنَ الْكَرَامِ الدَّوَائِبُ
تَذَلُّ لَهُمْ فِي الْأَثَابَاتِ الْمَصَاعِبُ
مَقَالَةٌ مَنْ أَعْيَثَ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ
وَإِنِّي كَرِيمٌ لَمْ تُصِبْهُ النَّوَائِبُ

ومن شعره أيضاً^١

٤٢١

نَصِيحةٌ مِنْ حَوَى أُذْنَا وَطَرْفَا
عَلَيْكَ إِذَا لَقِيتَ بِحُسْنٍ بِشِرٍ
وَلَا تُخْلِ الْأَصْبَاحَ مِنْ عُقُودِ
وَعِظَمِهِمْ وَأَنَّهُمْ عَنْ مُنْكَارٍ
وَوَاخِ أَبَا الَّذِي تَهْوَاهُ كَيْمَا
وَإِنْ أَبْصَرْتَ شَرْطَكَ بَيْنَ قَوْمٍ
كَانَكَ لَمْ تَكُنْ نَظَرًا أَرَدْتَهُ
وَلَا تَدْعَ الدَّيْبَ إِذَا سَكَرْتَهُ
وَصَاتِي يَا سَعِيدُ فَلَا تَدْعُهَا

وقال أيضاً

٥٢١

هَجَرْتُ مُجُونِي فَاسْتَرْحَثُ مِنْ الْعَذْلِ
فِيَا بْنَ يَمَانٍ هَلْ سَمِعْتَ بِمَا شِقَ
الْمَرَأَةِ حِينَ أَغْدُو مُسْجَناً
وَأَحْشَعْ فِي مَسْيِي وَأَصْرَفُ نَاظِري
وَأَمْرُرُ بِالْمَعْرُوفِ لَا مِنْ تَقْيِيَةِ
أَقُولُ إِذَا مَا قُلْتُ يَوْمًا أَلَا أَتَقِ
وَمَحْبَرَتِي رَأْسُ آرْيَاءِ وَدَفَرِي
أَوْمَرْ قَقِيهَا لَيْسَ هَمِيَ فِقَهِهُ
فِيَارْبُ مَغْرُورِ غَرَرْتُ بِدَفَرِي
وَغَلِيلِي بِالْأَسْحَارِ أَوْ رَائِحَةِ رِجْلِي
وَلَكِنْ لَدِينِ الْمَرْدُ جُمْتَعُ الشَّمْلِ
فَلَمَّا شَاهَ الْحَرَمُ عَارَضَهُ فَعِيلِي

^١ الأصل: (قف على وصية مصعب الكاتب) وردت في الهاشم. ^٢ الأصل: (أحسن) وردت فوق هذه الكلمة.
الأصل: (من) وردت في الهاشم.

وَكَمْ أَمْرَدَ قَدْ قَالَ وَالدُّهُ لَهُ
عَلَيْكَ هَذَا إِنَّهُ مِنْ ذَوِي الْعَقْلِ
يَقْرُبُهُ مِنْ أَنْ يُعاشرَ شَاطِرًا
كَنْ فَرَّ مِنْ حَرَاجَ إِلَى الْقَتْلِ
فَأَوْسَعَهُ نِيَّكَا وَمَا أَفَّ عَاجِرًا
وَكُثُّ لَهُ فِي الْحَفْظِ وَاللَّيْنَ كَالْبَعْلِ
كَمَا لَيْنَ آرَوَاضُ مُسْتَصْبِعَ الْإِلَيْهِ
وَلَيْسَتْهُ بِالرِّفْقِ مِنْ بَعْدِ عِرَّةٍ

وقال أيضاً

قَوْلُتُ لَهَا مَا دَامَ فِي الْأَرْضِ أَمْرَدُ
رَكَابَ فِسْقَ أَنْتَ فِيهَا تُرَدُّ
بُكَاءَكَ حَتَّى يَنْفَدِ الْدَّهْرُ يَنْفَدُ
هُمُ الْهَدْكُوا دِينِي عَلَيَّ وَأَفْسَدُوا
حُشُوعِي الْأَلَا فِي الرَّهْدِ أَصْبَحْتُ أَرْهَدُ
وَلِلرِّفْقِ أَخْيَانَا عَوَاقِبُ حَمْدُ
وَرَاءِيَتُ بِالشِّعْيِ وَالْكَفُّ تَعَقَّدُ

وَقَائِلَةٌ تَرْجُو صَلَاحِي إِلَى مَتَّ
قَالَتْ لَقَدْ أَنْصَيْتِ فِي الْغَيْ جَاهِدًا
أَبْتِكِي لِنَسْ بَعْدَ نَسْ فَمَا أَرَى
أَعَادَلْ لَوْلَا الْمَرْدُ أَصْبَحْتُ عَابِدًا
دَعَانِي أَلَّا سُرْ رَاهِدًا حِينَ أَبْصَرُوا
نَصَبْتُ لَهُمْ تَحْتَ الْخَسْوَعِ مَكَابِدِي
تَشَبَّهُتُ بِالرُّهَادِ وَالْحَرْبُ حُدُّهُ

وقال أيضاً

وَالْمَرْدُ يَا ابْنَ يَكَانِ أَفْسَدُوا دِينِي
فَلَيْسَ دَهْرِي عَلَى دِينِي يَكَانُونِ
مِنْهُمْ بِعَدَادِ يَوْمًا عُدْتُ بِالصَّيْنِ
فَظَلَّ مِنْهُ بِحُسْنِ الْوَضْفِ يُتَبَّعِينِ
صُلْبُ الْقُلُوبِ وَأَمْرُ لَيْسَ بِالدُّونِ
مَنْ لِي مِنَ الْمَرْدِ فِي الْإِحرَامِ يُجْهِينِي
وَقَتْ نَصْبًا لِمَنْ بِالْحَفْظِ يَرْمِينِي
هُنَالِكُ يُتَدِي صَمِيرِي كُلَّ مَكَنُونِ

كُلُّ حَيَاةٍ بِلَا دِينِ فَكَا سَدَّةٌ
كُمْ تَوْبَةٌ بَعْدَهَا أَمْرَى أَسْتَبَّتُ بِهَا
لَوْ أَمْسَنَتِنِي الَّذِي نَفْسِي تُخَوْفُهُ
وَقَدْ سَأَلْتُ حَبِيرًا مِنْ بُجَارِهِمْ
قَالَ بِالصَّيْنِ الْوَانُ تَلِينُ لَهَا
وَقَائِلٌ عُذْبَيْتِ اللَّهُ قُلْتُ لَهُ
إِذَا بَدَتْ كُبُّ لِيَثَ بِهَا أَزْرٌ
مَنْ لِي إِذَا رَاحَمُونِي فِي طَوَافِهِمْ

مَا يِلِي مِنَ الْمُرْدِ إِلَّا اللَّهُ يَعْصِمِنِي
قَدْ كُثِرَ فِي النُّسُكِ قَبْلَ الْيَوْمِ مُعْمَسًا
أَذْنُو بِعَيْنِ تَقْيَى حَشُورُ مُقْلَمَةَا
فَالآن بَثَتْ فَسَبِي مِنْهُ نَظَرِي

وقال أيضاً

٨٠٢١

إِنِّي بَكَيْتُ لِحَسِيمٍ فِي تَقْصِهِ
وَشَاطِرِ ذِي أَحْتِيَالٍ فِي تَرْكُهِ
مَا زِلتُ عَنْهُ بِمَكْرِي وَالْخَدَاعِ إِلَى
قَاتِلٍ عَقْلَ الْفَقِي بِالْكَاسِ أَقْرَعُهَا
حَتَّى إِذَا مَا أَسْتَعَارَ اللَّيْلُ مُجْهَتَهُ
دَيْتُ أَمْشِي عَلَى الْكَفَنِ الْمُسْهَهُ
وَكَرِيْسْقُ فِي قِرْطَاسِهِ قَلَمِي
فَقَالَ لَمَّا آنَجَلَي عَنْ عَيْنِهِ وَسَنَ
يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوْلَهِ

وله أيضاً

٩٠٢١

تَبَذَّلَتْ مَا صَانَ مِنْ ظَهَرِهِ
وَمُغْفِي عَلَى الْكَاسِ مِنْ سُكْرِهِ
وَقَبَلَتْهُ مَا ظَيَّقَتْ قُبْلَةَ
وَأَغْزِرَزَ عَلَيَّ بِمَا سَرَنِي
فَلَمَّا تَنَبَّهَ أَبْصَرَتْهُ
وَقَدْ كَانَ فِي سَقِيهِ كَادِنِي

١ الأصل: فالم: عواد: فاتلث.

وله أيضاً

١٠٤١

يَا أَيُّهَا الْمُرْدُ قَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ
 خَافُوا مِنَ اللَّهِ فَضَلَّ تِقْمِيمُهِ
 إِذَا سَطَكَ أَمْرَدُ وَاهَ عَلَى
 عَاسِقِهِ كَانَ غَبَّ سَطْوَتُهِ
 أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ فِي حَاسِنِهِ
 شَغْرًا فِي طَفْنِي ضِيَاءَ بَهْجَتِهِ
 عُقُوبَةَ الْأَمْرَدِ الَّذِي كَثُرَتْ
 ذُنُوبُهُ فِي خُرُوجِ لَحْيَتِهِ
 يُنِكِّرُهُ النَّاسُ بَعْدَ مَعْرِفَةِ
 وَقَدْ تَوَاصَوْا بِطُولِ جَفَوَتِهِ
 هَذَا يَبْيِي إِلَلَهُ قَبَلَكُمْ
 قَدْ أَنْكَرَتْهُ عُيُونُ إِحْرَارِهِ
 وَعَدَهُ أَيَّنْ حُسْنُ وَجْهِهِ أَبِي
 بَكْرٍ وَالْحَاضِهُ بِفِتْنَتِهِ
 وَقَتَلَهُ الْمَبْشِلِي بِسَبَوَتِهِ
 وَأَيَّنْ بَخْطَكَارُهُ وَنَجَوَتِهِ
 عَلَى يَكَاضِ مِنْ تَحْتِ حُمَرَتِهِ
 قَدْ عَفَرَ الصُّدُعُ فَوْقَ وَجْهِهِ
 صَارَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ عِرَّتِهِ
 مِثْلُ قُعَيْسٍ بِكَابِ عَمَّتِهِ

عُمَرُ أَحْوِيشَا

١٠٢٢ وتقسير أحويشا بالسريانية الحيس وهذا العمر بسرت وسرت^١ مدينة كبيرة من ديار بكر بقرب أرزن والمر مطل على أرزن وهو كير عظيم فيه أربعين راهب في قلالي وحوله بساتين وكروم وهو في نهاية العمارة وحسن الموقع وكثرة الفواكه والثمار ويحيل منه النهر إلى المدن المذكورة. وبقربه عين عظيمة تدبر ثلاث أرباء. وإلى جانبه نهر يعرف بنهر الروم وهذا العمر مقصود من كل موضع للتزة فيه والشعب. والخلاء والمتطربون أغلب عليه من أهله.
٢٠٢٢ وللبادي الشاعر فيه

وَفِتْيَانٍ كَمَمَكَ مِنْ أَنَّاسٍ
نَهَضْتُ بِهِمْ وَسِرْتُ الْلَّيْلَ مُلْقَى
نَوْفَ بِدَيْرِ أَحْوِيشَا غَرَّ الْأَ
وَكَابَدَنَا السُّرَى شَوْقًا إِلَيْهِ
نَرَلَنَا مَزِلَّا حَسَنًا أَنِيقًا
قَسَمَتْ الْوَقْتَ فِيهِ لِأَغْتِبَاقٍ
ظَلَلَنَا بَيْنَ رَيْحَانٍ وَرَاجٍ
وَسَاعَفَنَا الرَّمَكَانُ بِمَا أَرَدَنَا

وكان هذا البادي يكتفى أبا بكر أحمد بن محمد من طياب الناس وملائتهم وذوي المجانة والخلاء. وُسُيّي البادي لأنّه كان يلبس أبداً على ثيابه لباداً أحمر.

١ الأصل: سعوب وسعوب. ٢ كذا في عزاد؛ الأصل: ظلنا.

ذكر أبو علي الأوارجي أنه كان يتقدّم أرديل قال فقسّطت في وقت من الأوقات عشرين
٤٠٢٢ ألف دينار بالعدل فيهم على قدر أحوالهم فكان فيمن لحقه التقييد اللبادي هذا
فكتب باسمه عشرون ديناراً . قال فيينا أنا جالس في الديوان أستخرج إذ دخل على
رجل قد طين وجهه بطين أحمر وعليه لباد أحمر وعمامة حمراء وبده عكاز أحمر
وفي رجليه خفان أحمران فسلم ووقف وبدا ينشد في قصيدة عملها قال فيها

لَئِنْ كَانَ الْأَمِيرُ بِهِ آفِقَارُ
إِلَى الشُّعْرَاءِ فِي كَرْمِ النَّصَابِ
لَقَدْ أَوْدَثَ بِهِ الْأَيَامُ حَتَّىٰ
لَقَدْ رَأَمَ الْعَرَاقَ مِنَ الْكِلَابِ

فقلت من هذا قالوا هذا أبو بكر اللبادي الشاعر . فرفته ثم سأله عن قصيده
في أحمد بن حسن الماذري وخبره معه .

٤٠٢٢ فقال لي قصيده فوجده سائرا نحو قزوين فوقفت له على طريقه خلف حجر بهذا
الرني الذي تراه علي فلما أن دنا مني خرجت إليه فقلت

كَاتَرَى صَيَّرَى

فقال ماذا . فقلت

قَطْعِي قِفَّاكَارَ الدَّمَنَ
أَقْطَعُهَا طَوْرَا وَطَوْ
رَا بِالسُّرَى تَقْطَعُنِي
أَسْرِي عَلَى سَبَاقَةٍ
فِي سَيْرِهَا لَمْ تَحْنَ
لَا تَغْرِفُ الْدُّلُّ وَلَا
قِيدَثُ بِشَيْيِ الرَّسَنِ
أَسْعَى بِهَا مُعْنِسِفًا
إِلَيْكَ يَا ابْنَ الْحَسَنِ
مُسْتَعْدِيًّا فَأَعْدِنِي
عَلَى صُرُوفِ الْزَّمَنِ
فَقَدْ وَرَبَّ الْرُّكْنَ أَوْ
هَى لِي مَشِيَّيْ رُكْنِي

كَمْ جَرَّةً جَرَّعَنِي
وَغُصَّةً غَصَّصَنِي
كَمَا يَقْلِبُنِي
فِي مَرَّهٖ بِالْأَخْرَى
أَدَالَ مِنْ دَهْرِي الدَّى
يَا ذَا الدَّى مِنْهُ تَمَا
رَأَتُهُجُودٌ يَجْنِي الْجَنَّى
جُودُكَ مِنْ أَعْلَى الدَّرَى
يَدْعُو بِصَوْتٍ مُعْلِنٍ
حَيَّ عَلَى أَبْنَى الْحَسَنِ
حَيَّ عَلَى مَنْ جُودُهُ
بِعِثْ أَسْعَى وَالَّذِي
يُحِبُّ آلَ الْمُصْطَفَى
وَحُبُّهُمْ أَقْدَى
أَجْلَتُ فِيهَا فِطْنَى
لُسُكَّهَا أَحْسَنُ مِنْ

قال فأمر لي عشرة آلاف درهم وحملني على دابة بسرجه وجلمه.
قال أبو عليٍّ فوقيت إلى المستخرج بإعطائه براءة بما قسط عليه فأخذ البراءة وشكري
وانصرف.

ومدح اللبادي أبي قاسم يوسف بن ديواداً أبي الساج^١ فصار إلى داره فلما دخل
الدهليز قال له الحاجب وأنكر زيه ولبياده أي شيء أنت قال شاعر وقد مدحت
الأمير فقال بعض من بين يديه ربطة فربطه وانصرف. وكتب إلى أبي بكر محمد بن
أحمد كاتب الأفشين

مَدَحْتُ الْأَمِيرَ أَبَا قَاسِمٍ وَقَسِّي لِجَدْوَاهُ مُسْتَنْظِرَهُ
يَمْدِحُ كَوْشِي رِيَاضِ الْبَيْعَ عَلَسَهُ الْطَّلَلُ إِذْ بَاكَرَهُ
وَقَالُوا هُمَّا جَرِيزُ الشَّنَاءِ جَرِيزُ الْأَيَادِي وَلَمَّا أَرَهُ

١ الأصل: ديواداً أبي الساج.

جُرِيْثَ عَلَى مَدْحَهْ رَبَطْرَه
وَكَائِثَ لَعْمَرَ اَبِي مُنْكَرَه^١
وَأَيْقَنْتَ اَبِي صَرِيمَ الشَّرَه
وَنَادَ بِهِنَّ مِنَ الْمَقْبَرَه
يُقَالُ لَهُ الْآنَ مَا اَشْعَرَه
يَبْلُ الْلَّهَ كَاهَهُ اَوْ الْحَجَرَه
فَهَلْ يَا مُحَمَّدُ مِنْ تَائِلٍ
مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ خَيْرًا يَرَهْ

فَلَمَّا آتَتَهُمْ إِلَى دَارِهِ
فَأَنْكَرُتْ جَائِزَتِي مِنْهُمْ
وَأَمْكَثْتُ نَفْسِي مِنَ الْحَادِثَاتِ
فَبَلَّ عَلَى الشَّعْرِ وَالْكُرْمَاتِ
فَقَدْ أَسْخَنَ اللَّهُ عَيْنَ اَمْرِي
فَهَلْ يَا مُحَمَّدُ مِنْ تَائِلٍ

قال أبو بكر أباي والله وكرامة. ووجه إليه توقيعاً بخمسين ديناً^٢ إلى الجهد فأبى الجهد أن يقبض التوقيع إلا أن يقيم عنده فأقام عنده ودفع إليه الخمسين ديناً^٣ وخمسة من عنده. ثم أوصله أبوه بكر إلى أبي القاسم يوسف وحدّثه حديثه فضحك منه وسمع شعره وأعطاه وحمله وكساه.

١ الأصل: لعمرو. ٢ في الهاشم الآيات الأربع الآتية: وَقَدْ أَبِي لِي مَعْدِنِي / أَنْ لَا أَكُونْ مَعَ دَنِي // وَالْعَرْقُ مِنْ يَدِي دَنِي / أَيْنُ مِنْ دَيْدَنِي // وَلَنْسُتْ مِعْنَ عَرَّهُ فِي التَّاسِ حُصْرُ الدَّمِ // أَمُوتُ ظَلَّمًا وَلَا أَشْرُبُ مَاءَ الْحَقْنِ. ٣ الأصل: دينار. ٤ الأصل: دينار. ٥ الأصل: إلى.

دير فيق

وَهَذَا الدِّيرُ فِي ظَهَرِ عَقْبَةِ فِيقٍ فِيهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَحْرِ طَبْرِيَّةِ فِي جَبَلٍ يَتَصَلُّ بِالْعَقْبَةِ
مَنْقُورٌ فِي الْجَبَرِ وَهُوَ عَامِرٌ بْنُ فِيَهِ وَمَنْ يَطْرُقُهُ مِنَ النَّصَارَى لِجَلَالِهِ قَدْرُهُ عِنْدِهِ.
وَغَيْرُهُمْ يَقْصُدُهُ لِتَزَرَّهُ وَالشَّرِبِ فِيهِ. وَالنَّصَارَى يَرْعَمُونَ أَنَّهُ أَوَّلُ دِيرٍ لِلنَّصَارَى وَأَنَّ
الْمَسِيحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ يَأْوِي إِلَيْهِ وَمِنْهُ دُعا الْحَارِيَّينَ وَفِيهِ حَجَرٌ ذُكْرُوا أَنَّ الْمَسِيحَ كَانَ
يَجْلِسُ عَلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ الْمَوْضِعَ كَسَرَ قَطْعَةً مِنْ ذَلِكَ الْحَجَرِ تَبَرَّكَ بِهِ. وَعَمِلَ هَذَا الدِّيرُ
فِي الْمَوْضِعِ عَلَى اسْمِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وَلَا يَنْدَرُ نَوَاسٌ يَذْكُرُهُ

٢٠٢٣

بِبَحْكَ قَاصِدًا مَاسِرِ جَسَانٍ فَدَيْرَ التَّبَهَارِ فَدَيْرَ فِيقٍ

وَهِيَ قُصْيَدَةٌ طَرِيفَةٌ يَخَاطِبُ فِيهَا غَلَامًا نَصَارَىً كَانَ يَهْوَاهُ. أَوْلَاهَا

بِعَمُودِيَّةِ الدَّيْرِ الْعَتِيقِ
بِمُظْرِينِيَّةِ بَابِكَاثِيَقِ
بِمَا سَرِّجِسَ بِالْقَسِّ الشَّفِيقِ
بِبَلَادِ الْمَسِيحِ بِيَوْمِ دِجَعِ
بِإِشْمُونِيَّ وَسَلْعِ قَدَّمَشِهِمْ
بِهَارَتِ مَرِيمِ وَيَوْمِ فَضْعِ
وَبِالْقَرْبَانِ وَالْخَمْرِ الْعَتِيقِ
تَلَالًا حِينَ ثُومَضُ بِالْبُرُوقِ
بِبَحْكَ قَاصِدًا مَاسِرِ جَسَانٍ
وَقُسَانٍ أَتَوْهُ مِنْ سَحِيقِ

١ الأصل: (من هذه القصيدة أخذ مدررك ما أخذه وخطاب به معشوقة عمرًا) وردت في الهاشم.

تُقَامُ هَا الصَّلَاةُ لَدِي الْشَّرُوقِ
 حَوَارِيٌّ عَلَى دِينِ وَثِيقِ
 أَكَامُوا ثُمَّ فِي جُهْدٍ وَضِيقِ
 وَشَعْلَةَ النَّصَارَى فِي الظَّرِيقِ
 وَبَالْنَارِ فِي الْخَصْرِ الدَّقِيقِ
 رَحِمْتَ تَحْرِقَيْ وَجْفُوفَ رِيقِيْ
 يَمِينُ فَتَّى لِقَاتِلِهِ عَشِيقِ
 وَعِيدٍ مَعَ جَفَائِكَ وَالْعُقوفِ
 مِنَ الْإِسْلَامِ طُرَّاً بِالْمُرُوفِ

وَبِالْكَاقُوسِ فِي الْبَيْعِ الْلَّوَاعِي
 بِمَرِيمَ بِالْمَسِيحِ وَكُلُّ حَبْرٍ
 بِرُهْبَانِ الصَّوَاعِمِ فِي ذُرَاهَا
 بِالْجَيْلِ الشَّعَانِينَ الْمَفَدِيِّ
 وَبِالصَّلْبِ الْعَظِيمَةِ حِينَ شَبَدُو
 وَبِالْحُسْنِ الْمَرْكَبِ فِيكَ إِلَّا
 أَمَا وَالْقُرْبُ مِنْ بَعْدِ الشَّنَائِيِّ
 لَقَدْ أَصْبَحَتْ زِينَةً كُلَّ دِيرٍ
 وَأَذَنَ عَاسِقُوكَ إِلَى النَّصَارَى

١ الأصل: الْمُبَدَّأ. ٢ الأصل: لِقَاتِلِهِ.

دير الطور

والطور جبل مستدير مستطيل واسع الأسفل مستدق الأعلى لا يتعاقب بشيء من الجبال وليس إليه إلا طريق واحد وهو فيما بين طبرية والجرون مشرف على الغور ومنج للجرون وعين تبع بها والدير في نفس القلة وحوله كروم تُعصر فالشراب عندهم كثير. ويعرف أيضاً بدير القبلي لأن المسيح صلى الله عليه على رزعمهم تجلّى للاميذه بعد أن رفع حتى أراحت نفسه وعرفوه. والناس يقصدونه من كلّ موضع فيقيمون به ويسربون فيه فموقعه حسن وهو من المواقع الطيبة.
وللهلهل بن يموت بن المزمع فيه

٢٤٢

نَهَضْتُ إِلَى الطُّورِ فِي فِتْيَةٍ
كَهْمَكَ مِنْ فِتْيَةٍ أَنْقَوْا
تَلَادْهُمْ فِي سَيْلِ الظَّرَبِ
كُهُولُ الْعُقُولِ شَبَابُ الْعِلْمِ
فَأَيُّ رَمَانٍ هُمْ لَمْ يُسَرُّ
أَنْخَثُ الْرَّكَابَ عَلَى دَيْرِهِ
وَأَنْزَلْتُمْ وَسْطَ أَعْنَابِهِ
وَأَحْضَرْتُمْ قَمَرًا مُشَرِّقاً
لَحْثُ الْكُوُوسِ بِاهْرَاجِهِ
وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ حَدِيثٌ يَرُوقُ
مَا شِئْتَ مِنْ مَثَلٍ سَائِرٍ
فِيَا طِيبَ ذَا الْعَيْشِ لَوْلَمْ يَرَلِ

٢٤٢
وكان مهلهل من المطبوعين في الشعر والمنهمكين في الخلاعة واللعب والتطرح في مواطن اللهو والطرب ملارماً للحانات والديارات. ونخن نورد من شعره ما يليق بكتابنا هذا.

فمن شعره في وصف الرياض والمحث على الشرب قوله

بِحُسْنَنِ الْهَوَى وَهَبَتْ جَنَانِي فَدَعَ كَانِي يَا هَكَانِي أَلْعَادَلَانِ
طَرَبِي رَأَيْدُ فِي حَرَجَ مَنْ لَامِنِي فِي خَلَاعَةٍ أَوْ هَكَانِي
قَدْ أَبَانَتْ لِي الرِّياضُ مِنْ الْأَنْهَرِ غَرِيبَ الصَّنُوفِ وَالْأَلْوَانِ
وَبَدَا الشَّرِجَسُ الْمَفْحَثُ يَرْتُو مِنْ جُفُونِ الْكَافُورِ بِالْأَغْفَرِ اِزَانِ
كَعْيُونِ قَدْ حَدَّقَتْ بَاهِتَانِ نَاظِرَاتٍ إِلَى وُجُوهِ حَسَانِ
يَشَّيَّ رَبَرَجَدُ الْقَضِيبِ مِنْهُ طَرَبَا لِلْجَنِّ وَالْعَقِيَّانِ
وَقَفَ الْأَطْلُلُ فِي الْحَاجِرِ مِنْهَا ثُمَّ مَاسَتْ فَاهِلٌ مِثْلَ الْجَمَانِ
يَا عَلَامُ أَسْقِينِي فَقَدْ ضَحَكَ الْوَقْتُ وَقَدْ تَمَّ طَبُ هَذَا الْأَنْكَانِ
أَذْنِ مِيَّ الدَّنَانَ صُفَّ الْأَبَارِيقَ آسْخَثَ الْكَوْسَ صُفَّ الْقَنَانِ
بَادِرَ الْوَقْتَ وَأَعْتَنَمَ فُرَصَ الْعَيْشِ وَلَا تَكَدِّنَ فَالْعُمُرُ فَكَانِي

٤٤٢

ومن ملبع شعره في هذا المعنى قوله

رَمَكَانُ الْرِّيَاضِ رَمَكَانُ أَيْقُونِ
وَعَيْشُ الْخَلَاعَةِ عَيْشُ رَقِيقُونِ
فَمَنْ ذَا يَفِيقُ وَمَنْ يَسْقِيقُ
وَقَدْ جَمَعَ الْوَقْتَ حَالَيْهِما
أَيَا مَنْ هُوَ السُّولُ يَلِي وَالْكَنِيَّةُ
وَمَنْ هُوَ يَأْنِحُ مِنْهُ حَقِيقُونِ
أَدِرَ لَحْظَ عَيْنِكَ أَمْرَجَهُ فِي
مُرُوحَ الْرِّيَاضِ فَكُلُّ يَرْوَقُ
يَقَاعُ شِيرُ وَمَكَاءُ نَمِيرُ
وَرَوْضُ نَصِيرُ وَرَهْرُ أَيْقُونِ
لَهُ سُعَّ حُرَّرَتْ فَاسْتَنَارتْ
فَخَطُّ جَلِيلُ وَمَعْنَى دَقِيقُونِ

١ الأصل: نظير.

يُضَاحِكُ وَجْهَكَ وَجْهٌ عَشِيقٌ
إِذَا ضَاحَكَ الْأَرْهَرَ رَهْرُ الْأَرْضِ
بَهْكَارُ بَهْرَتِ بِهِ غَيْرَهُ
فَدَا عَكَاشِقُ وَجْلُ خَائِفُ
تَرُوقُكَ مِنْهُ عُيُونُ تَرُوقُ
مَدَاهِنُ يَحْمِلُنْ طَلَّ الْشَّدَى
تَضَعُّمُ مَنْ أَوْرَاقُهَا دُرَّهُ
يَمِيلُ النَّسِيمُ بِأَغْصَانِهَا
فَبَادِرْ بِنَا حَادِثَاتِ الْزَّمَانِ

وَلِلَّئِنْ مَشَمَكَ مِسْكُ فَتِيقُ
فَكِيفَ الْخَالَصُ وَإِنَّ الْطَّرِيقُ
عَلَى نَرْجِسٍ وَشَقِيقٍ شَفِيقُ
وَذَا تَجْلُ وَكَذَاكَ الْعَشِيقُ
بِالْحَاسِطَهَا وَخُدُودُ شَوْقُ
فَهَاهِيكَ تَبَرُّ وَهَذِي عَقِيقُ
وَيَشْرُ مِنْهُ الَّذِي لَا يُطِيقُ
بَعْضُ شَكَاوِي وَبَعْضُ مُفِيقُ
فَوْجَهُ الْحَوَادِثِ وَجْهٌ صَفِيقُ

٥٢٤

ومن ملحن شعره قوله

أَعَدْ شُرِبَكَ الْكَاسَ فِيهَا تُعِيدُ
وَحَثَ الصَّبُوحَ لِضَوءِ الصَّبَاحِ
أَمَا شَكْرُ الْفِعْلَ مِنْ يَوْمَنَا
سَمَاءٌ تَبَوُّدُ وَرَوْضٌ نَضِيدُ
وَنَدِيْفُوحُ وَرَاحُ تُرَبِّيْحُ
وَصَوْتُ يَشْوُقُ وَرَمَرُ رَفِيقُ
أَدَامَ اللَّهُ لَنَا عَيْشَنَا

وَسَاعِدْ فَقَدْ شَمَلَشَا السُّعُودُ
فَإِنَّ الْحَوَادِثَ عَنَّا رُوْقُودُ
وَبَنَهَى إِنَّا تَحْنُ فِيهِ خُلُودُ
وَرَهْرُ جَدِيدٌ وَغُصَنُ يَمِيدُ
وَسَاكِ مَلِحُ وَنَايٌ وَعُودُ
وَعَيْشُ ائِيقُ وَجَدَ سَعِيدُ
وَلَا نَالَ مِنَّا مُناهُ الْحَسُودُ

٦٢٤

وقال في هذا المعنى وتفنّي فيه

فَدَ قُدَّمَتْ لِلْسُّرُورِ أَنْقَالُ ^١
وَحَثَ شَهْرَ الْصَّيَامَ شَوَّالُ
وَأَقْبَلَ الْغَيْمُ لَإِسَاحُلَّا
مِسْكِيَةً مَا لَهُنَّ أَذِيَالُ

١ الأصل: اعمال: عواد: أنشقال.

وَدَبَّحَ الْأَرْضَ رَوْضُهَا فَغَدَا
وَاهْتَرَ عُودَ وَحَنَّ مِنْ طَرَبِ
وَبُوْعِدَ آنْجُوفُ مِنْ مُحَادِرِهِ
أَيَامُنَا فِي الْحَيَاةِ عَارِيَةٌ
فَاغْتَمَّوا فُرْصَةَ الزَّمَانِ وَلَا
يُشَرُّفُهَا وَالْأَرْضُ تَخْتَالُ

٧٠٢٤

ومما ملح فيه قوله

رَمَنُ كَالشَّبَابِ أَوْ كَالثَّرَاضِي
بَعْدَ طُولِ الصُّدُودِ وَالْأَعْرَاضِ
الْقَرَّ الغَيْثُ كُلَّ أَرْضٍ فَأَصْحَثَ
فِي وَلَادٍ بَعْضُهَا فِي مَخَاضِ
يَا غَلَامُ أَسْقِنِي فَقَدْ صَحَّكَ الْعَيْشُ إِلَيْنَا وَهَشَّ بَعْدَ أَقْبَابِ
وَأَرَى لُؤْلُؤَ الْحَبَابِ يُسَارِي لُؤْلُؤَ الظَّلِّ فَوَقَ رَهْرِ الرَّيَاضِ

٨٠٢٤

وقال أيضًا

أَسْتَوْدَعُ اللَّهَ مَنْ لَمْ يَرَوِ لِي ^١نَظَرِي
لِيَحْكِيهِ مِنْ حَرَكَاتِ الْفُصُنِ أَشْكَلُهَا
لِمَا مَضَى خَاطِرًا وَالرَّذْفُ يَجْذِبُهُ
وَمِنْ نَسِيمِ ذَكِيَّ الْمَسِكِ أَظْبَبُهُ

وقال أيضًا

وَبَدَعَ يَكِلُّ عَنْ وَصْفِهِ الْعَقْلُ لِإِفْرَاطِ حِيَزِ الْأَبْصَارِ
فَهُوَ كَالخَاطِرِ الَّذِي دَقَّ مَعْنَاهُ فَاصْحَحَ يَجُولُ فِي الْأَفْكَارِ

١ الأصل: روفي.

وقال أيضًا

كَانَ أَجْفَانَهُ مِنْ جَسْمٍ عَاسِقٍ
قَدْ رَكِبَ فَهِيَ فِي الْأَسْقَامِ تَخْكِيَهُ
وَفِي صُدُغِهِ عَقَرَ لِلْحَسْمِ لَادِعَةً
دَرِيَاقٌ لَدَعْتَهَا فِي الْرَّيْقِ مِنْ فِيهِ

٩٠٢٤

وقال في غلام نصرايني كان يحبه

شَدَ رُنَارَهُ عَلَى دِقَّةِ الْحَضْرِ وَشَدَ الْقُلُوبَ فِي الْرُّنَارِ
وَأَسَالَ الْأَصْدَاعَ فَوَقَ عِذَارٍ
أَنَا مِنْ عِشْقِهِ خَلِيْعُ الْعِذَارِ
وَبَدَثَ مِنْهُ طُرَّةً ثُدِّكُ الْأَنَا ضِرَ لَيْلًا يَلُوحُ فَوَقَ هَكَارِ

وهو أبو نصلة مهلهل بن يموم بن المرزع بن يموم بن موسى بن حكيم بن جبلة ١٠٠٢٤ العبيدي. وحكيم هو الشهيد بالبصرة الذي منع عاشة وطلحة والزبير الدخول إليها وحاربهم حتى قُتل. وكان من خبره ومقتله أنه لما تمكن طلحه والزبير من البصرة وقتلوا حرس بيت المال وهم سبعون رجلاً من غير ذنب ولا سبب وأخذدوا عثمان بن حنيف الأنصاري عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة ونتفوا لحيته وأرادوا قتله قام حكيم في قومه خطيباً فقال لهم يا قوم إن ابن حنيف دم مصون وأمانة موذاة والله لو لم يكن علينا أميراً لمنعناه لحق الجوار ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف والله الحق والولاية. إلا أن الحبيبي ميت والميت مسؤول. فإما أن تموتوه كاماً وإما أن تعيشوا أحراجاً. فأجابوه إلى ما دعاهم إليه.^١ وقال في ذلك أبو أممية الأصم وكان فارس القوم

مَعَاشِرَ عَبْدِ الْقَيْسِ مُؤْنَا عَلَى الَّتِي سَرُّ عَلَيْهَا وَأَحْدَرُوا سَبَبَةَ الْعَدْرِ
وَلَا تَرْهَبُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ وَمُؤْنَا كِرَاماً فَهُوَ أَشْرَفُ لِلذِّكْرِ

^١ كما في عواد؛ الأصل: دعاهم وقال.

وقدا حكيم في ثلاثة رجال من أصحابه إلى العدو وهو يشتم^١ عائشة فخرج طلحة
١٢٤ والنبي وحمل عائشة على الجمل وذلك اليوم يسمى يوم الجمل الأصغر . فقاتل حكيم قتالاً
شديداً وجعل يقول إنما تريدان أن تصيبوا من الدنيا حظاً . اللهم اقتلهمما بن قتلاً
ولا تطههما ماسألاً ولا تبلغهما ما أمتلاً ولا تقر لهم أبداً . وحمل عليهمما وهم في
عشرآلاف وهو في ثلاثة فهزهم حتى أدخلهم سكة . وشدّ رجل من الأزد على
حكيم وهو غافل فضربه على ساقه فقطع رجله فأخذ حكيم رجله فضرب بها الأردي
ضرعه ثم جاء فقتله وأنثأ يقول

يَا نَفْسُ لَا تُرَاعِي
إِنْ قُطِعَتْ كُرَاعِي
إِنْ مَعِي ذِرَاعِي

وقتل هو وثلاثة إخوة له وأخرجوا ربعة من البصرة وأجلوهم عنها .

١٢٤

ومن شعر بموت بن المزمع في ابنه مهلهل

مَهْلِهْلُ شَقَّنِي صَعْرُكَ
وَأَسْبَلَ دَمْعَيْ عَسْرُكَ
لَدَى أَكَافِ شَامِهِمْ
أَمُوتْ فِيْحَى أَثْرُكَ
وَلَوْ سُوْخَى فِيْ عُمَرِي
جَلَّ لَدِيهِمْ خَطْرُكَ
فَوَا أَسْفِي عَلَى لَمَةِ
يُطُولُ إِلَيْهِمْ سَفْرُكَ
وَإِنْ أَهْلِكَ فِيْنَ اللَّهَ دُونَ أَنْخَقَ لِي وَرْكَ

وشعره وشعر ابنه مهلهل كثير فيسائر فنون الشعر وإنما ذكرنا ما احتمله الكتاب
واقتضاه الشرط .

١ الأصل غير واضح .

دير البخت

وهذا الدير بدمشق على فرسخين منها وهو دير كير حسن وكان يسمى دير ميخائيل
فُيّ بهذا الاسم لجُنْت كانت لعبد الملك بن مروان مقية هناك فُعرف بها. وكان علي
بن عبد الله بن عباس بذلك الموضع جينية مقدارها أربعة أجرة فكان يخرج إليها
ويتنزه فيها أيام مقامه بدمشق.

ذكر علي بن محمد بن أبي سيف المدائني عن رجاله قال
اشترى عبد الله بن عباس بالمدينة أمّة صفراء ببربرية فولدت في منزل عبد الله
غلاماً سماه سليطاً ونشأ في منزله فرج جلداً طريقاً ثم شخص مع علي بن عبد الله
إلى الشام فلم يزل في خدمته حتى مات عبد الملك وولي الوليد ابنه فأظهر التحامل
علي علي بن عبد الله وعييه بحضورة الناس وسعي قوم من حسدة علي وأهل الغي
فأفسدوا سليطاً وزينوا له ادعاء ولادة عبد الله بن عباس وقالوا أنت شبيهه في جمالك
وهيئتك فاذعى سليطاً أنه ابن عبد الله بن عباس وخاصم علياً إلى الوليد. فأمر الوليد
برفعهما إلى قاضي دمشق فأحضر سليطاً ^{قوماً} شهدوا له على نسبه وأنهى ذلك إلى
الوليد فألحقه بعد الله بن العباس. فخاصم سليطاً في الميراث وطلب منازعته إياه
حتى قاربه علي وصيره في عياله فكان يقوم لعلي بمحاججه وأموره.

فخرج علي يوماً إلى جينيته بدير البخت وكان له فيها قوم يعلمون منهم أبوالدن من
ولد أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه فوّقعت بينهم وبين سليط مشاجرة.
فوثبوا عليه قتلواه بعد أن انصرف علي بن عبد الله إلى دمشق واحقرروا له حفنة
بالجينية فواروه فيها.

١ الأصل: سليطاً.

فاحتبس سليط على أمه فاستربت خرجت في طلبه فجبرت أنه دخل الجنينة ولم يخرج منها فأتت باب الوليد صارخةً فقال من تهمن قال علي بن عبد الله . فقال أحضرني من يشهد على دخوله معه الجنينة فأحضرت شهوداً على ذلك فأرسل إليه الوليد قوماً إلى الجنينة ينظرون هل يرون شيئاً أو أثراً . فأثاروا منها عدة مواضع فلم يروا شيئاً . فقال لهم أكار كان في الجنينة أمحرو عليها الماء حتى يتين لكم . فمحروها فانخفضت الموضع فأثاروه فاستخروا سليطاً .

٤٢٥ بعث الوليد إلى عليٍّ فعنقه وأغاظط له وقال والله لئن صحي عندي أني قتلت لأقتلتك به . خلف أنه ما قتله ولا أمر بقتله خبسه الوليد وكتب إلى أمراء الأمصار وقهائهم بقصته وما اتهم به وما شهد عليه . فكتب إليه عمر بن عبد العزيز من المدينة بأن يُضرب ويُلْبس جبة صوف ويطاف به . فدعا الوليد عليًّا بن عبد الله فضربه أحداً وستين سوطاً ويقال مائة ثم أطافه وأقامه في الشميس والبسه جبة شعر وصب على رأسه ماءً فبلغ ذلك عباد بن زياد وكان صديقاً لعليٍّ بن عبد الله وكان أثيراً عند الوليد بخاء فألقى ثيابه على عليٍّ ودخل إليه فكلمه فيه وقال يا أمير المؤمنين عليٌّ يتهم بالقتل عليٌّ أتي لله وأفضل من أن يقتل أحداً . فأمر به الوليد فسيّر إلى دهلك . فلما أخرج عن دمشق تكلّم فيه سليمان بن عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين ردّه واحتبسه بعث رسولًا خبسه حيث أدركه . وكان أدرك بالفرعاء خبس هناك في قبة منها حتى مات الوليد وهي سليمان . فرده فنزل الحميمة بالشراة من البلقاء . وباع عليٍّ بستانه بدير البخت من فاطمة بنت عبد الملك .

٥٢٥ قال وكان عبد الملك عند وفاته وصي الوليد ثلاثة نفر . قال له عليٌّ بن عبد الله في نسبة وقرابته واقطاعه إلينا أكرمه واعرف حقه وأخوك عبد الله أقره على مصر ولا تعزل عنها وعمك محمد بن مروان أقره على الجزيرة واعرف له موضعه . فأقول ما بدأ بأخيه عزله عن مصر بقرة بن شريك وعزل عممه عن الجزيرة وضرب عليه بالسوط مرتين .

١ كذا في الأصل . ٢ الأصل: بابع .

وكانت بنو العباس لما ولوا الأمر وجدوا في خزانة بني مروان كتاباً من سليمان بن عبد الملك إلى الوليد يسأله في علي بن عبد الله ويعرفه حقه فكان هذا الكتاب سبباً لترك سليمان في قبره بداعيق لم ينشوا عنه كما نبشوا عن إخوه وبني حرب.

وكان أبو مسلم صاحب دعوتهم يدعى أنه من ولد سليمان بن عبد الله بن عباس.

فكان مما قعده به أبو جعفر وادعية أئك ابن سليمان بن عبد الله بن عباس. فكان هذا أول ما بدأ به من خطابه ثم تعرّف إليه بذنبه فكتب إلى أبي العباس يقول إنَّ إبراهيم الإمام أقرَّ بما استودعه إياه محمد بن عليٍّ من نسبك ولادة عبد الله بن عباس إياك وإنَّك عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن عباس وأنَّه وعدك إذا آتَيْتَ الله هذه الدعوة وقتل الكفراً من بني أمية أن يزوجك أمَّ عليٍّ بنت عليٍّ بن عبد الله فما كنت قائلًا لرسول الله صلى الله عليه وآله المجهول النسب على من علوج إصبهان. قال يا أمير المؤمنين أخبرني بهذا أخوك إبراهيم بن محمد. وكان هذا القول جرى بينهما في خطاب طويل قبل قتله إياه.

دير زك

وَهَذَا الْدِيرُ بِالرَّقَةِ عَلَى الْفَرَاتِ وَعَنْ جَنْبِيهِ نَهْرُ الْبَلْيَنِ وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْدِيَارَاتِ مَوْقِعًا
وَأَنْزَهُهَا مَوْضِعًاً. وَكَانَ الْمَلْوَكُ إِذَا اجْتَازَتْ بِهِ نَزْلَتْهُ وَأَقَامَتْ فِيهِ لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ فِيهِ كُلُّ مَا
يَرِيدُونَهُ مِنْ عَمَارَتِهِ وَنَفَاسَةِ أَبْيَنِتِهِ وَطَيْبِ الْمَوْاضِعِ الَّتِي بِهِ. وَزُرْهُهُ ظَاهِرٌ لِأَنَّهُ لَهُ بَقَايَا
عَجِيَّةٍ. وَبِنَاحِيَتِهِ مِنَ الْغَرْلَانِ وَالْأَرَابِ وَمَا شَكَلَ ذَلِكَ مَمَّا يَصْطَادُ بِالْجَارِ مِنْ طَيْرِ
الْمَاءِ وَالْحَبَارِيِّ وَأَصْنَافِ الطَّيْرِ. وَفِي الْفَرَاتِ بَيْنِ يَدِيهِ مَطَاحِ الشَّبَاكِ لِلسمَكِ. فَهُوَ
جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يَرِيدُ الْمَلْوَكُ وَالسُّوقَةُ. وَلَيْسَ يَخْلُو مِنَ الْمَطَرِينِ لِطَيْبِهِ سِيَّمَا أَيَّامِ الرَّبِيعِ
إِنَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَنْظَرًا عَجِيَّاً.

٢٢٦

لِلصُّورِيِّ فِيهِ

أَرَاقَ سِجَنَ كَالْهُ بِالرَّقَقَيْنِ
جَسُوْيٌّ صَنُوبُ الْجَنَانِيْنِ
وَأَهَدَى لِلرَّصِيفِ رَصِيفُ مُنْزِنِ
يُعَاوِدُهُ طَرِيرُ الْطَّرَيَيْنِ
مَعَاهِدُ بَلْ مَالِفُ بَاقِيَاتُ
يُضَاحِكُهُ كَالْفَرَاثُ بِكُلِّ خُ
يَّا كَانَ الْأَرْضُ مِنْ صُفَرَ وَحُمُرٍ
كَانَ عِنَاقَ نَهَرِيِّ دِيرِ زَكِّيِّ
وَقَثَ ذَلِكَ الْبَلْيَنَ يَدُ الْلَّيَالِيِّ
يُعَاوِدُهُ طَرِيرُ الْطَّرَيَيْنِ
أَقَامَ كَالسَّوَارِيْنَ أَسْتِدَارًا
عَلَى كَتِيفَيْهِ أَوْ كَالدُّمْجَيْرِ
أَيَا مُسْتَنْزَهِيِّ فِي دِيرِ زَكِّيِّ
لَمْ تَكُنْ نُرْهَتِيِّ بِكَ ثُرْهَتِيِّ
أَرْدَدُ بَيْنَ وَرْدَ نَدَاكَ طَرْفَا
يُرَدَّدُ بَيْنَ وَرْدَ الْوَجَنَشِيِّ
وَمُبَسِّمٌ كَظَمَيِّ الْقَوَانِ
جَلَاهُ الْطَّلْلُ بَيْنَ شَقِيقَيْنِ

١ الأصل: نهر.

وَيَا سُفْنَ الْفُرَاتِ بِحَيْثُ تَهُوَى
 تُطَارِدُ مُقْبَلَاتٍ مُدْبِراتٍ
 تُرَانَا وَاصِلِيكَ كَمَا عَهَدْنَا
 أَلَا يَا صَاحِبَيَّ خُدَّا عِنَايَىٰ
 لَقَدْ غَصِبَتِي الْخَمْسُونَ فَشَكَىٰ
 وَكَانَ اللَّهُو عِنْدِي كَابِنَ أَمِيٰ

هَوَىٰ الظَّيْرِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ
 عَلَى عَجَلٍ تَطَارِدُ عَسْكَرَيْنِ
 وَصَالَ لَا نَغْصُهُ بَيْنِ
 هَوَايَ سَلِيمَانَ مِنْ صَاحِبِيْنِ
 وَكَامَتْ بَيْنَ لَذَّاتِي وَبَيْنِ
 فَصِرْنَا بَعْدَ ذَاكَ لِعَلَّتِيْنِ

ومن ملوك شعره في وصف الرقين

٣٢٦

أَمَّا الْرِّيَاضُ فَقَدْ بَدَتْ الْوَانِهَا
 رَقَّتْ مَعَانِيهَا وَرَقَّ نَسِيمُهَا
 نُظِمَتْ قَلَائِدُ رَهْرَهَا جَوَاهِيرِ
 هَذَا خُرَامَاهَا وَذَا حَوَادِهَا
 لَوْأَنَّ غُدْرَانَ السَّحَابَ تَوَاصَلَتْ
 بَنِيَ عَلَيْهَا عَيْنُ كُلَّ سَحَابَةٍ
 مُسْقَادَةً طَوْعَ الْجَنُوبِ إِذَا بَدَتْ
 وَاهَا لِإِفْقَةِ الْجَنُوبِ مَحَلَّةً
 يَا بَلْدَةً مَا زَالَ يَغْطِلُمُ قَدْرُهَا
 أَمَّا الْفُرَاتُ فَإِنَّهُ ضَحَضَاحُهَا
 وَكَانَ أَرْمَانَ الْهَوَى أَرْمَانِهَا
 مَهْمَانَصِدْغُرَلَانِهَا يَوْمًا فَقَدْ
 حَثَ الْكُوُوسَ فَإِنَّهُ دَاهِنَهَا
 إِنَّ الْرِّيَاضَ يَجْلُ قَدْرُ شُهُورِهِ
 صَاغَتْ فُؤَنَ حُلَيمَانَهَا أَفَانِهَا
 وَبَدَتْ مَحَاسِنَهَا وَطَابَ زَمَانِهَا
 نُظِمَتْ رُمُرُدُهَا إِلَى عِقَانِهَا
 هَذَا شَقَاقِهَا وَذَا حَوَادِهَا
 حُسْنَا إِذَا لَتَوَاصَلَتْ عُدْرَانِهَا
 مَا أَنَّ مَلَّ مِنْ الْبَكَا أَجْفَانِهَا
 فَكَانَمَا يَيدِ الْجَنُوبِ عِنَانِهَا
 حَسْنَتْ بِهَا أَنْكَارُهَا وَجِنَانِهَا
 فِي كُلِّ تَاحِيَةٍ وَيَعْظُمُ شَانِهَا
 أَمَّا الْهَمَنِيُّ فَإِنَّهُ بُسْتَانِهَا
 وَكَانَ أَرْمَانَ الْهَوَى أَرْمَانِهَا
 ظَلَّتْ تَصِيدُ قُلُوبَنَا غَرَلَانِهَا
 وَصَلَ الْرِّيَاضَ فَإِنَّهُ دَاهِنَهَا
 لَكِنَّ أَجَلُ شَهَوَرِهِ نِيسَانِهَا

١ الأصل: جواهر. ٢ الأصل: ضلّ.

إِنَّ الْزَّمَانَ غَدَابَوْجِهِ كَالْجِلِ
أَيَّامَ أَسْبَحَ فَضَلَّ أَيَّامَ الْصَّبَا
بِالرَّقَّةِ الْبَيْضَاءِ إِذْ تَرْعَى الْمَهَا
أَغْدُو عَلَى الْمَذَادِ غَيْرِ مُرَاقِبٍ
فِي فِتْيَةٍ خَلَعُوا أَعْشَثَهُمْ فَمَا
نَارَ عَتَّهُمْ كَاسًا كَأَنَّ نَسِيمَهَا
شَقَّتْ قِنَاعَ الظَّلَلِ لِمَا عَادَرَتْ
صَبَغَتْ سَوَادَ دُجَاهَ حُمَرَةَ لَوْنَهَا
وَلَقَدْ أَفْوَلَ لِصَاحِبِيَ الْأَصْلَا
إِنَّ الْفَرَاتَ هُوَ الرَّحِيقُ وَإِنَّا

مِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَرَاهُ طَلِيقًا
فِي ظِلِّ عَيْشٍ لَا يَرَأُلُ أَيْقَا
حَقِّي وَلَا أَرْعَي لَهُنَّ حُقُوقًا
مَدْعًا وَلَا مُتَحَفِّظٍ تَعْوِيقًا
يَأْلُونَ فِي طُرُقِ الْأَسَدَادِ مُرْوِقًا
مَسْكٌ تَضَوَّعَ فِي الْأَنَاءِ فَيَقِنَا
كُنُّ الْنَّدِيمِ قِنَاعَهَا مَسْقُوفًا
فَكَانَهَا سَبَّحَ أَعِيدَ عَقِيقًا
لِي بِالصَّبُوحِ عَلَى الْفَرَاتِ غَبُوقًا
تَتَمَاطِيَانَ عَلَى آرَاحِيقِ رَحِيقًا

قَدْ أَخْدَقَ الْوَرْدُ بِالشَّقِيقِ
كَأَنَّهُ حَوْلَهُ وُجُوهٌ
فَأَشَرَّبَ عَلَى ذَا الشَّقِيقِ كَاسًا

خَلَالَ بُسْتَانِكَ الْأَيْقَنِ
مُسْتَشْرِفًا إِلَى حَرِيقَ
تَشَرَّبَ عَقِيقًا عَلَى عَقِيقَ

وقال أيضاً

أَنَّ شَوَّقًا وَلِلْحَبَّ أَيْنُ
آهِ مِنْ رَفْرَةٍ يُشَهِّدُكَ الشَّوَّ
كَيْفَ يَسْلُو الشَّيْئِيْ أَمْ كَيْفَ يَسْئِي الْصَّبَّ أَمْ كَيْفَ يَذْهَلُ الْحَرُونُ

حِينَ فَاضَتْ عَلَى الْحَدُودِ الْجُفُونُ
قُوْدَاءِ بَيْنَ الْضُّلُوعِ دَفِينُ

١ الأصل: مِسْكَا.

لَا تَمْنِي بِالرَّقَبَيْنِ وَدَعْنِي إِنَّ قَلْبِي بِالرَّقَبَيْنِ رَهِيْنُ
 يَا نَدِيْيِي أَمَا تَجِنَّ إِلَى الْقَضْفِ فَهَذَا أَوَانٌ يَنْدُو الْحَنِيْنُ
 مَا تَرَى جَانِبَ الْمَصَلَّى وَقَدْ أَشْرَقَ مِنْهُ ظُلْمُورُهُ وَالْبُطُونُ
 الْقُوَّانُ وَسَوْسَنُ وَشَقِيقُ وَهَكَارُ يُجْنِيَ وَادْرِيُونُ
 أَسْرِجَتْ فِي رِيَاضِهِ سُرُجُ الْقَطْرِ وَطَابَتْ سُهُولُهُ وَالْخُزُونُ
 إِنَّ آذَارَ لَمْ يَذْرَ تَحْتَ بَطْنِ الْأَرْضِ شَيْئاً أَكَهُ كَانُونُ
 وَبَدَا الْتَّرْجِسُ الْبَدِيعُ كَامِثاً لِعُيُونِ تَرْبُو إِلَيْهِ كَا عِيُونُ
 مَا تَرَى جَانِبَ الْهَيَّ وَقَدْ أَشْرَقَ فِيهِ الْخَيْرِيُّ وَالشَّرِيْنُ
 صَاحِ فِيهِ الْهَرَارُ نَاحِ بِهِ الْقُمْرِيُّ غَنِيٌّ فِي جَوَهِ الشَّفَنِيْنُ
 فَلِهَذَا قِصُومُهُ وَخَرَاماً هُ وَذَا الْوَرْدِ فِيهِ وَالْيَا سَمِيْنُ
 وَكَانَ الْفُرَاتُ يَنْهُمَا عَيْنُ بُجَيْنُ يَعُومُ فِيهَا السَّفَيْنُ
 كَبُطُونُ الْحَيَّاتِ أَوْ كَظُهُورِ الْمَشْرِفَاتِ أَخْلَاصَتِهَا الْقَيْوُنُ
 مَا أَتَى الْكَاسِ مِثْلُ ذَا الْعَامِ لَا وَلَا جَاءَ مِثْلُ ذَا الْحَينِ حِيْنُ
 بَلْ دُشْرِقُ الْأَزَاهِرِ مُوعِ وَسَحَابُ جَمُ الْعَرَالِ هَتُونُ
 تَسْلَاقِ الْلِّيَاهُ مَكَاءِ مِنْ الْمَرْ
 نِ وَمَاءِ بَجَري وَمَاءِ مَعِيْنُ
 كَمْ غَدَا نَحْوَ دَيْرِ زَيْنِ مِنْ قَلْبِ صَحِيجٍ فَرَاحَ وَهُوَ حَزِينُ
 لَوْ عَلَى الدَّيْرِ بَجَتْ يَوْمًا لَأَهْشَكَ فُسُونَ وَأَطْرَبَتَكَ فُسُونُ
 لَأَيِّ فِي صَبَابِي قَذْكَ مَهَلًا لَا تَمْنِي إِنَّ الْمَلَامَ جُنُونُ
 كَمْ غَرَالٌ فِي كَهَهِ الْوَرْدِ مَبْنُودُ لُ وَفِي الْخَدَّ مِنْهُ وَرَدُّ مَصْوُنُ
 فَإِذَا مَا أَجَلْتُ طَرِيقَ فِي خَدَّ دِيَهِ جَالَتِ فِي الْقَلْبِ مِنِي الظُّنُونُ
 لَا سَعِيدُ مَنْ لَيْسَ يُسَعِدُهُ جَدَ دُسَعِيدُ وَطَائِرُ مَيْمُونُ
 وَلِسَانٌ مِثْلَ الْحُسَامَ وَقَلْبٌ صَادِقٌ عَرْمُهُ وَرَأِيُّ رَصِيْنُ

وقال أيضاً

٧٤٢٦

مَنْ حَكَمَ بَيْنَ الرِّمَانِ وَبَيْنِي
 فَأَمَا وَرَبِيعَ الْدَّيْنِ تَابَدَا^١
 لَا يُجْتَهُ بَعْدَهُمَا عَلَى رَبَعِينِ
 مَا لِي نَاهِيَ عَنِ الْهَنَاءِ وَكُثُرَ لَا
 أَسْطِيعُ أَنَّا يَعْنَهُ طَرْفَةَ عَيْنِ
 يَا دَيْرَ زَكَرِيَّ كُثُرَ أَحْسَنَ مَا لَفِ^٢
 مِنَ الرِّمَانِ بِهِ عَلَى إِلْفَيْنِ
 وَبِنَفْسِيَ الْمَرْجُ الَّذِي أَبْسَمَتْ لَنَا
 جَنَابَتُهُ عَنْ عَسْجِدِ وَبُحَيْزِ
 لَوْحَمَلَ التَّقَلَانِ مَا حَمَلَتْ مِنْ
 شَوْقٍ لَا تَقْلِ حَمَلُهُ الْشَّقَائِنِ

وقال أيضاً

٨٠٢٦

إِلَى الرَّقَّيْنِ أَطْوَيْ قَرَى الْيَدِ بِمَطْوَيَةِ الْقَرَاءِ مَذْعَارِ
 حَبَّدَا الْكَخُ حَبَّدَا الْعُمُرَ لَا بَلْ حَبَّدَا الْدَّيْرَ حَبَّدَا السَّرْوَاتَانِ
 قَدْ تَجَلَّ الرَّئِسُ فِي حُلَلِ الْأَزْهَرِ وَصَاغَ الْحَمَّ حَلِيَ الْأَغْنَافِ
 أَبْسَمَهَا يَدُ الرَّئِسِ مِنْ الْأَلْوَانِ بُرْدًا كَالْأَحْمَى الْيَمَانِيِّ
 يَا خَلِيلَيْ هُشَمَا عَلَلَانِي عَاطِيَانِي الصَّهَباءِ لَا تَدَرَانِي
 أَبْعِدَا الْمَكَاءَ أَبْمَدَا الْمَاءَ قُومًا أَدِينَا أَدِينَا بَنَاتِ الدَّنَانِ
 سَقِيَانِي مِنْ كُلِّ لَوْنِ مِنَ الْأَرَاحَ عَلَى كُلِّ هَذِهِ الْأَلْوَانِ
 أَخْضَرَ الْلَّوْنَ كَالرَّمُرُدِ فِي أَحْمَرَ صَافِي الْأَدِيمِ كَالْأَرْجُوانِ
 وَاقَاهُ كَاللُّؤْلُؤِ الْرَّطْبِ قَدْ فُصُولَ بَيْنَ الْعَقِيقِ بِالْمَرْجَانِ
 وَهَمَارِ مِثْلَ الدَّنَانِيِّ رَحْفُو فِي بَرْهَرِ الْحَيَّيِّ وَالْحَوَادِنِ
 وَكَانَ النُّعْمَانَ حَلَّ عَلَيْهَا حُلَلًا مِنْ شَقَائِقِ الْسَّعَانِ

١ الأصل : مألفاً.

وللرشيد يذكر هذا الدير

٩٠٢٦

سَلَامٌ عَلَى الشَّانِحِ الْمُغْنِتِبِ
غَرَالٌ مَرَاقِعُهُ بِالْبَلِيعِ
أَيَا مَنْ أَعْكَانَ عَلَى نَفْسِهِ
سَاسَةُ وَالسَّرُّ مِنْ سِيمَيِّيِّ

تحيَّةً صَبَّ بِهِ مُكْثِيْبَ
إِلَى دِيرِ زَكَى قَصْرِ الْخَشَبِ
بِخَلِيفِهِ طَائِعاً مَنْ أَحَبَّ
هُوَى مَنْ أَحَبَّ بِمَنْ لَا أَحَبَّ

وكان عند مسيره من الرافقة إلى بغداد خلف بها ماردة أم أبي إسحاق المعتصم
١٠٠٢٦ فاشتاقها فكتب إليها بهذه الأيات قال فلما ورد كتاب الرشيد عليها قالت بعض من
يقول الشعر أجبه فقال عن لسانها

أَتَانِي كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي
أَتَرْعَمُ أَنَّكَ لِي عَاشِقٌ
وَلَوْ كَانَ هَذَا كَذَّا لَمْ تَكُنْ
وَأَنْتَ بِيَقْدَادَ تَرْعَى إِلَيْهَا
وَلَوْلَا أَتَقْكَأُوكَ يَا سَيِّدِي
وَفِيهِ مَعَ الْفَضْلِ كُلُّ الْجَبَّ
وَأَنْتَكَ بِي مُسْتَهَمٌ وَصَبَّ
لِتَشْرِكِي هُنْرَةً لِلْكُرَبَ
رِيَاضُ الْلَّذَادَةِ مَعَ مَنْ تُحِبُّ
لَوْافِتَكَ بِي نَاجِيَاتُ الْجُبَّ

قال فلماقرأ كتابها وجه يحدرها من وقتها إليه.
١١٠٢٦ وذكر صالح التركي وكان المعتصم في حجره قال عشق الرشيد ماردة عشقاً مبرحاً
فقال فيها

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَحَاسِنِهَا
وَسَنَكَلَ مِنْكَ بِحَدَّ نَاظِرِهَا
لَاقَ مَحَاسِنَ وَجْهِهَا شُغْلُ
فِي قَلْبِهَا حَلْمٌ يُسَايِدُهَا
وَلَوْجِهِهَا مِنْ عَيْنِهَا كُلُّ
فِلِكُلٌّ مَوْضِعٌ نَظَرَةٍ تَبْلُ

مَا لَا يَنْكَلُ بِحَدَّ نَاظِرِهَا
شَغَلَتَكَ وَهِيَ لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ
عَنْ ذِي الْهَوَى وَلَطَرْفَهَا جَهْلٌ
وَلَوْجِهِهَا مِنْ وَجْهِهَا قَرَرُ

وللرشيد شعر صالح وأبيات مفردات كان يتمثل بها وأكثر شعره في جواريه ١٢٠٢٦
وعشقه لهن. فمن قوله

مَلِكُتْ مَنْ أَصْبَحَ لِي مَالِكًا
لَكِنْ حُكْمَ الْحُبُّ لِي لَا زِمْرَةٌ
أَخْبَثَهُ مِنْ بَيْنِ هَذَا الْوَرَى
وَهُوَ بِحُبِّي خَرِيرٌ عَالَمٌ
قَبِيحٌ فَعْلٌ حَسَنٌ وَجْهٌ
أَعْذَرٌ فِي أَمْثَالِهِ الْلَّائِمُ
أَحْسَنُ مَنْ أَبْصَرَهُ مُبْصَرٌ
لَوْاَنَهُ فِي حُسْنِهِ رَاحِمٌ

وله

صَيَرَنِي الْحُبُّ إِلَى مَا تَرَى أَنْهَلَ جَسْنِي وَلِقَلِيلٍ كَوَى
قَدْ كَبَ الْحُبُّ عَلَى جَبَهِي هَذَا قِتْلٌ فِي سَيِّلِ الْهَوَى

قال وكان الرشيد قد أشخص هيلانة جارية أخيه الهادي وأحبها حباً شديداً ١٢٠٢٦
خلفها في بعض أسفاره ببغداد ثم اشتاقها ف فقال هذه الآيات

فَارْدَدَ عَلَيْهِ مَعَ الشَّمَالِ سَلَامَةُ
وَتَدَأْلًا بِهَا كُمَا^١ الْأَيَّامَ
سَتَقِيْضُ عَيْنَاهُ الْدُّمُوعَ^٢ سِجَامَةُ
إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ أَوْ تَحْوُطُ دِمَامَةِ

١٤٠٢٦

ومن شعره في جواريه الثلاث

١ الأصل: وَيَدَا أَوْلَا تَهْوَى كَمَا. ٢ الأصل: منه للدموع.

إِنِّي وَرَعَتُ حُبِّي طَائِهَا
 يَتَارَعْنَ الْهَوَى مِنْ ذِي هُوَ^١
 آمِنَاتٍ عُقْدَةً لَا شَكِّ
 وَإِذَا شَجَوْا تَ رَأَيْتَ رَأْيَرَةً
 كَشَفَتْ عَيْنَ شَجَوْ كُلَّ بَثَ

قال وكان مولد الرشيد بالري أول سنة ثمان وأربعين ومائة وولد الفضل بن يحيى ١٥٢٦ قبله بسبعة أيام فأرضعته أم الفضل وبهيج له بالخلافة ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة وولد في هذه الليلة عبد الله المأمون من جارية سنتي مراجلا . في هذه الليلة مات خليفة وولي خليفة وولد خليفة وهذا من الاتفاقيات الطريفة .
 وتوفي الرشيد بقرية ^١ تدعى سنداباً ذا من عمل طوس وله خمس وأربعون سنة يوم السبت لأربع خلون من جمادى الآخرة ^٢ سنة ثلاثة وستين ومائة وكانت خلافته ثلاثة وعشرين سنة وشهراً ونصفاً .

^١ كما في عواد؛ الأصل: غرفة . ^٢ الأصل: الآخر . ^٣ الأصل: ونصف .

دير مار سرجيس

وهذا الدير بعانته وعانته مدينة على الفرات عامرة وبها هذا الدير وهو كير حسن كثیر
الرهان والناس يقصدونه المتزهء فيه وهناك كروم ومعاصر وبساتين وشجر والموضع في
نهاية الحسن جامع لما يحتاج إليه أهل النطرب والتفرج. ولابن أبي طالب المأهوف
الواسطيٌ فيه

رُبَّ صَهْبَاءِ مِنْ بَنَاتِ الْمَجْوِسِ
قَهْوَةٌ بِالْلَّيْلَةِ خَسَدَرِيسِ
قَدْ تَحَسَّتِهَا بِسَكَايٍ وَعُودٍ
وَغَرَّالٍ مُكَحَّلٍ ذِي دَلَالٍ
دِيْنُهُ مُعْلِنٌ لِدِينِ النَّصَارَىِ
قَدْ خَلَوْنَا بِظَبْتِيَةِ نَجْتَلِيَهُ
يَمِّ وَرِدٍ وَنَرْجِسٍ وَبَكَارٍ
وَسَطْ بُسْتَانٍ دَيْرٌ مَا سَرْجِيسِ

وبهذا الموضع قبر أم الفضل بن يحيى بن خالد بن برك و كان الرشيد لما شخص
من الرقة إلى بغداد يريد للج شخص معه البرامكة ف توفيت أم الفضل وكانت أرضعت
الرشيد ببن الفضل وكان يحبها ويجلها. وكان مولد الفضل قبل مولد الرشيد بسبعة
أيام فأمر الرشيد فاسترثت لها عشرة أجوبة من بستان عند وادي القناطر على
شاطئ الفرات فدفنت هناك و بنيت عليها قبة وهي تعرف بقبة البرامكة.

١ الأصل: ما. ٢ الأصل: مكيل. ٣ كما في الأصل.

دير ابن مزغوق

وهذا الدير بالحيرة في وسطها وهو دير كثيـر الرهـان حـسن العـمارـة أحد المـتـزـهـات
١٠٢٨ المـقصـودـة والأـمـاـنـ المـوـصـوفـة . ولـمـدـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ الثـرـواـيـيـ فـيـ

هـلـ لـكـ فـيـ دـيـرـ مـارـ قـيـوـنـ وـفـيـ
وـسـأـلـ الـأـرـضـ عـنـ مـنـاسـبـهـاـ
وـعـهـدـهـاـ بـالـرـيـعـ وـالـطـرـ
يـاـ لـكـ طـيـبـاـ وـشـمـ رـائـحـةـ
كـالـسـكـ يـاـقـيـ سـخـنـةـ السـحـرـ
فيـ شـرـبـ خـمـرـ وـسـمـ مـحـسـنـةـ
تـلـمـيـكـ بـيـنـ الـلـسـانـ وـالـوـتـرـ
فـكـلـ سـاقـ كـاـنـهـ قـرـ
لـمـ يـخـلـقـ اللـهـ مـشـلـهـ بـشـرـ
فـهـوـ حـيـاـ وـمـشـيـةـ الـبـشـرـ
فـيـ صـورـ إـكـلـتـ إـذـاـ طـلـعـتـ
دـيـنـ لـهـ كـاـ يـالـسـجـودـ فـيـ الصـورـ

والـثـرـواـيـيـ هـذـاـ كـوـفـيـ مـنـ الـمـطـبـوـعـينـ فـيـ الـشـعـرـ وـالـنـهـمـكـيـنـ فـيـ الـبـطـالـاتـ وـالـمـطـرـحـينـ
٢٠٢٨ فـيـ الـحـانـاتـ وـالـمـدـمـنـيـنـ لـشـرـبـ الـخـمـرـ وـالـمـغـرـقـيـنـ فـيـ اـتـيـاعـ الـمـرـدـ لـاـ يـعـرـفـ شـيـئـاـ غـيرـ ذـلـكـ
وـلـاـ يـوـجـدـ فـيـ شـيـءـ مـنـ أـمـرـ الدـنـيـاـ إـلـاـ فـيـهـ . وـكـانـ آخـرـ أـمـرـهـ أـصـيـبـ فـيـ حـانـةـ خـمـارـ
بـيـنـ زـيـقـ خـمـرـ وـهـوـ مـيـتـ . وـمـنـ مـلـيـعـ شـعـرـهـ قـوـلـهـ

أـتـاكـ عـلـىـ الدـخـولـ الـهـرـجـانـ تـشـيـعـهـ الـعـازـفـ وـالـقـيـانـ
وـرـفـتـ نـحـوكـ الـصـهـنـبـاءـ صـرـفـاـ تـسـيـرـ بـهـاـ وـتـحـمـلـهـ الـدـنـانـ
لـهـذـاـ الـلـيـومـ فـضـلـ مـسـتـبـيـنـ عـلـىـ الـأـيـامـ تـغـرـفـهـ وـشـكـانـ
إـذـاـ وـقـرـتـهـ عـظـمـتـ كـسـرـيـ وـأـكـمـكـ الـشـرـيفـ الـهـرـمـنـانـ

١ كـداـ فـيـ عـوـادـ؛ الأـصـلـ: فـابـورـ . ٢ الأـصـلـ: وـمـتـهـ . ٣ الأـصـلـ: لـاـ .

وأَصْفَاكَ الْهَوَى بِهَرَامٍ جُورٍ
وَسَارَعَ فِي رِضَاكَ الْفِرَّارَانُ
لِتَعْظِيمِ الَّذِي قَدْ عَظَمُوهُ
وَدَانَ بِهِ أَوْلَاهُمْ وَدَانُوا
فَدَعَ عَنْكَ الْخِلَافَ وَلَا وَحْيٌ
وَسَوْفَ أَجِئُوكُمْ وَغَمَّ وَالآنُ
خِلَافُكَ لَا يَجُوزُ عَلَى الْشَّدَائِي
وَلَا يَرْضَى بِذَكَرِ الْمَرْجَانُ

وقال أيضاً

شَيْهَا بِالْمَوْدَةِ وَالْوَعِيدِ
تُقْلِبُ طَرْفَ عَيْنِكَ مِنْ بَعِيدٍ
وَفِعْلُكَ لِي مُقْرَرٌ بِالْجُودِ
قِرْ بِطَرْفِ عَيْنِكَ لِي بِوَصْلٍ
هَوَى بَيْنَ التَّعْطُفِ وَالصُّدُودِ
تُشَكُّكِي وَاعْلَمُ أَنَّ هَذَا
وَلَا يَنْلِي عَلَى مَرَّ الْعُهُودِ
هَوَاكَ هَوَى تَجَدُّدُهُ الْلَّيْلِي

ومن شعره أيضاً

قَدْ هَبَ يَشْرُبَا وَالدَّبُكُ لَمْ يَصِحِّ
كَرَّ الشَّرَابُ عَلَى نَشَوانَ مُصْطَبِي
مِنَ الْبُجُومِ وَضَوْءِ الْصِّبْنِ لَمْ يَصِحِّ
وَاللَّيْلُ فِي عَسْكَرِ جَمَّ بَوَارِقُهُ
صَهْبَاءُ تَقْتُلُ هُمَّ النَّفَسِ بِالْفَرْجِ
وَالْعِيشُ لَا عَيْشٌ إِلَّا أَنْ تُبَارِكَهَا
حَتَّى يَظَلَّ الَّذِي قَدْ بَاتَ يَشْرُبَا

دير سرجس

وهذا الدير كان بطينباز وهو بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق وبينها ١٠٢٩ وبين القادسية ميل . وكانت محفورة بالكروم والشجر والخانات وكانت إحدى البقاع المقصودة والزه الموصوفة وقد خربت وبطلت وعفت آثارها وتهدمت آبارها ولم يبق من جميع رسومها إلا باب خراب وجسر على قارعة الطريق يسميه الناس معصرة أبي نواس . ولأبي نواس فيها

قالوا شَكَّ بَعْدَ لَجْحٍ قَلْتُ لَهُمْ
أَخْشَى قُضَيْبَ كَرْمٍ أَنْ يُنَازِعَنِي
رَأَسَ الْخَطَامِ وَإِنْ أَسْرَعْتُ إِغْذَاذًا
فِيَانْ سَلَمْتُ وَمَا نَقْسِي عَلَى ثَقَةٍ
مِنَ السَّلَامَةِ لَمْ أَسْلَمْ بِعَذَاذًا
مَا أَبْعَدَ الرُّشْدَ مِنْ قَلْبٍ تَضَمَّنَهُ
قُطْرَبِلُ فَقَرَرَى بِنَا فَكَلَوْا ذَا

وكان هذا الدير من أحسن الديارات عمارة وأنزهها موضعًا . ولحسين بن ٢٠٢٩ الصحاك فيه

أَنْوَيَ حَيَّ عَلَى الصَّبُوحِ صَبَاحًا
هُبَّا وَلَا تَعْدَا النَّدِيمَ رَوَاحًا
مَهْمَماً أَقَامَ عَلَى الصَّبُوحِ مُسَاعِدًا
وَعَلَى الْغَبُوقِ فَلَنْ أَرِيدَ بَرَاحًا
عُودًا لِعَاذِنَا صَبَحَةَ أَمْسِنَا
فَالْعَوْدُ أَحَدُ مُغْتَدِي وَمَرَاحًا
هَلْ تَعْذُرَانِ بِدِيرِ سَرْجَسْ صَاحِبًا
مَا الصَّمَوْأَوْ تَرَيَانِ ذَاكَ جُنَاحًا
إِنِّي أُعِيدُكُمَا بِالْفَةِ يَيْتَنَا
وَعَجَّ قَوَاقِزَنَا وَقَدَّسَ قَسَنَا
أَنْ شَرَبَا بِقُرْيَ الْفُرَاتِ قَرَاحًا
هَرَجَّا وَأَصْبَنَا الدَّجَاجَ صِيَاحًا

١ الأصل: أحد.

للحاشرية فضلها فتجلا
 إن كثما تريان ذاك صلاحا
 يا رب ملئيس الجفون بومة
 نبهته بالراح حين أراها
 فكان ريا الكناس حين ندبته
 للكناس أنهض في حشاد جناها
 فأجاب يعترفي فضول ردائه
 عجلان يخلط بالعشار مراها
 في كل ملهمية وبخت وباحا
 فهشتك سر مجونة بهشي
 ما زال يضحك بي وضحكني به

ديارات الأساقف

هذه الديارات بالبحف بظاهر الكوفة وهو أول الحيرة وهي قباب وقصور تسمى ديارات الأساقف وبخضتها نهر يعرف بالغدير عن يمينه قصر أبي الخصيب مولى أبي جعفر وعن شمالي السدير وبين ذلك الديارات. وقصر أبي الخصيب هذا أحد متزهات الدنيا وهو مشرف على البحف وعلى ذلك الظهر ويصعد من أسفله على درجة طولها خمسون مرقة إلى سطح حسن و مجلس. فيشرف الناظر على البحف والحريرة من ذلك الموضع. ثم يصعد منه على درجة أخرى طولها خمسون مرقة إلى سطح أفيه ومجلس عجيب. وأبو الخصيب هذا مولى أبي جعفر المنصور وحاجبه. والسدير قصر عظيم من أبنية ملوك لم في قديم الزمان. وما بقي الآن منه فهو ديارات وبيع للنصارى.

ولعلي بن محمد الحناني العلوى يذكر هذه الموضع

كَمْ وَقَفَّةٌ لَكَ بِالْحَوْرِ نَقَ لَا تُؤَرِّى بِالْمَوَاقِفِ
بَيْنَ الْغَدِيرِ إِلَى السَّدِيرِ إِلَى دِيَارَاتِ الْأَسَاقِفِ
فَمَدَارِجُ الرُّهْبَانِ فِي أَطْمَارِ حَائِقَةٍ وَخَائِقَةٍ
دِمْنُ كَانَ رِيَاضَهَا يُكَسِّينُ أَعْلَامَ الْمَطَارِفِ
وَكَانَمَا غُدْرَانُهَا فِيهَا عُشُورٌ فِي مَصَاحِفِ
وَكَانَمَا أَوَارُهَا تَهَرَّبُ إِلَيْهِ الْعَوَاصِفُ
طُرُرُ الْوَصَائِفُ يَلْسَقِينُ بِهَا إِلَى طُرُرِ الْوَصَائِفِ
تَلْقَى أَوَانُهُمْ كَأَوَا خَرَهَا بِالْوَانِ الْزَّخَارِفِ
بَحْرِيَّةٌ شَوَّانُهَا بَرِيَّةٌ فِيهَا الْمَصَائِفُ

دُرِيَّةُ الْحَصَبَاءِ كَا فُورِيَّةٌ فِيهَا الْمَشَارِفُ
ثُمَّ أَنْبَرَتْ سَحَّا كَبَّا كِيَّةٌ بِأَرْبَعَةِ ذُوَارِفٍ

ولأبي نواس يذكر أيامه بالسدير

٣٠٣٠

عَدْنَ يِلِي بِالسَّدِيرِ أَيَّامُ قَصْفٍ وَسُرُورٍ مَعَ الْمَدَائِي وَعَرْفٍ
وَعُيُونُ الظَّبَاءِ تَرْزُو إِلَيْنَا مُعْيَمَاتٍ بِكُلِّ بِرٍّ وَلَظْفِ
وَرَخِيمٍ الْخُطَا يَكَادُ مِنَ الرَّقَّةِ يُدْبِي أَدِيمَهُ كُلُّ طَرْفٍ
حَلَّ مِنْهُ الْصَّلَبُ فِي مَوْضِعِ الْجِيدِ قَدْ خَصَّهُ عَلَى كُلِّ إِلْفٍ
قَدْ أَدْرَنَا رَحْيَ الْشَّعِيمِ ثَلَاثًا وَوَصَلَنَا النَّعِيمَ هَكَّا بِكَفٍ

قال ولما نزل الرشيد الحيرة وقت منصرفه من الجحر ك جعفر بن يحيى إلى السدير
فطاوه ونظر إلى بنائه ثم وقعت عينه على كتاب في أعلىه فأمر من صعد إلى الموضع
فقرأه. فقال في نفسه قد جعلته فألاً لما أخافه من الرشيد فقرئ فإذا هو

إِنَّ بَنِي الْمَشْدِرَ عَامَ أَقْضَوْا
بِحَيَّثُ شَادَ الْبَيْعَةَ الْرَّاهِبُ
أَصْحَوْا وَلَا يَرْجُوهُ رَاغِبٌ
يَوْمًا وَلَا يَرْجُهُمُ رَاهِبٌ
وَأَصْبَحُوا أَكْلًا لِدُودِ الْشَّرِي
وَانْقَطَعَ الْمَطْلُوبُ وَالظَّالِبُ

فرن جعفر لذلك وصار ينشد الأيات ويقول ذهب والله أمرنا.

ومن هذه الآبنية المسقطات وهو قصر فيه آزاج مستطيلة مسقطة شرقى الحيرة
على طريق الحاج ثم القصر ثم كوة البقال ثم قصر العدسيين ثم الأقصى الأيض ثم
قصر بني بقيلة وكان هذا القصر لعبد المسيح بن بقيلة الغساني وإنما سُمي بقبيلة لأنه
خرج يوماً على قومه في حلتين خضراويين قد اتزر بآحداهم^١ واشتمل بالأخرى فقال

^١ (بأكبة): ساقطة من الأصل. ^٢ كما في عواد: الأصل: لذلك ينشد. ^٣ الأصل: الحاج القصر. ^٤ الأصل: بأحداهم.

قومه ما هو إلا بُقيلة فُسْيٰ بذلك. وعبد المسيح هذا هو ابن أخت سطيع الكاهن وكان كسرى أنفذه إلى سطيع بسبب الرؤيا التي رأها. فجاءه وهو يجود^١ بنفسه. فقال أصم أم يسمع غطريف اليمن في أبيات. ففتح سطيع عينه وقال عبد المسيح على جمل مشيخ جاء إلى سطيع وقد أوفى على الضريح من قبل ملكبني سasan لارنجاس الإلواز وخمود النيران ورؤيا الموبذان. والخبر مشهور تركاه لشهرته.

٦٣٠ فلما نزل خالد بن الوليد الحيرة خرج إليه عبد المسيح فقال له خالد من أين أقصى أثرك قال من صلب أبي. قال ما عن هذا سألك قال ولا أجبت إلا عما سألت عنه. قال ما أنت قال عرب استبطننا. قال فما بال هذه الحصون قال ببناتها تحرز بها من الجاهل إلى أن يجيء العاقل فيرده. قال أتعلّم قال فهم وأقید. قال فما سنته قال عظيم. قال كم أتي عليك قال لوأني على شيء لقتلني. قال كم مضى من عمرك قال أربعمائة سنة قال فما رأيت من العجائب قال رأيت السفن وهي ترقى في هذا الموضع ورأيت المرأة وهي تخرج من الحيرة إلى الشام بمفردها في يدها ومكلّها على رأسها لا يروعها أحد وهي الآن خراب يباب. وذلك دأب الله في خلقه.

٧٣٠ وكان في يده شيء يقلبه. قال خالد ما هذا الذي في يدك قال سرّ ساعة. قال وما تضع به قال إن أعطيتني ما أحب وإلا قلت نفسى به ولم أكن أقول من أدخل الذل على قومه وساق إليهم ما يكرهون. فقال خالد هلمه إلى فناوله إيه فطرحه في فيه وقال باسم الله وازدرده. فأخذته غشية ثم أفاق كأنما نشط من عقال. فرجع عبد المسيح إلى قومه فقاتل جئتم من عند رجل شرب سرّ ساعة وما ضرره وحمل إليه مالاً صالحه عليه وانصرف عنهم.

ومن بعده دار عون ثم قبة غصين^٢ وهي مما يلي الجف فهذه قصور الحيرة الباقية الآن.

١ الأصل: ورد التصحح فوق (يكيد). ٢ الأصل: فيه عصر.

قبة الشقيق

وهي من الآبنية القديمة بالحيرة على طريق الحاج وبازائها قباب يقال لها الشكورة
1.٣١ جميعها للنصارى فيخرجون يوم عيدهم من الشكورة إلى القبة في أحسن زين عليهم
الصلبان بأيديهم المجامر والشمامسة والقسان معهم يقدسون ويتبعهم حلق كثير من
متطربى المسلمين وأهل البطالة إلى أن يصلوا قبة الشقيق فيتقربون ويتعمدون ثم يعودون
بمثل تلك الحال فهو منظر ملائم.
ولبعض الشعراء فيه

وَالنَّصَارَى مُشَدَّدَاتُ الْرَّتَانِيرِ عَلَيْهِنَّ كُلُّ حَلَى وَثِيقَ
يَتَمَشَّيْنَ مِنْ قَبَابِ السَّعَائِنِ إِلَى صَحْنِ قُبَّةِ الشَّيْقَ
يَا خَلِيلِي فَلَا تُعَنِّفِنِي يَوْمَ تَرَى اللَّهُ فِي هِيَالِ التَّحْقِيقِ

٢.٣١

ولblk بن خارجة

يَا خَلِيلِي عَرَجَابِي إِلَى الْأَجِيرَةِ كَمْ ثُرَاقِبَانِ الْبُجُومُ كَا
وَاسْقِيَانِي مِنْ بَيْتِ تَحْوُمَ رَاجَأَ قَهْوَةً لَا تُمَاسِكَسَا تَحْوُمُ كَا
حَانَةَ حَشُوْهَا ظِبَاءً مَلَاحَ هَيَّوْا بِالْذَّلَالِ قَلْبًا سَقِيَسَا
وَإِذَا مَا سَقِيَمَانِي شَرَابًا خَنَدِرِيسًا مُعَتَّقًا مَخْتُومُ كَا
فَأَقْصِدَأَ قُبَّةَ الشَّيْقَ وَظَبَيَا سَكَنَ الدَّيْرِ قَدْ سَبَانِي رَحِيمُ كَا
عَقْدُ زُنَارِهِ تَوَصَّلَ بِالْقُلُوبِ وَأَمْسَى بَيْنَ الْحَشَانِ مَحْزُومُ كَا

١ الأصل: مشددين.

٢٠٣١ وبكر بن خارجة هذا من أهل الكوفة وكان من المنهكين في الخمر والمستهترين بالطرب في الحنات والديارات وكان أكثر شعره في ذلك. فمن شعره أيضاً

رَاحَ مِنْ الْحَكَاهَةِ سَكَنَاهَا فَرَادَيْنِ هَمَّا وَأَحْرَانَا
 حَاهَةِ تَخُومَ الْأَيَّلِي صَيَرَتْ مِنْ جُبَهَاهَا فِي الْقَلْبِ نِيرَانَا
 تَخَالَهُ لِلسُّكْرِ وَسَنَانَا يَرْنُو بِعَيْنِي شَادِنِ أَحْوَرَ
 مَا رَأَتِ الْعَيْنَانِ شِبَهَاهَا إِنْسَانِ إِذَا عُدَّ وَلَا جَانَا
 مَعَاقِدُ الْأَنْتَارِ فِي حَصْرِهِ عَذَبَسَنِي بِالْحُبِّ الْوَانَا
 كَثَمَتْ جُيَّيْ وَهَوَائِي لَهُ دَهْرًا وَأَحْوَالًا وَأَرْمَانَا
 حَتَّىْ تَوَلَّ جَسَدِي لِلْإِلَيْ فَمَا أَطْبِقُ الْيَوْمَ كِشْمَانَا

دير هند بنت النعمان بن المنذر

١٠٣٢ بَتْ هَنْدُ هَذَا الْدِيرَ بِالْحَيْرَةِ وَرَهَبَتْ فِيهِ وَسَكَنَتْ دَهْرًا طَوِيلًا ثُمَّ عَمِيتَ.
وَهَذَا الْدِيرُ مِنْ أَعْظَمِ دِيَارِاتِ الْحَيْرَةِ وَأَعْمَرُهَا وَهُوَ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَحَاضِرَةِ بَكْرٍ.
٢٠٣٢ وَلَمَّا قَدِمَ الْحَجَاجُ الْكُوفَةَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ قِيلَ لَهُ إِنَّ بَيْنَ الْحَيْرَةِ وَالْكُوفَةِ دِيرًا
لِهَنْدِ بَنْتِ النَّعْمَانَ وَهِيَ فِيهِ مُنْتَكَهٌ^٣ مِنْ رَأْيِهَا وَعَقْلِهَا فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهَا تَقِيَّةٌ.
فَرَكِبَ وَالنَّاسُ مَعَهُ حَتَّى أَتَى الْدِيرَ فَقِيلَ لَهَا هَذَا الْأَمِيرُ الْحَجَاجُ بِالْبَابِ فَأَطْلَعْتُ مِنْ
نَاحِيَةِ الْدِيرِ. فَقَالَ لَهَا^٤ يَا هَنْدُ مَا أَعْجَبَ مَا رَأَيْتَ. قَالَتْ خَرْجُ مُثْلِي إِلَى مُثْلِكَ. فَلَا
تَعْزِزْ يَا حَجَاجُ بِالدُّنْيَا إِنَّا أَصْبَحْنَا وَنَحْنُ كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ

رَأَيْتُكَ مَنْ تَعْقِدُ لَهُ حَبْلَ ذِمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَأْمَنُ سَرْحُهُ حَيْثُ أَرْبَعَ

٢٠٣٣ وَلَمْ نَسِ إِلَّا وَنَحْنُ أَذْلَلُ النَّاسَ وَقَلَ إِنَاءَ امْتَلَأَ إِلَّا انْكَهَا.
فَانْصَرَفَ الْحَجَاجُ مُغْضِبًا وَبَثَ إِلَيْهَا مِنْ يُخْرِجُهَا مِنِ الْدِيرِ وَيُسْتَأْدِيهَا الْمَرْجَ.
فَأَخْرَجَتْ مَعَ ثَلَاثَ جَوَارَ مِنْ أَهْلِهَا فَقَاتَلَتْ إِحْدَاهُنَّ فِي خَرْجِهَا

خَارِجَاتٌ يُسْقَنَ مِنْ دَيْرِ هَنْدٍ مُذْعَنَاتٌ بِذَلَّةٍ وَهَوَازِ
لَيْتَ شِعْرِيَ الْأَوَّلُ الْحَسْرُ هَذَا أَمْ حَمَّ الدَّهْرُ عَيْرَةً الْفِتَيَانَ

فَشَدَّفَتِي مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى فَرْسِهِ فَاسْتَنْقَذَهُنَّ مِنْ أَشْرَاطِ الْحَجَاجِ وَتَعِيبِهِ. فَبَلَغَ
الْحَجَاجُ شِعْرَهَا وَفَعَلَ الْفَتَيَّ فَقَالَ إِنَّ أَنَا فَهْوَ آمِنٌ وَإِنْ ظَفَرْنَا بِهِ قُتْلَنَا. فَأَتَاهُ الْفَتَيَّ فَقَاتَلَ
لَهُ مَا حَمَلَ عَلَى مَا صَنَعَتْ قَالَ الغَيْرَةُ فَوْصَلَهُ وَخَلَاهُ.

١ الأصل: وَحْصَرَاهُ. ٢ الأصل: وَهِيَ فِيهِ مِنْ رَأْيِهَا. ٣ الأصل: (محاطة الحجاج التقى هند بنت المنذر) وردت في الخامس.

وكان سعد بن أبي وقاص حين فتح العراق أتى هند إلى ديرها فخرجت إليه فأكرّمها
وعرض عليها نفسه في حوالجها فقالت سأحييك بتحية كانت أملاكاً ثميناً بها مستك
يد نالها فقر بعد غنى ولا مستك يد نالها غنى بعد فقر ولا جعل الله لك إلى لثيم
حاجة ولا نزع الله عن كرم نعمة إلا جعلك سبباً لرذها عليه.

ثم جاءها المغيرة لما ولاد معاوية الكوفة فاستأذن عليها فقيل لها أمير هذه المدرة
باب الباب فقالت قولوا له من أولاد جبلة بن الأبيهم أنت قال لا. قالت فن ولد المنذر
بن ماء السماء قال لا. قالت فن أنت قال المغيرة بن شعبة الثقي. قالت فما حاجتك
قال جئت خاطبأ. قالت لو جئتنني بمال أو حال لأجتني ولكن أردت أن تشرف
بي في مخالف العرب فقول نكت بنت النعمان بن المنذر وإنما فر في اجتماع
أعور وعمياء.

بعث إليها قال كيف كان أمركم قالت ساختصر لك الجواب أمسينا مساءً وليس
في الأرض عربي إلا وهو يرغب إلينا ويرهنا ثم أصبحنا وليس أحد إلا ونحن نرغب
إليه وزرهبه. قال فما كان أبوك يقول في ثيف قال اخترص إليه رجالان منهم في
شيء أحدهما ينتهي إلى إياك والآخر إلى بكر بن هوارزن فقضى به للإيادي وقال

إِنَّ ثَقِيفاً لَمْ يَكُنْ هَوَازِنَا وَلَمْ يُنَاسِبْ عَامِرًا وَمَارِنَا

فقال المغيرة أما نحن فن بكر بن هوارزن فليقل أبوك ما شاء.

١ الأصل: (حضور المغيرة بن شعبة إلى هند بنت المنذر يخطبها لزواجه وامتاعها) وردت في الهاشم.

دير زُراة

وهو دير حسن بين جسر الكوفة وحمام أعين ناحية عن الطريق على يمين الخارج من
بغداد إلى الكوفة وهو موضع زه حسن كثير الحنات والشراب عامر بن يطرقه لا يخلو
ممن يطلب اللعب واللهو ويؤثر البطالة وهو من المواطن المستصلحة لذلك.
١٠٣٣
قال خرج يحيى بن زياد ومطيع بن إياس حاجين فلما قربا من دير زراة قال أحدهما
لصاحبه هل لك أن تقدم أثقالنا ونمضي إلى زراة فنشرب في ديرها ليلتنا ونتزود
من مردها وخرمها ما يكفيانا إلى العودة ثم نلتقي بأثقالنا ففعلا وسار الناس وأقاموا فاما
يزل ذلك دأبهما إلى أن انصرف الحاج فلما وصلا إلى الكوفة حلقا رؤوسهما ^{وربا}
بعرين ودخلوا مع الحاج فقال مطيع

لَمْ تَرِنِي وَيَحْيَى إِذْ بَحْتَنَا
وَكَانَ الْجَمْعُ مِنْ خَيْرِ الْتَّجَارَةِ
خَرَجْنَا طَالِبِي حَجَّ وَدِينَ
فَقَالَ إِنَّا طَرَقِينَ إِلَى زُراَةَ
فَابْنَ النَّاسِ قَدْ غَمِّنُوا وَجَحْوًا
وَابْنَانِ مُوَقَّرِينَ مِنْ الْخَسَارَةِ

٢٠٣٣
ثم قال فيه أيضاً وفيه لحن وقيل إن الآيات لأبي علي البصیر

خَرَجْنَا بَشْغِي مَكَّةَ حُجَّاجًا وَرَوَارًا
فَلَمَّا قَدِمَ الْحَيْرَ هَهَا حَادِي جَمَلِي حَارَا
وَقَدْ كَادَ يَنْفُرُ الْجَمْعُ لِلإِصْبَاحِ أَوْ غَارَا
فَقَتَّلْتُ أَحْطَظْ بِهَا رَحْلِي وَلَا تَحْفَلْ بِهِنْ سَارَا
فَلَدَّدْنَا عُهُودًا سَلَفْتُ مِنْهَا وَأَثَارَا

١. كما في الأصل.

وَقَضَيْنَا لِبَانَاتٍ لَنَا كَاثٌ وَأَنْطَارًا
وَصَاحَبَنَا بِهَا دَيْنَارًا
وَظَبِيًّا عَاقِدًا بَيْنَ
شَرَحَنَا لَكَ أَخْبَارًا

ولأبي نواس في هذا المعنى

٤٠٣٣

نَعَمْ إِذَا فَنِيَتْ لَذَّاتُ بَعْدَادٍ
فَقْبَةُ الْفِرْكِ مِنْ أَكْنَافِ كَلْوَادِي
شُذَّادُ بَعْدَادٍ لِي فِيهِ شُذَّادِي
فِي بَيْتٍ قَوَادِيْهُ أَوْ بَيْتٍ بَيْتَ كَادِي
كَيْفَ يَنْجِي لِي مَا دُمْتُ مُغَمِسًا
وَهَبْنَكَ مِنْ قَصْفِ بَعْدَادٍ تُخَلَّصُنِي
وَقَائِلٌ هَلْ تُرِيدُ لَنْجَ قُلْتُ لَهُ
أَمَا وَقْطَرَبُلِ مِنْهَا بِحَيْثُ تَرَى
فَالصَّالِحِيَّةُ فَالْكُنْخُ الَّذِي آجَمَعَتْ
وَكَيْفَ يَنْجِي لِي مَا دُمْتُ مُغَمِسًا
وَهَبْنَكَ مِنْ قَصْفِ بَعْدَادٍ تُخَلَّصُنِي

ومن فعل فعل مطيع سليمان بن محمد الأموي وكان قد أعد البخاري للنج وصنعها طول ٥٠٣٣
سننه فلما وصل إلى الكوفة بدهله وأقام وقال

جَرِصِي عَلَى لَنْجَ أَفْسَدَ لَنْجًا
إِذَا مَأْجَدَ مَهْرَبًا وَلَا مَنْجَا
بُثُّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنُوبِ وَمِنْ
عَرْضِ بَرِيِّهِ بِمُنْكَرِ يَهْجَا
فَرَدَنِي خَاسِنًا إِلَى قَدَحِي
وَقَوْلِ شَعَرٍ وَعَفْوَهُ يُرْجَا
بِحَيْثُ تُصْبِي الرَّقَاقُ خَاصِعَةً
تَحْسِبُهَا مِنْ سَوَادِهَا زَنْجَا
إِذَا وَضَعَنَا لِلرَّزْقِ بَاطِيَّةً
وَحُلَّ عَنْهُ رِيَاطُهُ مَجَّا
رَأَدِي إِلَى لَنْجَ صَارَ مُسْتَقْلًا
لِمَا أَحْسَيْتُ الْمَدَامَةَ الرَّلْجَا
وَمَصْبِحِي رُكْنِي لَعْنُتُ بِهَا
مَنْلُوَةً مَا تُقَارِقُ الْمُرْجَا
كَدَّاكَ مَنْ يَظْلُبُ التَّوَابَ وَلَا
يَنْهَضُ إِلَى بِنْيَةِ عَرْجَا

٦.٣٣ وخرج أبوالمضرجي وسلام بن غالب بن شماس وأبوعلي البصیر^١ الشاعر يريدون
الحج فلما قدموا الكوفة بدا لأبي علي البصیر^٢ ولسلام ثم مضى أبوالمضرجي فقال أبو
علي البصیر^٣ يخاطب سلاماً

**خُذْ بِرَأْسِ الْقِطَارِ، وَاسْتَخِرْ أَللّٰهَ إِلَى دَارِ قِنْتَةِ الرَّمَادِ
حَيْثُ لَا تُنْكِرُ الْمَعَارِفُ وَأَنْجُرُ وَوَضْمُ الْأَيْدِي عَلَى الْأَخْرَاجِ**

٧.٣٣ وكان مطیع بن إیاس من أظرف الناس وأحسنهم شعرًا وأکثرهم نادرة وأشدّهم محناً
وخلاعة وكان لا يغبت الشرب واللعب والانهماك في الخسارة والتطرّح في مواضع
اللذات. وكان مطیع ویحیی بن زیاد وحمّاد عجرد وحمّاد الرویة لا يفترقون وكان جمیعهم
على منهاج واحد في الخلعة وكلّهم متّهم بالزندقة.

٨.٣٣ ذكر العتبی عن أبيه قال قدم علينا شیخ من أهل الكوفة لم أر قط أحسن منه حدیثاً
فكان يحدّثی عن مطیع والحادین وعن طرفاء أهل الكوفة وبعائبهم. فلم يكن يحدّث
عن أحد منهم بأحسن مما يحدّثی به عن مطیع بن إیاس فقتل له كت والله أشتهی
أن أرى مطیعاً. فقال والله لو رأیته للقيت منه بلاء عظیماً. فقتل وكيف قال كت
ترى رجالاً لا يصبر عنه العاقل إذا رأاه ولا يصحبه أحد إلا افضم به.

٩.٣٣ وذكر ابن حیب قال رأیت رجالاً من أهل الكوفة فسألته عن مطیع وكان قد صحبه
فقال لا تردن تسأل عنه. قلت وماذاك قال مسائلك عن رجل إذا حضرك ملك
إذا غاب عنك شاقك وإذا عرفت بصحبته فضحك.

١٠.٣٣ وكان مطیع من مخضري الدولتين الأموية والعباسية وقد مدح الولید بن یزید
ونادمه ومدح أخيه وخض به.

١١.٣٣ قال حضر مطیع بن إیاس وشراعة بن التدبود^٤ ویحیی بن زیاد ووالبة بن الحباب
وعبد الله بن عیاش المتنوف وحمّاد عجرد مجلس بعض الأمراء بالکوفة فاجتمعوا كلّهم

١ الأصل: أبوالبصیر. ٢ الأصل: أبوالبصیر. ٣ الأصل: أبوالبصیر. ٤ الأصل: القطا.

على مطيع فكايده و هجوه فغلبهم كلهم ثم بدهم فتال

وَخَمْسَةٌ قَدْ أَبَاوْا لِي عَدَاؤُهُمْ وَقَدْ تَأْطَلَ لَهُمْ مِقْلَى وَطَحِيرُ
لَوْيَقْدِرُونَ عَلَى لَحْنِي تَقْسِمُهُ قَرْدُ وَكَلْبُ وَجْرَوَاءُ وَخَنْزِيرُ

قطعهم وأقروا له.

قال واجتمعوا يشربون فأقاموا على ذلك أيامًا فقال لهم يحيى بن زياد ليلة وهم
سكناري ويحكم ما صلينا منذ ثلاثة أيام قوموا بنا حتى نصلى. فقالوا نعم فقام مطيع
فأذن وأقام ثم قال للمعنى تقدّمي فصلي بنا فتقدّمت وكانت بلا سراويل وعليها غلالة
رقيقة. فلما سجدت انكشف متعها فوثب إليها مطيع فقبله ثم قال

وَلَكَ بَدَا هُنَّهَا جَائِعًا كَرَأَسٍ حَلِيقٍ وَمَ تَعْتَدِ
سَجَدْتُ عَلَيْهِ وَقَبَّلْتُهُ كَمَا يَفْعُلُ الْعَابِدُ الْجَاهِدُ

قطعوا صلاتهم بالضحك ثم عادوا إلى ما كانوا عليه.

قال كتب يحيى بن زيادي مطاع أنا نشيط للشرب فإن كنت فارغاً فصر إلى
وإن كان عندك نيد طيب وغناء جنتك. بفاءه الرقة وعنه حماد الروية وحكم
الوادي وغلام أمرد فأجابه

نَعَمْ لَنَا بَيْذُ وَعِنْدَنَا حَمَادُ
وَعِنْدَنَا وَادِينَا وَهُولَنَا عِمَادُ
وَخَيْرُنَا كَثِيرُ وَأَنْجَيْرُ يُسْتَرَادُ
وَلَهُوَنَا لَذِينَدُ لَمْ تَلِهُمْ أَعِبَادُ
أَوْ شَتَّيِ فَسَادًا فَعِنْدَنَا فَسَادُ
أَوْ شَتَّيِ غَلَامًا فَعِنْدَنَا زِيَادُ
مَا إِنْ بِهِ أَتْوَاءُ عَنَّا وَلَا بِعَادُ

فَلَمَّا قَرِأَ الرُّقْعَةَ صَارَ إِلَيْهِمْ فَتَمَوَّبِيَّةٍ يَوْمَهُمْ.

وقال يحيى بن زياد له انطلق بنا إلى فلانة المغيبة وكان يهواها فـإِنْ يَبْتَأْ مَعْذِبَةً
١٤٣٣ فلعلك أن تصلح بيني وبينها وبئس المصلح والله أنت . فدخل إِلَيْهَا فـأَقْبَلَ يَحْيَى يَعْتَبِهَا
ومطیع ساكت فقال له ما يسكنك أسكن الله نامتک . فقال مطیع

أَنْتِ مُعْتَلَةً عَلَيْهِ وَمَا رَأَ لَمْ هُبِسِنَا إِنْفَسِهِ فِي هَوَالٍ

فأعجب يحيى ما قاله وهش له وقال هيء فقال

فَدَعَاهُ وَوَاصِلِي أَبْنَ إِيَّاسٍ جَعَلَتْ نَفْسَهُ الْعَدَاءَ فِدَالِيٌّ

فقام إليه يحيى بالوسادة يجلد بها رأسه وقال ألهذا دعوتك يا ابن الفاعلة .
قال وكان بالكوفة مقيّن يقال له أبوالأصبع وكان له ابن يقال له أصبح أحسن
١٥٣٣ الناس وجهاً وكان مطیع بن إیاس ويحيى بن زياد وحمّاد عبّرد يعشون منزله ويعشقون
ابنه ولا يقدرون عليه فزعم أبوالأصبع على أن يصبح يوماً مع يحيى بن زياد فآهدي
إِلَيْهِ يَحْيَى مِنَ الْلَّيلِ جَدَاءً وَدَجَاجًا وَفَاكِهَةً وَشَرَابًا . فقال أبوالأصبع لجواريه إن
يحيى بن زياد عندنا فأصلحوا له ما يشتتهيه ^١فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الطَّعَامِ لَمْ يَجِدْ رَسُولًا يَعْثِث
بِهِ إِلَيْهِ سُوَى ابْنِهِ أَصْبَحَ فَقَالَ لَهُ لَا تَبْرِحْ إِلَّا وَيَحْيَى مَعَكَ . فَلَمَّا جَاءَهُ أَصْبَحَ قَالَ لِلْفَلَامِ
أَدْخِلْهُ وَقُنْيَّةً أَنْتَ وَأَغْلِقْ الْبَابَ فَإِنْ أَرَادَ الْخُرُوجَ فَامْنِعْهُ . فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ أَصْبَحَ وَأَذْدَى
الرِّسَالَةِ رَاوِدَهُ يَحْيَى عَنْ نَفْسِهِ فَامْشَعْ فَثَاوِرَهُ يَحْيَى فَصَرَعَهُ وَرَامَ حَلْ تَكَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ
عَلَى ذَلِكَ فَقْطَهَا يَحْيَى فَلَمَّا فَرَغَ أَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ دِينَارًا كَانَتْ تَحْتَ مَصَلَّاهُ فَأَخْذَهَا .
وَقَالَ لَهُ يَحْيَى امْضِ فَأَنَا عَلَى أَثْرِكَ .

فُرِحَ أَصْبَحَ مِنْ عَنْدِهِ وَاغْتَسَلَ يَحْيَى وَجَلَسَ يَتَزَيَّنَ وَيَتَبَخَّرَ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ مَطِيع
١٦٣٣ فَرَأَى مَا هُوَ فِيهِ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ فَلَمْ يَجِدْهُ وَشَخْنَ بِأَنْفِهِ وَقَظَبَ حَاجِهِ فَقَالَ لَهُ

^١ كذا في عَوَاد؛ الأصل: يشبهه .

أراك تزئن وتبخّر أين عزمت فلم يجده فقال ويحك ما الملاك نزل عليك الوحي أو كلّمتك
الملائكة أو بويغ لك بالخلافة وهو يومي برأسه لا لا. قال فأراك قد تهت علينا فا تتكلّم
حتى كأنك قد نكت أصبع بن أبي أصبع. فقال أي والله الساعة وأعطيته أربعين
ديناراً. قال فإلى أين تصفي قال إلى دعوة أبيه فقال مطيع امرأته طالق إن فارقتك
أو قبل أميرك فأبدها يحيى له فقبله. ثم قال له كيف قدرت عليه خذله حديثه وقام
ليمضي إلى منزل أبي الأصبع. فاتبعه مطيع وصبر ساعة ثم دق الباب واستاذن
فرح إليه الرسول فقال له إنه اليوم على شغل لا يتفرغ لك فتعذر. قال فابعث إلي
دواء وقوطاً^١ فكتب مطيع إلى أبي الأصبع بهذه الآيات

يَا أَبَا الْأَصْبَحِ لَا رَلَّتْ عَلَىٰ كُلُّ حَالٍ عَالِيًّا مُمْتَنِعًا
لَا تُصَيِّرِنِي فِي الْوَدَّ مَنْ قَطَعَ شَنِعًا
وَأَتَىٰ مَا يَشْتَهِي لَا يَنْتَهِي خِفَةً أَوْ حَفْظَ حَقَّ ضَيْعًا
لَوْزَرَىٰ الْأَصْبَحِ مُلْقَ تَحْتَهُ مُسْتَكِنًا جَحْلًا قَدْ حَضَعَا
وَلَهُ دَفْفُعٌ عَلَيْهِ بَجِيلٌ شَبَقًا سَاهَكَ مَا قَدْ صَنَعَا
فَادْعُ بِالْأَصْبَحِ فَأَعْرِفُ حَالَهُ سَرَرَىٰ أَمْرًا قِيمًا فَظِعَا

قال أبو الأصبع يحيى فعلتها يا ابن الزانية قال لا فضرب بيده إلى تكّة ابنه
فوجدها مقطوعة فايقن بالقضية فقال يحيى قد كان الذي كان وسعى إليك مطيع
ابن الزانية. وهذا ابني وهو أفره من ابني وأنا وهو عربي ابن عربية وابني نبطي ابن
نبطية. فنك ابني عشرًا مكان المرة التي نكت ابني ف تكون قد بحثت الدنانير وللواحد
عشرة. فضحك أبو الأصبع وقال لابنه هات الدنانير يابن الفاعلة فرمى بها إليه وقام
بنجلاً. فقال يحيى والله لا دخل مطيع ابن الزانية فقال أبو الأصبع وجواريه والله
ليدخلن إلينا فقد فضحنا. فأدخل وجلس يشرب معهم ويحيى يشته بكل لسان
ومطيع يضحك.

^١ الأصل: وقوطاً. ^٢ كذلك في الأصل.

ولمطعُ أخبار كثيرة طريقة منع من إيرادها خوف الإطالة وما تدعوه إليه من ١٨٠٣٣
الملاله. وله شعر حسن ملبح ويقى في شعره فمن ذلك قوله

وَاهَا لِظَبْيِ رَجَوتُ نَائِلَهُ حَتَّى أَنْتَنِي لِي بُؤْدَهُ صَلَفَكَا
لَأَنَّتْ حَوَاشِيهِ لِي وَأَطْمَعَنِي حَتَّى إِذَا قُلْتُ نِلَهُ أَنْصَرَفَكَا

وقال أيضاً وله فيه غناء

خَلِيلِي مُخْلِفُ أَبَدَا يُمْسِيَنِي عَدَافَهَدَا
وَبَعْدَ غَدِ وَبَعْدَ غَدِ كَمَا لَا يَنْتَضِي أَبَدَا
وَلَيْسَ بِلَاءِثِ جَمْرُ الْغَضَانَ أَنْ يَحْرُقَ الْكِيدَا

ومن ملبح شعره قوله

إِخْلَعْ عَذَارَكَ فِي الْهَوَى
وَصِلِ الْقِيَانَ مُجَاهِرًا
وَأَشَرَبَ مُعَثَّقَةَ الدَّنَانَ
فَالْعَيْشُ فِي وَصْلِ الْقِيَانِ
لَا يُلْهِيَنَكَ غَيْرُ مَا
تَهْوِي فِي أَنَّ الْمُرْفَانِي

وكان مطع يبغض أباه ويجهوه وهو من بني كاتنة وكان يوماً يذكر قبائل قريش والعرب ١٩٠٣٣
ويصف قوماً قوماً فقال له بعض من حضر فأين بني كاتنة فقال غير متمهل بفلسطين
يحسنون الركوب. أراد قول الشاعر

حَلَقَ مِنْ بَنِي كَاتَنَةَ حَوْلِي بِفِلَسْطِينِ يُحْسِنُونَ الرَّكُوبَا

عُمر مريونان

وهذا العُمر بالأنبار على الفرات وهو عُمر حسن كثير القلايات والرهبان وعليه سور ١٠٣٤ حكم البناء فهو كالحصن له والجامع ملاصقه . لا يخلو من المتزهين والمتظفين وله ظاهر حسن ومنظر عجيب سيما في أيام الريع لأنّ صحاريه وسائر أراضيه تكون كالحلل لكتلة طائف زهره وفنون أنواره . ومن اجتاز بالأنبار من الخلفاء ومن دونهم ينزله مدة مقامه . وقد وصفته الشعرا وذكره في أشعارها . ولحسين بن الصحّاف فيه

آذنَكَ الْكَأْوُسُ بِالْجَنَرِ وَغَرَدَ الْرَاهِبُ فِي الْعُمَرِ
وَأَطَرَدَتْ عَيْنَاكَ فِي رَوْضَةِ تَضَكُّنٍ عَنْ حُمْرٍ وَعَنْ صُفَرٍ
وَحَنَّ مَخْمُورٌ إِلَى خَمْرٍ وَجَاءَتِ الْكَاسُ عَلَى قَدْرٍ
فَارْغَبَ عَنِ النَّوْمِ إِلَى شَرِبِهَا تَرْغَبُ عَنِ الْمَوْتِ إِلَى النَّشَرِ

ولكشاجم فيه

٢٠٣٤

أَعْدُ يَا صَاحِبِي إِلَى الْأَنْبَارِ تَشَبَّهَ الرَّاحَ فِي شَبَابِ الْهَمَارِ
وَأَعْمَرَ الْعُمَرَ بِاللَّذَادَةِ وَالْقَضْفِ وَحَثَ الْكَوْسِ وَالْأَوْتَارِ
مَا تَرَى الْدَّهَرَ قَدْ أَتَاكَ بِوَجْهِهِ طَلِيقٌ بَعْدَ بَنَوَةٍ وَأَرْوَارِ
لَاسِاً حُلَّةً مِنْ آزَهَرِ كَائِنٍ قَبْلُ مَحْبُوبَةِ عَنِ الْأَبْصَارِ
نَرْجِسٌ كَالْعَيْنِ يَرْفُبُ مِنْ يَهْوَاهُ مِنْ غَيْرِ رِقْبَةٍ أَوْ حِذَارِ
وَإِذَا مَا بَدَا أَشْقَائِقَ فِيهَا خَالَهُ النَّاطِرُونَ شُعْلَةَ نَارِ
أَوْ كَمَا نُشَرَّتْ مَطَارِدُ حُمْرٍ لَأَمِيرٍ فِي جَنَفِلِ جَرَارِ

وَكَانَ الْبَنِيقَجُ الْفَضَّ فِيهَا
أَثْرُ الْقُرْصِ فِي خُدُودِ الْجَوَارِي
كَالْيَوْقِتِ نُظِمَتْ فِي الْمَدَارِي
مِثْلَهَا مَا حَوْتُ تُخُوتُ الْجَهَارِ
نَمَّتْ وَشَيَّهَا يَدُ الْأَمْطَارِ
فِي طَرَازِ الرَّيْعِ حِيكَثُ وَلِكَنْ
أَقْوَانُ وَسَوْسَنُ حَسَنُ النُّورِ
فَاغْتَمَ عَفْلَةُ الْزَمَانِ وَبَادِرَ

وكشاجم أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب مليح الشعر رقيق الطبع حسن الوصف
٢٠٣٤ له كتب كثيرة وتآليقات طريفة. فمن شعره في بعض من كان يألفه قوله

مَنْ عَذِيرِي مِنْ عِذَارِي رَشَا^١
عَرَضَ الْقَلْبَ لِأَسْبَابِ الْتَّفَّ
قَرْجَالَ نَعِيمَ الْحُسْنِ فِي
مَاءِ خَدَيْهِ عَلَى مَاءِ الْتَّرَفَ
رَوْقَنُ الْعِرْبِ بِأَقْلَامِ الْشَّرَفَ
وَلَهُ خَطُّ عِذَارِ خَطَّهُ
حِكْمَةُ فِي نِعْمَةٍ قَدْ طُرِرَتْ
بِطِرَازِ لَمْ يَجُرِّ حَدَّ الشَّنَفَ
جَمَسًا خَدَيْهِ ثُمَّ أَنْعَطَفًَا
أَهِ مَا أَحْسَنَ ذَاكَ الْمُعَطَّفَ
عَلِمَ الشَّعْرُ الَّذِي عَاجَلَهُ
فَهُوَ فِي وَقْفِهِ مُعْتَرِفٌ
بِالثَّنَاهِي فِي التَّعَدِي وَالسَّرَّفَ

٤٠٣٤

وله في صفة عود

صَوْتُ فَتَاهِ تَشَكُّو فِيَاقِ قَتَّ
جَاءَتْ بِعُودٍ كَأَنَّ نَعْمَتَهُ
كَائِمًا الْزَهْرُ حَوْلَهُ نَبَّاتَا^٢
مُحَفَّفٌ حَفَّتِ التُّفُوسُ بِهِ
مِثْلُ اخْتِلَافِ الْكَهْنَينِ سُبَّاتَا
دَارَثُ مَلَاوِيهِ فِيهِ وَأَخْتَلَفَتْ
عَلَى بَرِيدِ لِعَاجَ وَالْتَّفَاتَا
لَوْحَرَكَهُ وَرَاءَ مُنْهَرِمِ

١ الأصل: رشأءٌ. ٢ الأصل: قف على وصف العود) وردت في الهاشم.

يَا حُسَنَ صَوْتِيهِمَا كَاهِمًا أَخْتَانٍ فِي صَعْدَةٍ تَرَاسَلَتَا
وَهُوَ عَلَى ذَا يُنُوبُ إِنْ سَكَتَ عَنْهَا وَعَنْهُ يُنُوبُ إِنْ سَكَّا

وله في ذلك

وَمُسْمِعَةٌ تَحْنُو عَلَى مُتَرَّزٍ
إِذَا مَا تَأْمَلَتِ الْحَشَى مِثْهُ خِلَّتِهُ
لَهُ نَعْمٌ يُفَضِّيْنَ مِنْ كُلِّ سَامِعٍ
إِذَا طَرَقَهُ بِالْأَنَامِ لَلْمَلَلُ وَالثَّقَى
بَكَى طَرِبًا فَاسْتَضْحَكَ اللَّهُو تَحْوَهُ
وَقَنَحَهُ الْيَمْنَى حِسَابًا مُفَصَّلًا
فَمُتُّ صَرِيعَ السُّكَرِ أَطِيبَ مَيْتَةً
وَمَا الْحَلْمُ إِلَّا أَنْ يُسَفِّهَكَ السُّكَرُ

٦٤٣

ومن ملحوظاته شعره

يَقُولُونَ ثُبَّ وَالْكَاسُ فِي يَدِ أَغِيدِ
فَقُلْتُ لَهُ لَوْكُثُ أَحْمَرَتْ تَوْهَةً
وَصَوْتُ الْمَثَانِي وَالْمَلَاثِ عَالِيٌّ
وَأَبْصَرْتُ هَذَا كَلْهُ لَبَدَائِيٌّ

وله يصف معرفة

مُعَلَّقَةُ الْأَوْتَارِ صَحَابَةُ
رَأَدَتْ عَلَى الْمِرْهَرِ طِيبًا وَقَدْ
مَكْسُوَةٌ أَحْشَاؤُهَا جِلْدَهَا
كَانَتْ سَعَةُ أَوْتَارِهَا

١ الأصل: نصين.

وله في مضراب

يَا أَيُّهَا الْأَصِيلُ الْمُدْلُ بِحُسْنِهِ
يُقْبِلُ مِضْرَابٌ حَكَاكَ بِحُسْنِهِ
مُشَبِّهٌ بِكَ حِينَ تَخْطُو لَاهِيَا
لَا تُشْمِنَ بِي أَحْسُودَ بِرَدَهِ
لَمْ أَهْدِهِ لَكَ يَا مُنَايِ وَإِنَّكَا

جُدْ لِلْمُجْبِ فَأَنْتَ أَهْلُ الْجُودِ
حَسِنَ التَّعْطِيفُ مُخْطَفٌ مَقْدُودٌ
وَتَمِيسُ بَيْنَ بَحَاسِدٍ وَعُقُودٍ
يَقْدِيَكَ كُلُّ حَسُودَةٍ وَحَسُودٍ
أَهْدَيْتُهُ مُتَقَرِّبًا لِلْعُودِ

وله يريثي قدحًا كان له انكسر

وَعِنْدِي فَجَاءَ لِلْكَابِاتِ
وَعَاءُ الْمُدَامِ وَتَاجُ الْبَنَانِ
يَرُدُّ عَلَى الشَّخْصِ تِمَالَهُ
يَكَادُ مَعَ الْكَاءِ إِنْ مَسَهُ
فَأَفْقَدَنِيهِ عَلَى ضَلَّةٍ
كَانَ لَهُ نَاظِرًا يَنْتَقِي
فَلَا تَبْعَدَنَّ فَكَمْ مِنْ حَشِّي

وَلَيْسَ كَجَعَتِنَا بِالْقَدْحِ
وَخِدْنُ الْسُّرُورِ وَمُفْصِي الْتَّارِ
فَلَوْ تَخْنِذُهُ مَرَأَةً صَلَّ
لِكَا فِيهِ مِنْ شِبْهٍ وَيَسْنَغٍ
بِهِ لِلرَّمَانِ غَرِيمٌ مُلْحِ
فَمَا يَتَعَمَّدُ غَيْرَ الْمُلْحِ
عَلَيْكَ كَلِيمٌ وَقَلْبٌ قَرِحٌ

وله في النيل

كَانَ الْنَّيلَ حِينَ أَتَى بِصَرِ
وَفَاضَ بِهَا وَكَرَّتِ الْثَّرَاعُ
وَاحْدَقَ بِالْقَرْيِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ
سَمَاوَاتٌ كَوَافِهَا ضِيَاعُ

وقال في البطيخ

^١ ورد البيت في الهاشم.

وَطِيبٌ أَهْدَى لَنَا طِيبًا فَدَلَّتَ الْمُهَدِّي عَلَى الْمُهَدِّي
يَا جَائِي الْبُطْرِيج مِنْ عَرْسَه جَنَيْثٌ مِنْهُ مَرَّ الْحَمَدِ
لَمْ يَأْتِنَا حَتَّى أَتَنَا بِهِ رَوَاعَهُ أَغْنَثَ عَنِ الْثَّدِ
كَامَّا تَكْشِفُ مِنْهُ الْمُهَدِّي كَامَّا تَكْشِفُ مِنْهُ الْمُهَدِّي
كَامَّا فِي جَوْفِهِ قَهْوَهُ يُنْقَعُ فِيهَا مَنَدُلُ هَنْدِي

وَفِيمَا أَتَيْنَا بِهِ مِنْ طَرِيفٍ شِعْرٌ وَغَرِيبٌ صِفَاتُهُ كَهَايَةٌ تَقِيٌّ بِالشَّرْطِ وَلَا تَجْلُوزُ الْحَدَّ.

دِير قُنْتَيٌ وُيُرَفَ أَيْضًا بِدِير مَارِي السَّلِيم

وهذا المدير على ستة عشر فرسناً من بغداد مخدراً في الجانب الشرقي. يبنه وبين
 ١٠٣٥ دجلة ميل ونصف وبينه وبين دير العاقول بريد. وهو دير حسن نزه عامر وفيه مائة
 قلالية لرهانه والمتبنين فيه. لكل راهب قلالية وهم يتبعون هذه القلالي بيتهم من
 ألف دينار إلى مائتي دينار إلى خمسين ديناراً. ^١ وحول كل قلالية بستان فيه من جميع
 الثمار والنخل والزيتون وتتابع غلته من مائتي دينار إلى خمسين ديناراً. ^٢ وعليه سور
 عظيم يحيط به وفي وسطه نهر جاري. وعيده الذي يجتمع الناس إليه عيد الصليب.
 وقد وصفه الشعرا وابن جمهور فيه

٢٠٣٥

يَا مَنْزِلَ اللَّهُو بِدِيرِ قُنْتَيٍ
 قَلِيلٌ إِلَى تِلْكَ الْيَمِيْنِ قَدْ حَنَّا
 سُقْيَا لِأَيَامِكَ لَمَّا كَنَّا
 مَتَّارُ مِنْكَ لَذَّةً وَحُسْنَا
 إِذَا أَتَشَيْنَكَا وَصَحْوَنَا عُدْنَا
 أَيَّامٌ لَا أَنْعَمَ عَيْشٌ مِنْنَا
 وَإِنَّ فَنَّى دَنْ بَرْلَنْكَا ^٣ دَنَّا
 حَتَّى يُظْنَ أَنْكَا جُنْنَا
 يَحْكِي لَنَا أَعْصَنَ الرَّطِيبَ اللَّدَنَا
 وَمُسْعِدٍ فِي كُلِّ مَا أَرْدَنَا
 أَحْسَنَ خَلْقَ اللَّهِ أَدَى لَحْنَا
 بِاللَّهِ يَا قَسِيسَ يَا مَا قُنْنَا
 مَتَّيْ رَأَيْتَ الرَّيشَأَ الْأَغَنَّا
 آهٌ إِذَا مَا مَكَاسَ أَوْ شَنَّا
 مَتَّيْ رَأَيْتَ فِتَّيَتِي يُوْحَنَّا
 يَا مُسْتَيَةَ الْقَلْبِ إِذَا تَمَنَّى
 ثُمَّ قَلَبَتِي فِي الْهَوَى الْجَنَّا
 وَصَارَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِ سِجْنَاً
 فَمَا يُلَاقِي الْجَحْنَمُ مِنْهُ جَفْنَاً

^١ الأصل: دينار. ^٢ الأصل: دينار. ^٣ الأصل: زلنا.

أَفْدِيكَ لَمْ تَهْجُرْ صَبَّاً مُضْنَا
قَدْ كَانَ مِنْ عَدْرَكَ مُظْمَنَا
أَسَّاثٌ إِذَا أَخْسَثْتُ فِيكَ الظَّنَا وَصَارَ قَلْبِي فِي يَدِيكَ رَهْنَا

وقال فيه أيضاً

وَكُوكُ وَقَةٌ فِي دَيْرِ قَنِي وَقَمْنَا
أَغَارِلُ فِيهِ فَاتَّ الْطَّرْفِ أَحْوَرَا
وَكُوكُ فَنَكَةٌ لِي فِيهِ لَمْ أَنْسِ طِيمَنَا
أَمْتُ هَا عَزْفًا وَأَحْيَيْتُ مُنْكَرَا

وهو أبو علي محمد بن الحسين بن جمهور العبي^١ وكان أبوه من رواة أهل البيت
صلوات الله عليهم وحاملي الأثر عنهم. وكان أبو علي ظريفاً متأدباً مليح الشعر
والكتابة وقد سافر في طلب العلم وطرح في مواطن اللعب وعاشر أهل الخلاعة
وطرق الم hanas والديارات. ثم أقام بالبصرة وحسن حاله بها وصارت له نعمة كثيرة.
ومن شعره في جارية كانت في القيان تعرف بزاده جارية المنصورية وكانت له
معها في القيان أحاديث طريفة ثم تأثى له أن اشتراها قوله

رُبَّكَا أَسْتَصْبَبَ وَأَسْتَبَعَدَ أَمْرٌ وَهُوَ دَانِي
يَفْعُلُ إِلَّا إِنْ كَانُ مَا يَهْوَاهُ فِي صَفْوِ الْمَازَانِ
فَيَرَى السَّخَنَ ذِي الْآَيَّاً پِسَ مِنْ نَيْلِ الْأَمَانِ
قَدْ حَوَى مَا كَانَ يَرْجُو فِي أَغْبَاطِ وَأَمَانِ

وقال أيضاً

كُوكُ قَدْ أَرَتَنَا صُرُوفُ الْدَّهَرِ مِنْ عَجَبٍ
وَمِنْ مُحِبٍ شَدِيدِ السُّقْمِ وَالْوَصَبِ
صَفَّاكَ لَهُ الْدَّهَرُ حَتَّى نَالَ بُعْيَتَهُ
مِمَّنْ تَعْشَقَهُ فِي أَيْسَرِ الْتَّلْبِ

وأخباره معها ومع غيرها من القيان عجيبة.

١ الأصل: القبي. ٢ كما في عواد: الأصل: يأتي.

قالت له زادمَهْر هذه وهي في القيان وقد دعاها خذلي الطالع في شيء أضمرته.
فأخذ الطالع وررقها فقال سالت عن رجل عليل القلب شديد الكرب دائم الفكر
طويل الحيرة قد أشفي على أمر عظيم في طاعة إنسان عزيز. فضحكَت ثم قالت مسرعة
على بظرأَم الكاذب. والله ما سالت إلا عن الثوب المصلَّى الذي وعدتني به. متى
تبعدُت به إلى فجول وبعث به إليها.

وطرزَ مرة منديلاً بهذه الآيات وأنفذه إليها

٦٣٥

أَنَا رَسُولٌ مِّنْ فَيْنَىٰ عَاشِقٌ أَدْمُعُهُ مِنْ حَدَّهُ جَارِيَةٌ
هَذَا أَبْنُ جُهْمُورٍ فَوْدِي لَهُ مِنْكَ بِمَا يَهْوَاهُ يَا قَاسِيَةٌ
وَلَيْسَتِ النَّفْسُ إِنْ شَفَهَا حُبُّكِ يَا مَوْلَاتَهُ سَالِيَةٌ

فردت المنديل وقد طرزَت في وسطه

أَمْ مَنْ يَسْخَرُ بِنَا حَتَّىٰ يَنِيكَنَا رَازِيَةٌ

٧٣٥

وكتب إليها وقد كانت هجرته يا سيدة عبدها والله إن الذي بلغك باطل لكنني
أعترف به طاعة لك وأقول كما قال ربعة الأسدية

هَيْنِي أَمْرَأًا أَذَبَتْ ذَنْبًا جَهَلْتُهُ وَلَمْ آتِهِ عَمْدًا وَذُو الْحَلْمِ يَجْهَلُ
عَفَا اللَّهُ عَمَّا قَدْ مَضَى لَسْتُ عَائِدًا وَهَكَانَا أَنَا ذَا مِنْ سُخْنِطُكُمْ أَشَصَّلُ

وقد قلت أيضاً

أَمْلِي إِنْ كُنْتُ أَخْطَأُ تُرَشَّادِي فِي هَوَالِ
فَلَقَدْ أَسْهَرْتُ عَيْنَاً أَرِقْتُ عِنْدَ كَرَالِ
فَأَاصْبِحَيْ عَيْنِي وَجُودِي جَعَلْتُ نَفْسِي فِدَالِ

فوقت على ظهر الرقعة مالك تعم نفسك وتنطع في كتب الأسعار. وجه إلى
الغاللة وقد اصطلحنا.

وله فيها

بَاتَ عِدَّاكَ كَمَا أَيْتَ
يَا مَنْ شَقِّيْتُ بِحُبَّهِ
لَا حُنْتُ عَنْدَكَ مَا حَيْتَ
كُنْ كَيْفَ شَيْتَ فَإِنِّي

وقال لها يوماً يا قبة قالت له يا ابن الخطبين . فقال لها ويلاك أقول لك يا قبة فقولين لي يا ابن الخطبين فقالت نعم أنا شموص أرد بالزوج .

وكان يحضر مجلسه بالبصرة فييل أخبار أهل البيت عليهم السلام وغيرها فإذا فرغ من الإملاء ابتدأ جواريه فقرآن بالحان ثم قلن القصائد الزهدية فإذا فرغ من ذلك انصرف من انصرف واحتبس عنده من يائس به وعمل الغناء والشيب.

فَدَلِّتْنَا هَدِيَّةً كَانِتْ
فِي يَوْمٍ مَهْرَجَانِيَّ
وَأَكَلْنَا مِنْ رُمَّانِيَّ
لَا نَكْ جَانِحَانَا وَنَحْنُ جَانِحَانِيَّ

وكان صاعد من رجالات الناس حزماً وضبطاً وكهيةً وكماً ونبلاً وكان كثير
 ١١.٣٥ الصدقات والصلوات ليلاً ونهاراً وكان في أيام وزارته الموقر يركب إلى دار الموقر
 فيقيم بحضرته أربع ساعات ثم ينصرف إلى منزله فينظر في حوايج الناس وأمور الحاضر
 والغائب إلى الظهر ثم يتقدّم وينام ثم يجلس بالعشى فينظر في الأعمال السلطانية إلى
 عشاء الآخرة لا يريح أو يحصل جميع الأموال ما حُمل منها وما أنفق وما باقى . ويعمل له
 بذلك عملاً في كل يوم ويعرض عليه وما ينفع عنه شيء مما يجري في الأعمال كل يوم ثم
 ينظر في أمراضياعه وأسبابه ويتقدّم إلى وكلائه وخاصته بما يحتاج إليه ثم يتشغل
 بعد ذلك مع نديم يتشغل بحديشه ويأنس به ثم ينام ويقوم في آخر الليل فلا يزال يصلي
 إلى طلوع الفجر ثم يأذن للناس فيسلمون عليه ثم يركب إلى دار الموقر .

قال ولما انصرف صاعد من فارس شكا إليه الموقر أمر عمرو بن الليث وقلة
 ١٢.٣٥ الأموال وما يحتاج إليه لإنهاض العسكر والتيس منه احتيال مال يخرج به راشداً
 إلى الصقار . فقال والله ما لي حيلة أكثر من حظر النفقات ومنع المرتدين . فقال الموقر
 أين يقع ذلك مما أحتج والذى أريد أن تأخذ من التجار قرضاً وتوظف عليهم عليك
 وعلى الكتاب والعمال مالاً تستعين به على إخراج راشد فإذا اتسعنا رددناه عليهم .
 فاستوحش صاعد من ذلك وأراد إعمال الحيلة في التباعد عنه فقال أما بواسطه فلا
 يتهمياً لي ولكن إن أذن لي الأمير في المصير إلى مدينة السلام رجوت أن أحتمل له
 ما يريد . فقال اعزم على ذلك وكتب إلى أبي العباس ابنه بالقبض على ما لصاعد بسر
 من رأى وبغداد وجميع أسبابه .

قال إسحاق بن إبراهيم الكاتب فرأيت صاعداً في اليوم الذي قُضى عليه فيه متناقلأً
 ١٣.٣٥ عن المصير إلى الموقر فلم أزل به إلى أن قعد في الطيارة وهو على غاية الكراهة ووصل
 إلى حضرة الموقر وقد وافق الموقر راشداً^١ أن يسير إلى دار صاعد عند حصوله
 بين يديه فيقبض على ما فيها وعلى ابنه وأسبابه فلما رأى صاعد عند مسيرة الجيش

^١ الأصل: وافق راشداً الموقر . ٢ الأصل: وتسعين .

على الجسر قال ما هذا أعز الله الأمير قال استاذني راشد في عرض رجاله الذين يخرجون معه إلى فارس وقد مضى لعرضهم. قال فأقوم وأمضي نحوهم وأحضر عرض الرجال معه. قال افعل فوش صاعد ليمضي فعدل به إلى الحجرة التي أعدت له ووكل به وبعض على ما كان له بواسطه وعلى عبدون أخيه وجميع أموالهما في يوم واحد. وحصل مما قبض عنه وعن أخيه وابنه من الضياع ما مقدار ارتفاعه ألف ألف دينار ووجد لهم من المتعة والكسوة والطيب والجوهر والفرش والآلات مالا قيمة له كثرةً ونحو أربعة آلاف رأس من الدواب والبغال وأربعة آلاف غلام بين خل وخادم ولم يوجد له مما ظهر من المال إلا نحو مائة ألف دينار ثم وضع يده في كشف أموالهم وودائعهم ومصادرات أسبابهم فكان ذلك أمراً عظيماً.

ولم يزل محبوساً إلى سنة خمس وسبعين^{*} وما تئن ثم نُقل إلى دار ابن طاهر فات ١٤٣٥ هناك من خلفه أصابته فُدُن بِإِزَاء الدار المعروفة به. ومات أخوه عبدون وهو متربّب بدير قني في سنة عشر وثلاثمائة.

عمركسر

وهو أسطل من واسط في الجانب الشرقي منها بالقرية المعروفة بيرجوي^١ وفيه كرسى المطران وهو عمر كير عظيم حسن البناء حكم الصنعة حوله قلايات كثيرة كل قلاية منها لراحب وسبيلها سبيل القلايات التي بدبر ققى. ويحيط بالموقع بساتين كثيرة فيها الشجر والخلل وسائل المثار فكل ذي ظرف يطرقه وكل ذي شجن يتسلل به.
ولمحمد بن حازم فيه وكان قصده أيام مقام الحسن بن سهل بواسط ومدح الحسن
بن سهل وله معه حديث نذكره بعقب الشعر

بِعُمْرٍ وَاسْطَ طَابَ اللَّهُوَ وَالظَّرِبُ
وَالْيَادِكَارَاتُ وَالْأَدَوَارُ وَالْخُبُرُ
وَفِتْيَةً بَذَلُوا لِلْكَاسِ أَنْفَسُهُمْ
وَأَوْجَبُوا لِرَضِيعِ الْكَاسِ مَا يَحْبُبُ
وَانْقَفَقُوا فِي سَبِيلِ الْقَصْفِ مَا وَجَدُوا
مُحَافِظِينَ إِنْ أَسْتَجِدُهُمْ دَفَعُوا
نَادَمُتْ مِنْهُمْ كَرَاماً سَادَةً بُجُبُّا
فَلَمْ تَرَلْ فِي رِيَاضِ الْعُمْرِ نَعْمَرُهَا
وَالزَّهْرُ يَضْحِكُ وَالْأَنْوَاءُ بَاكِيَةُ
وَالْكَاسُ فِي قَلَكِ الْلَّذَاتِ دَائِرَةُ
وَالَّدَّهَرُ قَدْ طُرِفَتْ عَنَّا نَوَاطِرُهُ

وكان محمد بن حازم أحد الشعراء الطبوعين يجيد كل فن يركبه ويأتي بالمعاني التي تستغل على غيره وكان أكثر شعره في القناعة ومدح التصون وذم الحرص والطعم.
وذكر محمد بن حازم هذا قال عرضت لي حاجة في عسكر الحسن بن سهل فأينته وقد

١ الأصل: بيرجوى.

كُتْ قلت في السفينة شعراً فدخلت إلى محمد بن سعيد بن سالم الباهلي فأنسبت
معروفي وأنزلني وأكم مثواي ثم قال لي ما قلت في الأمير قلت لم أقل بعد شيئاً. فقال
رجل كان معه في السفينة بلي قد قال أبياتاً فسألني أن أنشده إياها فأنشدته

وَقَالُوا لِي مَدَحْتَ فَتَّ كِيمٍ
بَلَوْتُ النَّاسَ مُذْ خَمْسِينَ عَامًا
وَحَسِبْتُكَ بِالْجَرَبِ مِنْ عَلِيمٍ
فَكَا أَحَدُ يُعَذَّ لِيَوْمَ حَيَرٍ
وَلَا أَحَدُ يَعُودُ عَلَى حَيْمٍ
وَيُعْجِزُنِي الْفَتَّى وَأَطْنَعُ حَيَرًا
فَأَكْشَفُ مِنْهُ عَنْ رَجُلٍ لَّئِيمٍ
تَقْبَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَاصْحَحُوا
بَنِي أَبَوَيْنِ قُوَّادًا مِنْ أَدِيمٍ
طَوَافَ النَّاسُ بِالْحَسْنِ بْنَ سَهْلٍ
وَيَكْشِفُ كُبَّةَ الرَّجُلِ الْكَلِيمٍ
وَقَالُوا سَيِّدًا يُعْطِي جَرِيلًا
فَقُلْتُ مَضِي بِذَمِّ الْقَوْمِ شِعْرِي
وَقَدْ يُؤْتَى الْبَرِيِّ مِنْ السَّقِيمِ
وَمَا خَبَرُ تُرْجِمُهُ ظَنُونٌ
يَا شَفَى مِنْ مُعَايِنَةِ الْحَكِيمِ
فَإِنْ يَكُ مَا تَنَشَّرَ عَنْهُ حَقًا
رَجَعْتُ بِأَهْبَةَ الرَّجُلِ الْمَقِيمِ
وَإِنْ يَكُ عَيْرَ ذَاكَ حَمَدْتُ رَبِّي
وَرَأَلَ الشَّكُّ عَنْ رَجُلِ حَلِيمٍ
وَلِكَنَ الْكَرِيمُ أَنُو الْكَارِيمٍ

فلما أنسدته الشعر قال بمثل هذا تلقى الأمير والله لو كان نظيرك لما جاز لك أن
تختاطبه بهذا. قلت صدق ولذلك قلت إني لم أمدحه. ولكنني سأمدحه مدحه
تشبهه. قال افعل. ودخل إلى الحسن فأخبره الخبر وأنشدته الشعر وعجبه من جودة
البيت الأخير. فأمر بإدخالي عليه لغير مدح. فادخلت فامرني أن أنشده الشعر
فاستعففته فلم يعفني وقال قد قفت بهذا العذر إذ لم تدخلني في جملة من ذمت
ومع هذا فعلينا حسن مكافأتك فأنشدته فضحك وقال ويحك ما لك ولناس تعمهم

١ الأصل: خسون. ٢ كما في الأصل.

بالمجاء حسبك الآن من هذا النط وابق عليهم فقلت قد وهبتم للأمير قال قد
قبلت وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أهديت له هدية فقبلها ثم وصلني فأجزل.
فقلت فيه وأنشته

٥٣٦

وَهَبْتُ الْقَوْمَ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ
وَقَالَ دَعِيَ الْبَحَاءَ وَقُلْ جَيْلَاً
قَلَّتْ لَهُ بَرِئَةٌ إِلَيْكَ مِنْهُمْ
وَلَوْلَا نِعْمَةُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ
أَيْدُهُمْ مُمَكِّدَةُ الْأَعْدَابِ
وَأَخْتَلُهُمْ مُخَالَةُ الدِّيَابِ
رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَشْبَاهَ الْكَلَابِ

فَوَضَنِي الْجَزِيلَ مِنَ الْثَوَابِ
فَإِنَّ الْقَصْدَ أَقْرُبُ لِلصَّوَابِ
فَلَيْتَهُمْ يُمْنَنْ قَطْعَ الْثَرَابِ
عَلَى لَسْتِهِمْ سُوءُ الْعَذَابِ

فضحك ثم قال ويلك الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعد فقلت هذه بقية
طفحت على قلبي وأناكاف عنهم ما أبقي الله الأمير.

قال وكان محمد بن حازم قد نسرك وترك شرب النبيذ فدخل يوماً على إبراهيم بن شكلة
٦٣٦ خادته وأكل معه وجلس إبراهيم للشرب وسأله أن يشرب معه فامتنع وقال

أَبْعَدَ حَمِيسِينَ أَصْبُو
وَالشَّيْتُ لِلْجَهَلِ حَرْبُ
سِنُّ وَسَيْبُ وَجَهَلُ
يَا أَبْنَ الْإِمَامِ فَهَلَا
وَشَيْبُ رَأْسِي قَلِيلُ
وَأَدْسِهَامِي صِيَابُ
وَأَدْشِفَاءِ الْغَوَانِي
فَالآن لَكَ رَأْيِي
وَأَنَّ الرُّشَدَ مِنِّي
آيَتُ أَشْرَبُ كَاسًا

وَالشَّيْتُ لِلْجَهَلِ حَرْبُ
أَمْرُ الْمُهْرَكَ صَعْبُ
أَيَّامُ عُودِي رَطْبُ
وَمَهْمَلُ الْحُبَّ عَذْبُ
وَنَصْلُ سَيْقَنِي عَصْبُ
مِنِّي حَدِيثُ وَقُرْبُ
الْمُذَالُ مَا قَدْ أَحْبَوْا
قَوْمٌ أَعَابُ وَأَصْبُو
مَا حَجَّ لِلَّهِ رَكْبُ

وذكر حمدان بن يحيى قال آخر ما فارقت عليه محمد بن حازم الله قال لي لم يبق علي شيء من اللذات إلا بع السنانير. فقلت له أنسن الله عينك أيس لك في بع السنانير قال تعجني العجوز الرعناء تخاصمني وتقول هذا سنوري سرق مني فأقول لها كذبت ثم نشمتني وأشتمتها ونخاصمني وأخاصمنها. قال وأنشدني

صِلْحَمَرَةٌ بِحُمَارٍ وَصِلْحَمَارَ بِحُمَرٍ
وَخُدْبِحَظَكَ مِنْهَا رَادًا إِلَى حَيْثُ تَدْرِي

فقلت إلى أين فقال إلى الهاوية يا رقى.

ومن ملحن شعره قوله

أَيَا بْنَ سَعِيدٍ جُرْتُ بِي غَايَةَ الْمِرَّ
وَحَمَلتُنِي مَا لَأَطْبُقُ مِنَ الشُّكْرِ
وَأَنَّ امْرَءًا أَعْطَاكَ مَجْهُودَ شُكْرِهِ
وَفَتَّ وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاكَ لِيَنِي عُذْرِ
تُقْبَّلْ حَالُ الْفَتَّي بَعْدَ حَالَتِهِ
وَتَبَقَّى أَيَادِ حُرَّةٍ لِفَتَّيِ حُرَّ

ومن جيد شعره قوله

وَإِنِّي لَذُو وُدَّ لِـمَنْ دَامَ وُدُّهُ
وَجَافِ لِـمَنْ رَامَ الْجَفَاءَ مَلُولُ
تَعْبَدُهُ فِيهَا الرَّجَاءُ ذَلِيلُ
وَـإِنَّ امْرَءًا يَأْوِي إِلَى دَارِ ذَلَّةٍ
وَـفِي آلِيَاسِ مِنْ ذَلَّ الْمَاطِمِ رَاحَةً

وقال في القناعة

الله أَحَدُ شَاكِرًا
فَبَلاؤهُ حَسَنٌ جَمِيلٌ
أَصْبَحْتَ مَسْتُورًا مُعاكَ
فِي بَيْنِ أَغْنِمِهِ أَجُولُ
الظَّهَرِ يُقْنِعُنِي الْقِلِيلُ
خَلَوًا مِنَ الْأَخْرَانِ خَفَّ

لَمْ يُشْقِنِي طَمَعٌ وَلَا حَرْصٌ وَلَا أَمْلٌ طَوِيلٌ
 سِيَانٌ عِنْدِي ذُو الْغَنِيَّةِ الْمِثْلَافُ وَالْأَجْلُ الْبَغْيَلُ
 وَفَقِيتُ بِإِلَيَّاسَ الْمُنْتَى عَيْنِي فَطَابَ لِي الْمَقِيلُ
 وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ لِيَنْ خَفَّتْ مَوْئِشَةُ خَلِيلُ

قال محمد بن حازم بعث إلى بعض الطاهيرية وكتت قد بالفت في هجوه وأفرطت بالف ١٠٣٦
 درهم وتحت ثياب وقال أما ما قد مضى فلا سبيل إلى رده ولكني أحبت ألا تزيد عليه شيئاً. فددت الدرارهم والثياب وكتت إليه

لَا أَبْلُسُ الْعَمَاءَ مِنْ رَجُلٍ الْبَسْتُهُ عَارًا عَلَى الدَّهْرِ

ثم أمسكت عن هجائه.

قال وكان سعيد بن مسعود القطربي صديقاً لي فسألته حاجة فردني عنها ١١٣٧
 فانقطعت عنه فبعث إلى بالف درهم وترضاني فددتها وكتت إليه

مُتَسَعُ الصَّدْرِ رَحِيبٌ لِمَا
 يَضِيقُ عَنْهُ الْحَوْلُ الْقُلْبُ
 رَاجِعٌ بِالْعُشَبِيِّ فَاعْتَبِثُ
 وَرَبِّكَا أَعْتَبَكَ الْمُذْنِبُ
 أَجَلٌ وَفِي الدَّهْرِ عَلَى أَنَّهُ
 مُوْكَلٌ بِالْبَيْنِ مُسْتَعْتَبٌ
 سُقِيَا وَرُعِيَا لِزَمَانٍ مُضَيَّ
 عَيْنِي وَسَمَّ الشَّامِتُ الْأَحَبُ
 قَدْ جَاءَنِي مِنْكَ مُؤْنَلٌ فَلَمْ
 أَخْذِي مَالًا مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي
 أَغْرِضْتُهُ لَهُ وَالْحُرُّ لَا يَكْذِبُ
 أَوْلَيْتِنِيهِ مَرْكَبٌ يَصْعُبُ
 أَنْفَقْتُ أَنْ أَشْرَبَ عِنْدَ الرِّضَا
 وَالسُّخْنَطِ إِلَّا مَسْرِبًا يَعْذِبُ
 أَرْجُو سَوَى اللَّهِ وَلَا أَرْهَبُ
 قَارُونُ عِنْدِي فِي الْفَنِي مُعْدِمٌ
 وَهِمَيْتِي مَا فَوْهَمَ كَا مَذْهَبُ
 فَأَيُّ هَاكَيْنِ تَرَانِي بِهَا
 أَصْبُو إِلَى مَكَالَكَ أَوْ أَرْغَبُ

ومن شعره في القناعة قوله

مَنْ أَعْمَلَ الْيَاسَ كَانَ الْيَاسُ جَاعِلَهُ
وَمَنْ رَمَاهُ بَعَيْنَ الظَّامِعَيْنَ رَأَى
الْيَاسُ خَيْرًا وَمَا لِيَسِ مِنْ ثَمَرٍ
مُعَظَّلًا أَبَدًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ
ذُلًا وَحَسُوهُ مَرَّ الْمَنْعِ فِي كَاسِ
هَاتِ امْرَأًا ذَلَّ بَعْدَ الْيَاسِ لِلنَّاسِ

وقال في هذا المعنى

جَعَلَتْ مَطِيلَةً الْأَمَالِ يَاسًا
فَتَلَكَ مَطِيلَةً الْأَمَالِ غُفْلًا
لَعْمُرُكَ لِلْقَلِيلِ أَصُونُ وَجْهِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِي كَثِيرًا
فَعِشْ بِالْقُوتِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ
وَلَا تَرْغَبْ إِلَى أَحَدٍ بِحِرْصٍ
فَآوَيْنِي إِلَى كَنْفِ وَدِيعٍ
بِلَارْخِلِ يُشَدُّ وَلَا سُوعٌ
بِهِ فِي الْأَوْحَدِينَ وَفِي الْجَمِيعِ
مُمَدِّدًا إِلَيْهِ أَغْنَاقَ الْخُضُوعِ
كَمْصَ أَطْفَلِ فِيقَاتَ الْصُّرُوعِ
رَفِيعٌ فِي الْأَنَامِ وَلَا وَضِيعٌ
فَهَلْ لَكَ مِنْ شَبَابِكَ مِنْ رُجُوعٍ

قال محمد بن حازم دخلت على المأمون فلما مثلت بين يديه قال كيف بصرك أيام ١٢٣٧ الناس وأخبار العرب قلت أنا على الميدان فليطلق من عناني. قال أنسد ما بدا لك. فترك ما أومأ إليه وعملت في صلاح شأنى وقلت مجلس خلافة ولست آمن بنبوة فأنشدته

رُرِقْتُ عَقْلًا وَلَمْ أَرْزَقْ مُرْوَةَهُ وَمَا الْمُرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْكَالِ
إِذَا أَرْدَتُ مُسَامَةً تَقَاعِدَيِي عَمَّا يُؤْهِي بِاسْتِي رِقَةُ الْحَالِ

قال المأمون الشيخ يشكو رقة الحال فليدفع إليه ألف درهم وتبسم فقلت ما وراء التبسم إلا خير فأنشدته

أَنَّ سَمَاءً وَيَسِّدِي أَرْضُهَا
وَالْأَرْضُ قَدْ تَأْمُلُ عَيْثَ السَّمَا
فَأَرْزَعَ يَدًا عِنْدِي حَمْوَدَةً
تَحْصُدُهَا فِي الْأَنْسِ حُسْنَ الشَّنَّا

قال هذا المعنى أقوى من الأول وأمر لي بتأليفي درهم ثم قال خدعني قلت قد ١٤٣٦
حضرني بيتان في الحديعة فقال وما هما فأنشدته

وَإِذَا الْكَرِيمُ اتَّهُ بِخَدِيعَةٍ فَرَأَيْتُهُ فِيهَا تَرُومُ يُسَارِعُ
فَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ لَمْ تَخَادِعْ جَاهِلًا إِنَّ الْكَرِيمَ يُفْعِلُهُ يَخَادِعُ

فقال هما والله أحسن من الأول وأمر لي بمثل ما أمر به وسائلني أن أنشده
فأناشدته

لَا تَرْهَقَنَا صَبَرَةً مِنْ سَائِلٍ فَلَيْلَرُ دَهْرِكَ أَنْ تُرِي مَسْؤُولًا
لَا تَجْهِبَنِي بِالْمُشْغَلِ وَجْهَ مُؤْمِلٍ فَبَقَاءُ عِزَّكَ أَنْ تُرِي مَأْمُولًا
وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ صَائِرٌ حَبَرًا فَكُنْ حَبَرًا يَرُوقُ جَيْلاً
يُلْقَى الْكَرِيمُ فَيُسْتَدَلُّ بِسُرِيرٍ وَتَرَى الْأَعْبُوسَ عَلَى اللَّيْمَ ذَلِيلًا

فقال الله درك ما أحسن معانيك. يا غلام صاك له بمثل ما أعطيناها.

وله من هذا الفن وغیره كل شيء حسن ولو لا خروج الكتاب عن حدّه المرسوم وخوف ١٥٣٦
الإطالة لأوردت من غير شعره ومحاسنه ما يلتبذه سامعه. وفيما أوردها كهایة.

١ الأصل: صائرًا.

ديارات مصر التي تقصد للشرب فيها والتئزه بها ف منها

دير القصیر

وهذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته وهو دير حسن البناء حكم الصنعة نزه
البقعة فيه رهبان مقيمون به وله بئر منقرفة في البحر يُستقي الماء له منها وفي هيكله
صورة مريم في حجرها صورة المسيح عليه السلام والناس يقصدون الموضع للنظر إلى
هذه الصورة. وفي أعلى غرفة بناها أبوالجيش خمارويه بن أحمد بن طولون لها أربع
طاقات إلى أربع جهات وكان كثيرون الغشيان لهذا الدير محبًا بالصورة التي فيه يشرب
على النظر إليها.

وفي الطريق إلى هذا الدير من جهة مصر صعوبة فأماماً من قبليه فسهل الصعود
والنزول وإلى جانبه صومعة لا تخلو من حبيس يكون فيها وهو مطل على القرية المعروفة
بشهران وعلى الصحراء والبحر. وهذه القرية المذكورة قرية كبيرة عامرة على شاطئ البحر
ويذكرون أن موسى صلى الله عليه ولد فيها ومنها ألقته أمها إلى البحر في التابوت.
فدير القصیر هذا أحد الديارات المقصودة لحسن موقعه وإشراشه على مصر
وأعمالها. وقد قال فيه شعراء مصر وذكروا طبيه وزهرته ولأبي هريرة ابن أبي العاص فيه

كَمْ لِي بِدِيرِ الْقُصِيرِ مِنْ قَصْفٍ
مَعْ كُلِّ ذِي صَبَوَةٍ وَذِي ظَرْفٍ
لَهُوَتْ فِيهِ بِشَادِينِ غَنَمٍ
تَقْصُرُ عَنْهُ بَدَائِعُ الْوَصْفِ

وقال فيه أيضاً

أَذْكُرْنِي يَا دِيرُّ مَنْ قَدْ مَضَى
كَمْ كَانَ لِي فِيكَ وَفِيهِمْ مَعًا
مِنْ طَيِّبِ أَيَّامِ وَلَيَالٍ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مُصَابِي بِهِمْ

ولِمَدْبُنْ عاصِمٌ فِي هَذَا الدِّيرِ

٢٠٣٧

إِنَّ دِيرَ الْقُصَيْرِ هَاجَ أَدْكَارِي
وَرَمَكَانًا مَضَى حَمِيدًا سَرِيعًا
عَرَفَتِنِي رُبُوعُهُ بَعْدَ نُكَرِ
فَلَوْ أَنَّ الْدِيَارَ شَكُو أَشْتِيَاقًا
وَلَكَاءِدَتْ نَحْويَ تَسِيرُ لِكَادَ
فَكَائِيَ إِذْ رُرْتُهُ بَعْدَ هَجَرِ
إِذْ صُعُودِي عَلَى الْجِيَادِ إِلَيْهِ
بِصُقُورِ إِلَى الْدَّمَكَاءِ صَوَادِ
مَزِلَّاً لَسْتُ مُخْصِيًّا مَا لِقَلْبِي
مَزِلَّاً مِنْ عُلُوهُ كَسَماءِ
وَكَانَ الْرَّهْبَانَ فِي الشَّعَرِ الْأَسْوَدِ
غَرْبُهُ ذُو الْحَكَارِ وَالْأَنْكَارِ
غَرَدَتْ بَيْتَهَا الْطَّيُورُ فَطَارَتْ
كَمْ خَلَعَتْ الْعِذَارَ فِيهِ وَلَمْ أَرْ
كَمْ شَرِبَنَا عَلَى التَّصَاوِيرِ فِيهِ
صُورَةٌ مِنْ مُصَوَّرِ فِيهِ ظَلَّ
أَظْرَتْنَا إِغَرِيَّ شَدِّوْ فَاغْتَثَ
يَقْثُرُ الْجَسْمُ حِينَ تَرْمِيَهُ حُسْنَا

١ الأصل: بيتنا.

وأشکارٍ هم کا إلی من رآهَا بِحُضُورٍ وَذِلَّةٍ وَأَنْكِسَارٍ
 لَا وَحْسَنَ الْعَيْنَينَ وَالشَّفَةَ الْلَّمَيَاءَ مِنْهَا وَخَدَّهَا الْجُنَاحَارِي
 لَا تَخَلَّفَتْ عَنْ مَرَازِي لِدَيْرٍ هِيَ فِيهِ وَلَوْنَائِي بِي مَرَازِي
 فَأَقْصَرَأَنْ مَلَامِي الْيَوْمِ إِلَيْيِ غَيْرُ ذِي سَلَوةٍ وَلَا إِقْصَارٍ
 فَسَقَى اللَّهُ أَرْضَ حُلْوَانَ فَالْخَلَ فَدَيْرَ الْقُصِيرَ صَوْبَ الْقِطَارِ
 كَمْ شَبَّهْتُ مِنْ لَذَادَةٍ نَوْمِي بِسَعِيرِ الْرُّهْبَانِ فِي الْأَسْحَارِ
 وَالنَّوَاقِيسُ صَائِحَاتُ شَنَادِي حَيَّ يَا نَائِمًا عَلَى الْإِبَيَارِ
 قَبْلَ أَنْ يُنْيَلِي الْجَدِيدَ الْجَدِيدَاً نِيلَيْلَ مُعَاوِبٍ لِهَارِ
 إِنَّمَا هَذِهِ الْحِيَاةُ وَعَلَى الْمُسْتَعِيرِ رَدَّ الْمَعَارِ

ولابن النبوي المصري في دير القصیر من شعر طويل

٤٠٣٧

كَانَهَا فِي الْقَلْبِ أَطْرَافُ الْأَسْلَ
 يَا صَاحِبِي بِالْدَيْرِ فِي خَيْرِ مَحَلِّ
 يَا مَنْ رَأَى الْجَنَّةَ فِي رَأْسِ جَبَلِ
 تَدَبُّبٌ فِي الْجَسْمِ صَبَاحِي وَالْأَصْلُ
 يُحْيِي مَنْ شَاءَ وَمَنْ شَاءَ قَتَلَ
 زَادَ عَلَيْهِ بِالْقَوَامِ الْمُعْتَدِلِ
 تَاهَ إِهْمَا عَلَى الْوَرَى تِيهَ مُدِلِّ
 نُورٌ يَقُولُ نُوعٌ بِدَلٌّ وَغَرَلٌ
 ضَرَبَ النَّاقُوسَ فِيهِ رَاهِبٌ
 وَأَغْتَمَ الدَّهْرَ فَلَلَّهَهُرْ دُولٌ
 يَنْفَعُ عِنْدَ الْبَيْنِ لَيْثٌ وَلَعْلَ

يَا حَسَرَةَ فِي الْقَلْبِ مَا أَقْتَلَهَا
 كَمْ كَمْ وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ أَحْيَتْهَا
 دَيْرُ الْقُصِيرُ الْفَرِدُ فِي صِفَاتِهِ
 أَشْرَبَهَا رَاحَا شَمُولاً قَرْفَهَا
 يُدِيرُهَا ذُوْغُمْ بِظَرْفِهِ
 كَانَهُ عُصْنُ مِنْ الْبَانِ وَقَدْ
 الشُّعُ حَنْفُ الْمَاسِ فِي لَعْنَتِهِ
 إِنْ قَالَ نَارٌ قَالَ نَاغٌ أَوْ يَقُولُ
 وَضَرَبَ النَّاقُوسَ فِيهِ رَاهِبٌ
 فَأَحْمَثَ كُوُسَ الْرَّاحِ يَا سَاقِيَنَا
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَطْرُقَنَا بَيْنَ فَلَّا

١ الأصل: (المشار) وردت فوق هذه الكلمة.

دیر مر حنّا

وهذا الدير على شاطئ بركة الحبس قرب من البحر وإلى جانبه بساتين أنشأ بعضها
الأمير تميم أخو أمير المؤمنين العزيز بالله عليهما السلام ومجلس على عمد حسن البناء
مليح الصنعة مصوّر أشلاء الأمير تميم أيضاً. وبقرب هذا الدير يُعرف بئر نجاتي
عليها جمية يجتمع الناس إليها ويشربون عندها. فهذا الموضع من مواضع اللعب
ومواطن الهوى والطرب نزه في أيام النيل وزيادته وامتلاء البركة حسن المنظر نزه البقاع
وكذلك في أيام الزرع والمثار. ولا يكاد يخلو من المتضرحين والمتزهفين.

وقد ذكرت الشعرا حسن وطيبة ولابن عاصم فيه

يَا طِيبَ أَيَّامَ سَفَحُ مَعَ الصَّبَرِ
فَالْبَرْكَةُ الْغَنَاءُ فَالدَّيْرُ الَّذِي
فَاحْتَسَ كُوْسَكَ يَا غُلَامُ وَأَغْفِينِي
وَأَرَى الشَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَانَهَا
فَأَشَرَتْ عَلَى حُسْنِ الْيَاضِ وَغَنَّيِ
فَلَعَلَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَلِيلَةٌ

وَقَالَ أَنْصَارًا

عَرْجٌ بِحُمْرَةِ الْعَرْجَا مَطْيَّاتٍ
وَاللَّمْ يَقْسِرُ أَبْنَ سَطَامَ فَرِيقًا
وَاقْرَأَ عَلَى دَبَرِ مَرْحَنَةِ السَّلَامَ فَقَدْ
وَرِكَةَ الْحَبْشِ الْلَّاَتِي يَهْجِتُهَا
كَانَ أَجْبَاهُمْ كَمِنْ حَوْلَهَا سُجُوبٌ
كَانَ أَذَنَابَ مَا قَدْ كَانَ صِيدَ لَهَا

أَسِنَةٌ خُضِيَّتْ أَظْرَافُهَا بِدَمِ
مَسَانِلًا كُنْتُ أَغْشَاهَا وَأَطْرُفَهَا
وَكُنْ فِدْمًا مَوَاحِدِي وَحَانَتِي

وقال أيضاً

٤٠٣٨

سَقَاكِ اللَّهُ نَوْءَ الْمَرْمَيْنِ
وَوَكَلْتِ الْفُرَادَ بِلَوْعَتِينِ
يَعُودُ وَصَالُهَا مِنْ بَعْدِ يَبْرِ
وَأَعْطَشَ مَنْزِلًا بِالْجَلَهَتِينِ
إِلَى الْفَخَلَاتِ فَالْجُمِيْتِينِ
تَسِيرُ إِلَى جَنَانِ السَّرَوَتِينِ
رَبِيبٌ بَيْنَ تِلْكَ الرَّبُوتِينِ
بِاَكْمَمَ مَعْمَدَيْنَ وَمَالْفَيْنِ
وَعَرَفَ فِي رِيَاضِ الْبَقْعَتِينِ
وَنَالَ مُنَاهًا وَسَطَ الْمُنِيْتِينِ
اَيَّاً يِيْ شَاطِي الْبِرْكَيْنِ
لَقَدْ اَذْكَرْتِنِي طَرِيْ وَهَوِيْ
تُرَى اِيَّاً مُنَا فِيْكَ الْمَوَاضِيْ
سَقَى اللَّهُ الْبَقَاعَ مُلْثَ قَطْرِ
وَطَلَّ الْطَّيْلَسَانَ بِصَوْبِ طَلِّ
وَدَارَ عَلَى الْمَدَارِ رَهَامُ مُرْنِ
وَخَصَّ الْرَّبُوتِينَ فَكَمْ عَرَائِ
مَسَانِلُ قَدْ شَهَدَنَا اللَّهُو فِيهَا
وَكَمْ مِنْ بَيْعَةٍ عَقِدَتْ لِقَصْفِ
وَكَمْ مِنْ مُدْنِفٍ قَدْ حَارَ وَصَلَّ

ولعبد الله البصري من قصيدة

٥٠٣٨

قَدْ دَعَرَ الشَّوْقُ فَوَادِي فَانْدَعَرَ
إِذَا تَدَاعَى الظَّيْرُ فِيهَا فَصَفَرَ
حُسْنَ مَسِيلٍ مَاهِيَا إِذَا أَنْهَدَرَ
مَبْذُولَةً لَيْسَ هَا مِنْ مُجَرَّ
بُشَرٌ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي فَاتَّثَرَ
فِي ذِلْكَ الْرَّوْضِ بِتَبَدِيدِ الْبِدَرِ
يَا حَامِلَ الْكَاسِ أَدْرَهَا وَأَسْقِنِي
أَمَا تَرَى الْبِرْكَةَ مَا أَحْسَنَهَا
أَمَا تَرَى نُواهِكَأَمَا تَرَى
كَائِمَا صُفْرُ الدَّنَانِيرِ هَا
كَائِمَا الْجَوَهَرُ فِي الْوَاهِهَا
كَائِمَا كَفُ جَوَادِ وَلَعَتْ

١ الأصل: عبد الله البصري.

وَأَيْضُ الْرِّجْسِ فِي أَجْكَانِهِ دَمْعُ الَّذِي لَوْلَا اللَّشَاجِ لَقَطَرَ
وَنَظَرَةُ الْوَرَدِ إِلَى أَثْرَاهِ نَظَرَةُ مَعْشوقٍ بِلَحْظٍ مُنْكَسَرَ
دَعْنِي هَمَا أَهْلِكُ إِلَّا بِالْجَوَى مَا عِيشَةُ الْعَاشِقِ إِلَّا فِي كَذَرِ

ولصالح بن موسى مولىبني تميم يذكر البركة

وَحَسْبُكَ الْبَزَكَةُ مَرَأًى لَا يُمْلِئُ
تَبَذُّلَ وَشِيَامَ لَمْ يَكُنْ يَمْتَذَلُ
مُتَّصِلَ الْأَطْرَافِ غَيْرَ مُفَصَّلٌ
مِنْ شَاطِئِ الْنَّيلِ إِلَى سَفَرِ الْجَبَلِ
أَكْرَمُ بَنِتَكَ مَبْرِلًا لِمَنْ نَرَلَ
قَدْ شَسَطَتْ أَطْيَارُهُ بَعْدَ الْكَسَلِ
وَسَجَعَتْ وَرَجَعَتْ عَلَى هَمَلِ
كَانَهُنَّ فِي مِرَاءِ وَجَدَلٍ يَخْنُ لَالْحَرْنِ لِكَنْ لِلْجَدَلِ
يُذَكِّرُنَا أَيَامَنَا الْغَرَّ الْأُولَى

٦٠٣٨

٧٠٣٨

وقال أيضاً يذكر الدير والبركة

فَأَجْنَحَ إِلَيَّ وَلَا تَغْرِ
إِنِّي لِمِثْلِكَ نَاصِحٌ
بَكَرٌ إِلَى دَيْرِ الْمَعَا^١
فِرِآنَ أَوْكَاثُ الْبُكَرِ
أَوْمَا تَرَى حُسْنَ الْيَا^٢
ضِ وَمَا الْكَسِينُ مِنَ الْزَّهَرِ
وَجْهُ الْرَّبِيعِ وَحَبَّذَا^٣
وَجْهُهُ الْرَّبِيعِ إِذَا ظَهَرَ
الْوَشِيُّ يُسَرُّ وَالْلَّالَا^٤
حِفُّ وَالْطَّارِفُ وَالْحَبَرُ
هَذَا الْبَنَقِيَّ فِي الْحِدَا^٥
دِ بِعَيْرِ حُرْنِ قَدْ ظَهَرَ
وَأَتَى الْبَهَارِ بِصُفَرَةٍ^٦
فِلْكُلُ حُسْنٍ قَدْ بَهَرَ
وَكَانَ آدَرِيُونَةُ^٧ كَاسَاتُ خَمْرٍ تَسْتَدِرَ
وَكَانَتَا الْمَثُورُ عَقْدُ^٨ فِي جَوَابِهِ أَنْشَرَ
وَالْأَقْوَانُ فَضَاحِكٌ^٩ عَنْ عَسْبَدٍ فِيهِ دُرَرٌ

وَشَقِّاْقُ الْعَمَانِ كَالْأَعْلَامِ ثَمَّ^١ لِمَنْ نَظَرَ
 وَتَوَرَّدَ الْوَرْدُ الْذَّكِيُّ وَفَاكَ حِسْكَانِ الْسَّحَرِ
 وَبَحَّاوَتْ طَيْرُ الْفُصُوْنِ بِكُلِّ لَحْنٍ مُّشْهَرِ
 فَمُغَرَّدُ حَسَنُ الْغِيَّانِ شَدَا وَآخَرُ قَدْرَمَرَ
 وَسَرَّقَتْ أَنْفَاسُنَا بِسِيمِ أَنْفَاسِ الْسَّحَرِ

ديرنهيا

ونهيا بالجizza وديرها من أحسن الديارات وأنزهها وأطيبها عامر بربانه وسكناه.
 ١٠٣٩
 وله في النيل منظر عجيب لأن الماء يحيط به من جميع جهاته فإذا انصرف الماء ورزع
 أظهرت أراضيه غرائب النوار وأصناف الزهر فهو من المتزهات الموصوفة والبقاء
 المشهورة. وله خليج يجتمع إليه سائر الطيور فهو أيضاً متصيد حسن وقد وصفته
 الشعراء وذكرت حسه وطيب موضعه.

وللعباس بن البصري فيه

عَرِيتُ لَوَاحِظُهُ سُكْرِ الْفُيُوقَ
 يَا مَنْ إِذَا سِكَرَ الْنَّدِيدَ بِكَاسِهِ
 طَلَمَ الصَّبَاحُ فَسَقَنِي تِلْكَ الَّتِي
 طُلِمَتْ فُشْبَةَ لَوْهُمَا بِالْبَنْقِ
 وَالْقَاصِبَاحَ يُنُورُ وَجْهِكَ إِنَّهُ
 لَا يَلْتَقِي الْفَرَحَانَ حَتَّى يَلْتَقِي
 قَلْبِي الَّذِي لَمْ يُقِنْ فِيهِ هَوَاهُكُمْ
 إِلَّا بِقِسْيَةَ نَارِ شَوَقٍ قَدْ يَقِنُ
 أَوْمَّا تَرَى وَجْهَ الرَّبِيعِ وَقَدْ رَهَتْ
 وَبَحَّاوَتْ أَطْيَارُهُ وَبَسَّمَتْ

١ الأصل: ثم. ٢ الأصل: ولعباس.

لَمْ يَفْدُهَا طَلْلُ الرَّذَادِ بِسَرْدَهِ
 وَالْبَدْرُ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ كَاهَهُ
 يَا لِلْدَنَارَاتِ الْمَلَاحِ وَمَكَاهَهَا
 أَيَّامَ كُثُّ وَكَانَ لِي شُغْلٌ هَهَا
 يَا دَيْرَهَهَا مَا ذَرْكَ سَاعَةً
 وَالْدَهْرُ عَصْرٌ وَالزَّمَانُ مُسَاعِدٌ
 وَإِذَا سُئِلْتَ عَنِ الظِّيُورِ وَصَيْدِهَا
 فَالْعَرُ فَالْكَرَوَانُ فَالْفَارُورُ إِذَا
 أَشَهَدْتَ حَرْبَ الظَّيْرِ فِي غِيطَاهِهِ
 وَالْزَمْعُ الْفَضْبَانُ فِي رَهْطِهِ
 وَرَأَيْتُ لِلْبَارِيَ سَطْوَةً مُوسِيرِ
 كَمْ قَدْ صَبَوْتُ بِغَرَّيِ فِي شِرَّيِ
 وَخَلَعْتُ فِي طَلَبِ الْجُونِ حَبَائِلِيَ
 وَهَمَاجِرِ وَمُكَاثِرِ وَمُنَافِرِ
 لَوْعَائِنَ الْتَّفَاحُ حُمَرَةَ خَدِهِ
 يَا حَامِلَ الْسَّيْفِ الْقَدَاهَ وَطَرْفُهُ
 أُرْقُعِ بَعْدِكَ لَا تُطِلِّ أَسْبَحَاهُ

حَتَّى تَقْعَمَ كُلُّ جَنْ مُطْبَقَ
 وَجْهُ مَلِيمٌ فِي قَنَاعِ أَرْقَ
 مِنْ طَبِيبِ يَوْمِ مَرَّ لِي بِشَوْقَ
 وَأَسِيرُ شَوْقَ صَبَاتِي لَمْ يُطْلَقَ
 إِلَّا تَذَكَّرُتُ الشَّبَابُ بِفَرْقِ
 وَمَقَامُنَا وَسَبِينَا بِالْجَوْقَ
 وَجُنُوسُهَا فَاصْنُدَقَ وَإِنْ لَمْ تُصْدِقَ
 يُشْجِيكَ فِي طَيَّرَانِهِ الْمُتَحَلَّقَ
 لَمَا تَجُوَّقَ مِنْهُ كُلُّ مُجَوَّقَ
 يَخْطُبُ بَيْنَ مُرَعَّدِ وَمُبَرَّقَ
 وَلَغِيرِهِ دُلُّ الْفَقِيرِ الْمُلْمَقَ
 وَقَطَعْتُ أَوْقَاتِي بِرَقَيِ الْبَنْدِقَ
 حَتَّى سُبْتُ إِلَى فَعَالِ الْأَخْرَقَ
 قَلِيقَ الْفَوَادِبِهِ وَإِنْ لَمْ يَقْلُقَ
 لَصَبَا إِلَى دِيْكَاجَ ذَاكَ الْرَّقْنِقَ
 أَمْضَى مِنْ الْسَّيْفِ الْحَسَامَ الْمُطْلَقَ
 وَأَرْقُعِ بِهِ يَا صَاحِبَ الشَّغَرِ الْسَّقِيِ

وقال أيضاً

أَتَشَطُّ لِلشُّرُبِ يَا سَيِّدِي
 فَعِنْدِي لَكَ الْيَوْمَ مَشْوِيَّاتِانِ
 وَخَمْسُونَ بَيْضَهُ مِثْلُ الْبُجُومِ
 فَعَافَلْتُهُمَا وَتَنَاوَلْتُهُمْ

١. كما في الأصل.

فَيَوْمُكَ هَذَا دَقِيقُ الدُّرُوزِ
 سَرْقَتْهُمَا مِنْ دَحَاجَ الْجَوْزِ
 حَبَّتْهُنَّ مِنِّي فِي جَوْفِ كُوزِ
 وَلَمْ تَنْتَفِعْ بِالْمَكَانِ الْحَرِيزِ

أَتَشَطُّ عِنْدِي عَلَى بَقَتِينَ
 عَلَى لَوْزَتِينَ عَلَى قَطْرَمِيزَ
 وَقَصْدُّهُمَا وَدَيْرًا لَهَا
 وَشَرَبَ مِنْهَا بِرَطْلٍ وَجَامِ
 فَامَّا الْطَّيُورُ لِفَرْطِ السُّرُورِ
 فَهَذَا يَصِيمُ عَلَى الْحَادِثَاتِ
 وَخَسِفَ اثَاثًا رَخِيمَ الدَّلَالِ
 يُحِبُّ الْثَّدَائِي وَأَشْعَارَهُمْ
 فَرُزِّي تَحْذِينِي وَفِي الْمَقَالِ

وَكَانَ أَبْنَى الْبَصْرِيَّ هَذَا مِنَ الْخَلَاءِ الْجَانِ وَلَهُ شِعْرٌ يَجْرِي بِجَري الْهَذَلِ وَالْطَّيْبِ.

وَخَدَمَ أَبَا الْقَاسِمِ أُونِجُورَ بْنَ الْإِخْشِيدَ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَكَسَاهُ وَصَارَ يَرْكَبُ مَعَهُ وَكَانَ
 يَلِيسُ طَيْلَسَانًا أَزْرَقَ يَتَشَبَّهُ بِالْقَضَاهُ وَكَانَ أُونِجُورَ قَدْ حَمَلَهُ عَلَى بِرْذُونَ أَصْفَرَ غَلِظَ
 بَطِيءَ السِّيرِ فَكَانَ إِذَا سَارَ مَعَ أَقْوَامَ مِنْ إِخْرَانِهِ قَالَ لَهُمْ صِفَوَالِي مَوْضِعُكُمْ حَتَّى
 الْحَقُّ بِكُمْ وَكَانَ مِلِحَ الْمَجَالِسَةَ كَثِيرَ النَّادِرَةِ وَكَانَ يَبْيَعُ الصَّيْدَلَةَ فِي مَسْجِدِ عَبْدِ اللَّهِ بَصَرَ.

دير طموه

وَطَمَوِيهُ فِي الْغَرْبِ بِإِرَاءِ حَلوَانَ وَالْمَدِيرِ رَاكِ الْبَحْرِ وَحُولَهُ الْكَرْوَمُ وَالْبَسَاتِينُ وَالْخَلَلُ
 وَالشَّجَرُ فَهُوَ نَزَهَ عَامِرًا أَهْلَ وَلَهُ فِي النَّيلِ مَنْتَرُ حَسْنٍ وَحِينَ تَخْضُرُ الْأَرْضُ فَإِنَّهُ يَكُونُ
 بَيْنَ بَسَاتِينِ الْبَحْرِ وَالْزَّرْعِ. وَهُوَ أَحَدُ مَتَّزَهَاتِ مَصْرُ الْمَذَكُورَةِ وَمَوَاضِعُ لَهُوَا
 الْمَشْهُورَةِ.

١ الأصل: وهذا يقول.

ولابن عاصم فيه

٢٤٠

أَقْصِرًا عَنْ مَلَامِي الْيَوْمِ إِبْرِيزِ ذِي سَلَوةٍ وَلَا إِقْصَارِ
فَسَقَى اللَّهُ دَيْرَ طَمْرِينَ بِسَوَارِي
كَمْ لِيَالٍ بَهَثَتْ مِنْ نَوْمٍ سُكْرِي
وَالْأَنْوَاقِيسُ صَاحِحَاتُ تُنَادِي حَيَّ يَا نَائِمًا عَلَى الْأَبْيَكَارِ

وقال فيه أيضاً

٣٤٠

تُرْزِي بِخَمْرٍ قُرَى هِيتٍ وَعَانَاتِ
تَجْرِي الْجَدَالُونُ مِنْهَا يَنْجَاتِ
كَاسَاتُ حَمْرٍ بَدَثَتْ فِي إِثْرِ كَاسَاتِ
فِي خَفْيَةٍ شَنَاجِي بِالإِشْكَارَاتِ
مُسْتَلَئِمٌ فِي دُرُوعِ سَاكِيرَاتِ
وَكُنَّ قِدْمًا مَوَاحِدِي وَحَكَانِي
ضَرْبِ الْأَنْوَاقِيسِ صَبَّا بِاللَّدِيَارَاتِ
وَأَشَرَبَ بِطَمْرِينَ مِنْ صَهْبَاءَ صَافِيَةٍ
عَلَى رِيَاضٍ مِنْ أَنْتَارِ زَاهِرَةٍ
كَانَ بَنْتَ الْشَّقِيقِ الْعَصْفُريَّ بِهَا
كَانَ تَرْجِسَهَا فِي حُسْنِهِ حَدْقَ
كَانَمَا الْشَّيلُ فِي مَرْأَةِ السَّيِّدِ هَا
مَنَازِلًا كُنْتُ مَفْتُونًا بِهَا يَقِعًا
إِذْ لَا أَرَأَلُ مُلْحَنًا بِالصَّبُوحِ عَلَى

الديارات المعروفة بالجحائب على ما ذكره أهلها ووصفوه عنها منها

دير الخنافس

وهو بين الموصل وبلد كير كثير الرهبان له يوم في السنة يجتمع الناس إليه من كل موضع فظاهر فيه الخنافس ذلك اليوم حتى تغطي حيطانه وسقوفه وأرضه ويسود جميعه منها. فإذا كان اليوم الثاني وهو عيد الدير اجتمعوا إلى الهيكل فقدسوا^١ وقربوا وانصرفوا وقد غابت الخنافس حتى لا يرى منها شيء إلى ذلك الوقت.

دير الكلب

وهو بين الموصل وبلد. يُعالج فيه من عضته كلب كلب. فمن عضته كلب بادر إليه فعالجوه منه برأ ومن مضت له أربعون يوماً من العضمة لم ينبع فيه العلاج.

^١ الأصل: فقسوا.

دير القيكارة

وهو لليعقوبية على أربع فراسخ من الموصل في الجانب الغربي من أعمال الحديدة مشرف على دجلة تحته عين قير وهي عين تدور بماء جارٍ تصب في دجلة وينبع منه القير فما دام القير في مائه فهو لين يمتد فإذا فارق الماء برد جف. وهناك قوم يجتمعون فيهمون هذا القير يعرفونه من مائه بالقفاف ويطرحونه على الأرض ولهم قدور حديد بكار وينخل له الرمل فيُطرح عليه بمقدار يعرفونه ويوقن تحته حتى يذوب وينتظر بالرمل وهم يحركونه تحريكاً دائماً فإذا بلغ حد استحکامه قلب على الأرض قطعاً مجدهً ويُصلب ويُجلب إلى البلدان فإنه تغيير السفن والحمامات وغير ذلك مما يستعمل فيه القير.

والناس يكترون القصد لهذا الموضع للتبرّه فيه والشرب ويستحبون من ذلك الماء الذي يخرج معه القير لأنّه يقوم مقام الحمات في قلع البثور. وله قائم وكلّ دير لليعقوبة والملكية فعنده قائم فاما ديارات النسطور فلا قائم لها.

دير مر^١ قوما

وهذا الدير بمنيا فارقين على فرسخين منها في جبل عالٍ له عيد يجتمع الناس من كل موضع ويقصده أهل البطالة والخلاعة للشرب فيه وتحته برك يجتمع فيها ماء الأمطار ومر^٢ قوماً هذا هو الشاهد الذي فيه يزعم النصارى أنّ له سبع مائة سنة وأنّه من شهد المسيح. وهو في خزانة خشب لها أبواب تُفتح أيام أعيادهم فيظهر منه نصفه

١ كذا في عواد؛ الأصل: برقوما. ٢ الأصل: برقوما.

الأعلى وهو قائم وأنفه وشفته العليا مقطوعان. وذلك لأنّ امرأة احتالت حتّى قطعت أنفه وشفته ومضت بهما^١ فبنت عليهما ديرًا في البَرِّية في طريق تكريت.

دير باطا

وهذا الدير بالشرق^٢ وهو دير حسن عامر نزه في أيام الربع ويسمى أيضًا دير المطر ١٤٥ وشاهده يُعرف ببر بكس^٣ وهو ناء عن دجلة وعن المدينة. وله باب حجر ذكر النصارى لأنّ هذا الباب يفتحه الواحد والاثنان حتّى يتجاوز السبعة فإنّ تجاوز السبعة لم يقدر أحد منهم على فتحه ولا يفتحه حينئذ إلا سبعة. وذكروا أيضًا أنّ فيه غربان تتناضل هناك لا يخلو منها فيما طرقة اللصوص فدخلوه فإنّ حصل فيه أحد منهم صعد الغرابيان على برج^٤ الدير فإذا أقبل إليه أحد من يطرفة أو يقصده تلقاء الغرابيان يصيحان في وجهه كالمذرين له فيعلم أنّ في الدير قومًا فيرجع فإنّ لم يكن في الدير أحد لم يفعل شيئاً من ذلك.

دير مار شمعون ببواحي السنّ^٥

في هذا الدير كرسي الأسقف وفيه أيضًا بئر فمن لحقه بهق قصده واغسل من البئر ١٤٦ لم يرجح حتّى ينزل عنه.

١ الأصل: بها. ٢ كذا في الأصل. ٣ كذا في عواد: الأصل: مر يكس. ٤ الأصل: مج. ٥ كذا في عواد. الأصل: دير بر مار سون. الأصل: (هكذا في الأصل) وردت في الهاشم. ٦ الأصل: السن، الأصل: (هكذا في الأصل) وردت في الهاشم.

دير العجاج

وهذا الدير بين تكريت وهيت عامر كثير الرهبان وخارجه عين ماء تصب إلى بركة ١٠٤٧ هناك وفي البركة سمك أسود وهو طيب عذب الطعم. وحوله مزارع وخضر تسقي من تلك العين.

دير الجودي

والجودي هو الجبل الذي استقرت عليه السفينة وبين هذا الجبل وجزيرة ابن عمر سبعة فراسخ. وهذا الدير مبني على قلة الجبل يُقال إنه بُني منذ أيام نوح عليه السلام. ويزعمون أن فيه أجنوبة حدثني بها بعض نصارى الجزيرة وهي أن سطحه يُشير فيكون عشرين شبراً ثم يُعاود قياسه فيكون ثمانية عشر شبراً ثم يُعاود فيكون اثنين وعشرين شبراً وفي كل دفعه يُشير مختلف عدده وإنه اعتبر ذلك وقاسه فوجده كما ذكر. ١٠٤٨

كيسة الطور

وطور سينا هو الجبل الذي تخلّي فيه لموسى عليه السلام وصُعق فيه. والكيسة في أعلى الجبل مبنية بحجر أسود وعرض حصنها سبعة أذرع وله ثلاثة أبواب حديد وفي غربته باب لطيف قدامه حجر لهم إذا أرادوا رفعه رفعوه وإن قصدتهم أحد أرسلوه ١٠٤٩

١ الأصل: ثماني. ٢ الأصل: اثنان.

فانطبق على الموضع فلم يُعرف مكان الباب. وداخلها عين ماء وخارجها عين أخرى. وزعم النصارى أن بها ناراً من نوع النار الجديدة التي كانت بالبيت المقدس يوقدون ^١ منها في كلّ عشية وهي بيضاء ضعيفة الحرّ لا تحرق ثمّ تقوى إذا أُوقد منها السرج. وهو عامر بالرهبان والناس يقصدونه لأنّه من الديارات الموصوفة.

ولابن عاصم فيه

٢٤٩

يَا رَاهِبَ الْدَّيْرِ مَاذَا الْضَّوءُ وَالنُّورُ
فَقَدْ أَضَاءَ بِهِ فِي دِيرِكَ الْطُّورُ
هَلْ حَلَّتِ الشَّمْسُ فِيهِ دُونَ أَبْرَجِهَا
أَوْ غُيَّبَ الْبَدْرُ عَنْهُ فَهُوَ مَسْتُورُ
فَقَالَ مَا حَلَّهُ شَمْسٌ وَلَا قَرَرُ
لَكِنْ تَقَرَّبَ فِيهِ الْيَوْمَ قَوْزِيرُ

بيعة أبي هور

١٥٠ وهذه البيعة بسيراقوس من أعمال مصر عامة كثيرة الرهبان لها أعياد يقصدها الناس. وفيها ^٢ على ما ذكره أهلها أبغية وهي أنّ من كانت به خنازير يقصد هذا الموضع ليعالج به فإذا خذله رئيس الموضع فيضجعه ويأتيه بخنزير فيرسله على موضع الوجع فياكل الخنزير الذي فيه لا يتعدى ذلك الموضع فإذا تضلل الموضع ذر عليه من رماد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ومن زيت قدabil البيعة فيرأ ثمّ يؤخذ ذلك الخنزير فيذبح ويُحرق ويعُدّ رماده لمثل هذه الحال.

^١ الأصل: يقدون. ^٢ الأصل: فيه.

دير يُحَسّ

هذا الدير بدمنهور من أعمال مصر . إذا كان يوم عيده ^{أُخْرَج} شاهده من الدير
في تابوت فيسير التابوت على وجه الأرض لا يقدر أحد أن يمسكه ولا يحبسه حتى
يرد البحر فيغطس فيه ثم يرجع إلى مكانه .

بيعة إتريب

وعيدها اليوم الحادي والعشرون من بؤونة . ^{١٠٥١} يذكرون أن حمامات بيضاء تجئهم في
ذلك العيد فتدخل المذبح لا يدرؤن من أين جاءت ثم لا يرونها إلى يوم مثله .

ودير بناوحي أخميم

دير كير عامر يقصد من كل موضع وهو بقرب الجبل المعروف بجبل الكهف
وفي موضع من الجبل شق إذا كان يوم عيد هذا الدير لم يبق من الطير المعروف
بوقير شيء في ذلك المكان وهم به كثير حتى يجيء إلى الموضع فيكون أمراً عظيماً لكثرته
واجتماعهم وصياحهم عند ذلك الشق ثم لا يزالون واحداً بعد واحد يدخل رأسه
في ذلك الشق ويصبح ويخرج ويجيء غيره فيفعل فعله إلى أن يعلق رأس أحدهم وينشب
في الموضع فيضطرب حتى يموت فينئذ يفرق الباقيون ويرجعون إلى مواضعهم .^{١٠٥٢}

١ الأصل: بؤنة . ٢ أضافت يد أخرى بخط رديء: فلا يقع منها طير والله أعلم .

LIBRARY OF ARABIC LITERATURE

GENERAL EDITOR

Philip F. Kennedy, New York University

EXECUTIVE EDITORS

James E. Montgomery, University of Cambridge

Shawkat M. Toorawa, Yale University

EDITORIAL DIRECTOR

Chip Rossetti

ASSISTANT EDITOR

Lucie Taylor

EDITORS

Sean Anthony, The Ohio State University

Huda Fakhreddine, University of Pennsylvania

Lara Harb, Princeton University

Maya Kesrouany, New York University Abu Dhabi

Enass Khansa, American University of Beirut

Bilal Orfali, American University of Beirut

Maurice Pomerantz, New York University Abu Dhabi

Mohammed Rustom, Carleton University

CONSULTING EDITORS

Julia Bray Michael Cooperson Joseph E. Lowry

Tahera Qutbuddin Devin J. Stewart

DIGITAL PRODUCTION MANAGER

Stuart Brown

PAPERBACK DESIGNER

Nicole Hayward

FELLOWSHIP PROGRAM COORDINATOR

Amani Al-Zoubi

NEW YORK UNIVERSITY PRESS
New York

Copyright © 2022 by New York University
All rights reserved

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Names: Shābushtī, ‘Alī ibn Muḥammad, -998, author. | Kilpatrick,
Hilary, editor, translator. | Shābushtī, ‘Alī ibn Muḥammad, -998.
Diyārāt.

Title: 880-01 The book of monasteries = Kitāb al-diyārāt /
al-Shābushtī ; edited and translated by Hilary Kilpatrick.

Other titles: Diyārāt. English | 880-02 Kitāb al-diyārāt

Description: New York : New York University Press, 2023. | Includes
bibliographical references and index. | In English and Arabic. |
Summary: “A literary anthology of poetry and anecdotes related to
Christian monasteries of the medieval Middle East”-- Provided by
publisher.

Identifiers: LCCN 2022050287 | ISBN 9781479825769 (hardcover) | ISBN
9781479825752 (ebook) | ISBN 9781479825721 (ebook)

Subjects: LCSH: Monasteries--Middle East--Early works to 1800. |
Monasteries--Middle East--Poetry--Early works to 1800. | LCGFT: Poetry.
Classification: LCC BX385.A1 S513 2023 | DDC 271/.8156--dc23/eng/20221118

LC record available at <https://lccn.loc.gov/2022050287>

Series design by Titus Nemeth.

Typeset in Tasmeem, using DecoType Naskh and Emiri.

Typesetting and digitization by Stuart Brown.